مقومات الإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مجلس حكماء المسلمين
Muslim Council of Elders

مقومات الإسلام

تأليف

أحمد الطيب
شيخ الأزهر الشريف
رئيس مجلس حكماء المسلمين

الحكماء للنشر
Alhokama Publishing

www.alimamaltayeb.com

مجلس حكماء المسلمين
Muslim Council of Elders

الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ٧٦٩٥٦٤ أبوظبي
هاتف: 777 73 30 2 971+
فاكس: 054 12 44 2 971+
البريد الإلكتروني: info@muslim-elders.com
الموقع الإلكتروني: www@muslim-elders.com

فِهرست الهيئَة المصريَّة العامَّة
لدار الكُتُب والوثائق القوميَّة:
الطيب، أحمد
مقومات الإسلام
ط ١ – القاهرة: دار القدس العربي،
1440هـ/ 2019م.
ص ؛ 15 × 24 سم.
عدد الصفحات: 364
1 – الحديث النبوي 2 – علوم الحديث
3 – الفكر الإسلامي 4 – العنوان

رقم الإيـــداع: 28821/ 2017
الترقيم الدولي: 978-977-6601-24-6

الطبعة الأولى

1440هـ/ 2019م.

صورة الغلاف الخارجي: منظرٌ للجامع الأزهر الشريف
بريشة المستشرق الفرنسي بريس دافين
Prisse d'Avennes, (1807 – 1879).

مُتعَهِّد الطبع:
دار القدس العربي ، القاهرة
البريد الإلكتروني: dar.quds@gmail.com

تصميم الغلاف: Media Pictures Adv.
وائل حسن – هاتف: 1113354001 +20
البريد الإلكتروني: wael.hasan86@gmail.com

الصَّفُّ الطِّباعِيُّ والتنسيق: ناصر محمد يحيى

مكتب إحياء التراث الإسلامي
بمشيخة الأزهر الشريف

(يُباعُ هذا الكِتابُ بسِعرِ التَّـكلفة وعائدُه مُخصَّصٌ لطباعةِ كُتُبِ التراث الإسلامي)

جميعُ حقوقِ المِلكِيَّةِ الأدبيَّة والفنِّيَّةِ للمؤلفِ؛ ويُحظَرُ إعادةُ إصدارِ هذا الكِتابِ، ويُمنَع نَسْخُه أو استعمال أيِّ جزءٍ منه، بأيِّ وسيلةٍ تصويريَّةٍ أو إلكترونيَّةٍ أو ميكانيكيَّةٍ، بما فيه التَّسجيل الفوتوغرافي والتَّسجيلُ على أشرطةٍ أو أقراصٍ مُدْمَجَةٍ، أو أيِّ وسيلةِ نشرٍ أُخرَى، بما فيها حِفظ المعلومات واسترجاعها، إلَّا بمُوافَقَةِ المؤلِّف خَطِّيًّا.

الفِهرِسُ الإِجمالِيُّ

طليعةُ الكتاب ٧

الفصلُ الأوَّل: العقيدةُ ٩

مَدخَلٌ لِدراسةِ العقيدةِ ١١

الإلهيَّات

الإلهيَّاتُ ٢٩-٨٤

وُجودُ اللَّهِ في القرآنِ الكريمِ ٤٧

استحالةُ الصُّدفةِ ٥١

صِفاتُ اللَّهِ تعالى ٦١

القضاءُ والقَدَرُ ٧٥

النُّبُـــوَّاتُ

النُّبُـــوَّاتُ ٨٧-١٢٣

النُّبُوَّةُ والأنبياءُ ٩١

المُعجِـــزةُ ١٠٣

الرِّسالةُ الخَاتمةُ ١١٩

الغَيبيَّاتُ

الغَيبيَّاتُ ١٢٧

الإيمانُ بالجِنِّ ١٣٥

السَّمعيَّاتُ

السَّمعيَّاتُ ١٤٣-١٧٠

www.alimamaltayeb.com

الفصلُ الثَّاني: العِبادةُ ١٧١-٢١٢
معنى العبادةِ ١٧٣
حاجةُ الإنسانِ للعبادةِ ١٧٥
العِبادةُ غايةٌ وليست وسيلةً ١٧٧
أقسامُ العباداتِ ١٨١
أنواعُ العبادةِ ١٨٥
خصائصُ العبادةِ في الإسلامِ ٢٠٥
الفصلُ الثَّالثُ: التَّشريعُ ٢١٣-٢٤٦
الشَّريعةُ والتَّشريعُ ٢١٥
أطوارُ التَّشريعِ الإسلاميِّ ٢١٧
أُصولُ التَّشريعِ الإسلاميِّ ٢٢٣
أُسُسُ التَّشريعِ العامَّةُ ٢٣٣
المقاصدُ العامَّةُ للتَّشريعِ الإسلاميِّ ٢٣٩
الفصلُ الرَّابعُ: الأخلاقُ في الإسلامِ ٢٤٧-٢٨٦
معنى الخُلُقِ ٢٤٩
الفَرقُ بين الخُلُقِ والسُّلوكِ ٢٥١
شروطُ الفِعلِ الخُلُقيِّ ٢٥٣
الأخلاقُ قابلةٌ للتَّغييرِ؟ ٢٥٥
الحُكمُ الخُلُقيُّ ٢٥٩
مكانةُ الأخلاقِ في الإسلام ٢٦٣
مصدرُ الإلزامِ الخُلُقيِّ في الإسلامِ ٢٦٧
المسئوليَّةُ والجزاءُ في الإسلام ٢٧٣
خصائصُ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ ٢٨٣
ثَبَتُ المصادرِ والمراجعِ ٢٨٧-٣١٠
الكشَّافات العامَّة ٣١١-٣٧٢
الفهرس التفصيلي ٣٧٣-٣٧٩

www.alimamaltayeb.com

طَلِيعَةُ الكِتَابِ

الحمدُ للَّهِ ربِّ العالَمِينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرسَلِينَ سيِّدِنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

وبعدُ، فهذه الأبحاثُ الَّتي بين يَدَيِ القارئِ كتبتُها مِن قبلُ؛ لِتَكونَ مُتطلَّبًا جامعيًّا في إِحدى الجامعاتِ العربيَّةِ، ولا تزالُ هذه الأبحاثُ -فيما أرى- وافيةً بمُتَطلباتِ الطَّالبِ الأزهريِّ -أو الطَّالبةِ الأزهريَّةِ- في قضايا العقيدةِ، والعبادةِ، والتَّشريعِ، والأخلاقِ، وهي المحاورُ الرَّئيسةُ الَّتي يدورُ عليها دينُنا الحنيفُ.

ومن جِهَةٍ أُخرَى فإنَّ هذه الأبحاثَ كَفيلةٌ بأن تفتَحَ الأبوابَ أمامَ القارئِ الَّذي يُريدُ مَزيدًا مِن المَعرِفةِ، والاستِزادَةَ مِن أُمَّهاتِ المَصادرِ والمَراجعِ الَّتي ذَيَّلتُ بها الأبحاثَ في فُصولِ الكتابِ.

أمَّا مَوضوعُ هذه الدِّراسةِ فهو «**مُقوِّماتُ الإسلامِ**»؛ ونَعني بالمقوِّماتِ: الأصولَ الكبرى الَّتي ينبني عليها الإسلامُ كدِينٍ لا يقتصِرُ فقط على بيانِ العَقيدةِ والعباداتِ والأخلاقِ، بل يَهتمُّ اهتمامًا كبيرًا بالتَّشريعاتِ الَّتي تضبطُ حركةَ الفردِ وسلوكَ المجتمعاتِ؛ لتَوجيهِها أوَّلًا نحوَ الغاياتِ الأخلاقيَّةِ الإنسانيَّةِ العامَّةِ، ثم لمعرفةِ الحقِّ في الاعتقادِ، وفعلِ الخيرِ في العملِ ثانيًا.

www.alimamaltayeb.com

ومَعرِفةُ الحَقِّ وعمَلُ الخيرِ هما رُكنا مفهومِ «السَّعادةِ» الحقيقيَّةِ الَّتي بُعِثَ من أجلِها الأنبياءُ والمرسَلون، ونادى بها الحكماءُ وعقلاءُ الفلاسفةِ مِن قديمِ الزَّمانِ.

وأرجو أن أكونَ قد وُفِّقت في توضيحِ هذه المقوِّماتِ وتيسيرِها للقارئِ الكريمِ، على أنَّ غرضي مِن هذا الكتابِ هو بيانُ هذا الدِّين الَّذي ظَلَمَه الجهلُ به في الشَّرقِ والغربِ، وتطاوَلَ عليه الكثيرون ممَّن لا يفهمونه.

ويُسعِدُني أن أُقدِّمَ هذه الأبحاثَ حِسبةً خالصةً لوجهِه تعالى، لا تشوبُها أيَّةُ شائبةٍ من عرَضِ الدُّنيا، وأرجو مِن المولى سبحانه وتعالى أن يَنفعَ بها، على ما فيها مِن نقصٍ وتقصيرٍ لا يخلو منهما عملٌ بشريٌّ في أيِّ زمانٍ أو مكانٍ؛ فالكمالُ للَّهِ وَحدَهُ، وهو حسْبُنا ونعمَ الوكيلُ.

تحريرًا في مشيخة الأزهر:

٢٨ من المحرَّم سنة: ١٤٣٩هـ

الـموافـق:

١٩ من أكتوبر سنة: ٢٠١٧م

أحمد الطيب

شيخ الأزهر الشريف

رئيس مجلس حكماء المسلمين

www.alimamaltayeb.com

الفَصلُ الأَوّلُ

العَقِيـدَة

مَدخَلُ لِدراسَةِ العَقِيدَةِ
مَباحِثُ الإِلٰهيّاتِ
مَباحِثُ النُبُوّاتِ
مَباحِثُ الغَيبيّاتِ
مَباحِثُ السَّمعِيّاتِ

www.alimamaltayeb.com

مَدخَلٌ لِدِرَاسَةِ العَقِيدَةِ

يُعَدُّ المفكِّرُ الفرَنسيُّ: «گوستاف لوبون» «Gustave Le Bon» مِن أبرزِ المُهتمِّين بدراسةِ موضوعِ «العقيدةِ» وما يتعلَّقُ بها؛ مِن حيثُ: تعريفُها وعواملُ تكوينِها وخصائصُها وأثَرُها في بِناءِ الحضارةِ... إلخ. وفي كتابِه «الآراءُ والمُعتقَداتُ Les opinions et les croyances» يُطالِعُنا بأبحاثٍ مُستفيضةٍ حولَ هذا الموضوعِ، يهمُّنا منها ما يَتعلَّقُ بتعريفِ العقيدةِ، حتَّى نتمكَّنَ مِن المُقارَنةِ بين ما يقولُه علماءُ الغربِ والعلماءُ المسلمون في هذا المجالِ.

- **تعريفُ العقيدةِ عند «لوبون»:**

العقيدةُ -فيما يَرى «لوبون»[١]- هي: «إيمانٌ ناشئٌ من مَصدَرٍ لا شُعوريٍّ، يُكرِهُ الإنسانَ على تصديقِ فِكرٍ، أو رأيٍ، أو تأويلٍ، أو مذهبٍ من غير دليلٍ».

وفي ضوء هذا التَّعريفِ يَتبيَّنُ لنا أنَّ العقيدةَ هي مجرَّدُ «إيمانٍ لا شعوريٍّ» يَفرِضُ نفْسَه على المَرءِ، وله مِن القُوَّةِ بحيثُ يَبعَثُ على الاعتقادِ في شيءٍ ما دون أن يَعتمِدَ هذا الاعتقادُ على أيِّ بُرهانٍ أو دليلٍ.

---

(١) في «Les opinions et les croyances» p:16 وانظر الترجمة العربية: ١٧.

www.alimamaltayeb.com

والتَّركيزُ على عنصرِ «اللَّاشعورِ» وجَعْلُه المصدرَ الوحيدَ في إمدادِ الإنسانِ بالاعتقادِ يستلزمُ -بالضَّرورةِ- استبعادَ العَقلِ، وإهدارَ قيمتِه في تكوينِ العقيدةِ وفي توجيهِها الوِجهةَ الصَّحيحةَ.

وانطلاقًا مِن استبعادِ عُنصُرِ العَقلِ في عمليَّةِ الاعتقادِ يُفَرِّقُ «لوبون»(١) بين معنى العقيدةِ مِن ناحيةٍ ومعنى «العلمِ» أو «المعرفة» مِن ناحيةٍ أخرى، ويُقيمُ بينهما تعارُضًا لا سبيلَ معَه إلى أدنى التِقاءٍ بينَ هذينِ المفهومَينِ؛ فالعقيدةُ -كما سبقَ- إحساسٌ غامضٌ له قُوَّةُ الإلزامِ في الاعتقادِ، ويشترط فيه ألا يكون نتيجة برهنة أو استدلال، أمَّا العِلمُ -أوِ المعرفةُ- فمصدرُهُ -تحديدًا- هو العَقلُ.

ويقرِّرُ «لوبون» أنَّه لو حاوَلَ شخصٌ أن يُؤَيِّدَ عقيدتَه بعدَ تكوينِها -فِعلًا- بأدلَّةِ العَقلِ وبراهينِه؛ فإنَّ العقيدةَ لا تَبقى في هذه الحالةِ عقيدةً، بل تَنقلِبُ إلى معرفةٍ أو عِلمٍ(٢).

فالعُنصرُ المُميِّزُ للعقيدةِ -عند هذا الفيلسوفِ- هو إقصاءُ العَقلِ وإلغاءُ دَورِه وتأثيرِه في عمليَّةِ الاعتقادِ.

وقدِ ادَّعى «لوبون»(٣) أنَّه استطاعَ -في ضوءِ نظريَّتِه هذه- أن يُفسِّرَ لنا ظاهرةَ العقائدِ الخُرافيَّةِ واللَّامعقولَةِ الَّتي يَدِينُ بها نفَرٌ مِن

---

(١) في «الآراء والمعتقَدات»: ١٧ تحت عنوان «ما الفَرق بين المعتقَد والمعرفة؟».

(٢) «لمحات في وسائل التَّربيَّة الإسلاميَّة وغاياتها» لمحمد أمين المصري: ٨٦.

(٣) في «الآراء والمعتقَدات»: ١٩.

www.alimamaltayeb.com

العلماءِ والفلاسفةِ، فمَعَ غَيبةِ العَقلِ -الحاكمِ والمُصحِّحِ- في أمرِ الاعتقادِ تَستبدُّ الأحاسيسُ -الصَّحيحةُ أوِ الزَّائفةُ- بالشَّخصِ المُعتقِدِ، وتُمْلِي عليه أوهامًا وأَخيِلةً تَفرِضُ نفسَها على قلبِه ووِجدانِه(١).

- **نَقدُ هذا التَّعريفِ:**

وليس مِن شكٍّ في أنَّ تحليلاتِ «لوبون» للعقيدةِ يَترتَّبُ عليها إلغاءُ الفَرقِ بين العقيدةِ الصَّحيحةِ والعقيدةِ الزَّائفةِ، أو بين العقيدةِ المطابِقةِ للحقيقةِ والواقِعِ والعقيدةِ الَّتي لا تَمُتُّ إلى الواقعِ بأَدنى صلةٍ أو سببٍ، فكُلٌّ مِنهما يُسمَّى عقيدةً، وكلٌّ منهما يُسمَّى إيمانًا، ولا فَرقَ عنده -في معنى الاعتقادِ- بين اعتقادٍ صحيحٍ واعتقادٍ غيرِ صحيحٍ.

ولنا أن نتصَوَّرَ مدى التَّضارُبِ أو التَّناقُضِ في مفهومِ العقيدةِ -بالمعنى الغربيِّ- إذا جَعَلْنا اللَّاشعورَ هو الفَيصلَ الوحيدَ في تحديدِ أمرِ العقيدةِ، والأهمُّ مِن كُلِّ ذلك أنَّه لو فكَّرَ شخصٌ في قضيَّةِ وجودِ اللَّه - تفكيرًا مبنيًّا على الاستدلالِ والبَرهنةِ العَقليَّةِ، ثُمَّ انتهى به تفكيرُه إلى الإيمانِ بوجودِه تعالى، فإنَّ هذا الإيمانَ -فيما يرى «لوبون»- لا يُسمَّى: عقيدةً أوِ اعتقادًا، وإن سُمِّيَ عِلمًا،

---

(١) راجع «سَيكولوجيَّة الجماهير» لجوستاف لوبون: ١٤٧.

www.alimamaltayeb.com

وهذه تَفرِقةٌ تَرفُضُها مقاييسُ اللُّغةِ ومقاييسُ الاصطلاحِ على السَّواءِ(١).

- **العقيدةُ بالمفهومِ الإسلاميِّ:**

العقيدةُ -في معناها اللُّغويِّ- مأخوذةٌ مِن مادَّةِ: «عَقَدَ» بمعنى: ربَطَ أو شَدَّ أو عزَمَ، سواءٌ تعلَّقَ معنى العَقدِ والرَّبطِ بأشياءَ مادِّيَّةٍ أو أمورٍ معنويَّةٍ، فكما يُقالُ: عقَدَ الخيطَ؛ بمعنى: أحكَمَ رَبطَه وشدَّه. يقالُ: عقَدَ قلبَه على كذا؛ بمعنى: اعتقَدَه وصَدَّقَ به، ويُستَشهَدُ على هذا المعنى بقولِه ﷺ: «**الخَيلُ مَعقُودٌ في نَواصِيها الخَيرُ**»(٢)؛ أي: مُلازمٌ لها ومشدُودٌ إليها(٣).

وأصلُ اشتِقاقاتِ هذه المادَّةِ في -اللُّغةِ- هو: «العَقدُ»؛ بمعنى: الإحكامِ والتَّوثيقِ والتَّأكيدِ، ومِن هنا قيلَ: عَقدُ اليمينِ، وعَقدُ البيعِ، وعَقدُ النِّكاحِ، فإذا قيلَ: انعقَدَ قلبُه على الإيمانِ بقضيَّةٍ ما، أفادَ ذلك ثبوتَ هذه القضيَّةِ في قلبِ المُعتقِدِ، وتمكُّنَها فيه بصورةٍ لا تَقبَلُ النَّقيضَ.

ونلاحظُ أنَّ المعنى اللُّغَويَّ لِلَفظِ «العقيدةِ» يدُلُّ على ثُبوتِ

---

(١) راجع: «محاضرات في العقيدة الإسلاميَّة» لأحمد البهادلي: **٣٣**.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤٥) ومسلم (١٨٧٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) راجع: «لسان العرب» لابن منظور: **٣/ ٢٩٨** (مادة: عقد).

www.alimamaltayeb.com

الاعتقادِ في القلبِ وتمكُّنِه منه، بغضِّ النَّظرِ عن مَنشأِ هذا الاعتقادِ ومَصدَرِه، فسَواءٌ كان الاعتقادُ اعتقادًا حقيقيًّا أو اعتقادًا باطلًا؛ فإنَّه يُسَمَّى «عقيدةً» في العُرفِ اللُّغويِّ.

أمَّا في اصطلاحِ العلماءِ؛ فإنَّ العقيدةَ هي: «ما يجبُ اعتقادُه على المكلَّفِ؛ كوُجوبِ وُجودِه تعالى ووُجوبِ قُدرتِه»[١]، ويُفهَمُ مِن قولِه تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، أنَّ العقيدةَ هي العِلمُ، وأنَّهما متساويانِ في المفهومِ، وهذا ما نجدُه -فعلًا- عندَ علماءِ العقيدةِ حين يذهبون إلى أنَّ الاعتقادَ والعِلمَ والمعرفةَ كُلُّ ذلك بمعنًى واحدٍ[٢]، ويُعَرِّفُونَ العِلمَ بأنَّه: «الاعتقادُ الجازمُ المطابقُ للواقِعِ، النَّاشئُ عن دَليلٍ»[٣].

---

(١) «أشرف المقاصد في شرح المقاصد» للولَّالي المكناسي: ١/٨، السطر: ١٩، وانظر: «مقدمات المراشد إلى علم العقائد» لابن خمير السبتي: ١٠٢.

(٢) «لمحات في وسائل التربية الإسلاميَّة» للمصري: ٩٢.

(٣) «التعريفات» للشَّريف الجُرجاني: ١٦٠. وللعِلم تعريفاتٌ أخرى كثيرةٌ تختلفُ من مدرسةٍ لأُخرى، وممَّا قيل في تعريفِ العِلمِ أنَّه: «صفةٌ تُوجِبُ لمحلِّها تمييزًا بين المعاني لا يحتملُ النَّقيضَ». راجع: «الحدود في الأصول» لابن فُورَك: ٧٦، و«الحدود في الأصول» للباجي: ٢٤، و«الحدود الكلامية والفقهية» لابن سابق الصقلي: ٩٧، و«المفرَدات» للرَّاغب الأصفهاني: ٥٨٠، و«شرح المواقف»: ١/ ٣٢، ٣٣.

هناك شَرطٌ أخيرٌ يُذكَرُ في بَعضِ تَعريفاتِ «الاعتِقادِ»، وهو أن يَكونَ مَبنيًّا على دَليلٍ عَقليٍّ، وبَرهنَةٍ مَنطقِيَّةٍ لا تَقبَلُ النَّقيضَ، وهذا القَيدُ الأخيرُ في =

www.alimamaltayeb.com

والعقيدةُ بهذا المعنى الإسلاميِّ لا تَنطبِقُ إلَّا على العقيدةِ الصَّحيحةِ فقط، ولا بُدَّ فيها مِن شَرطِ الجزمِ والثَّباتِ في المُعتقدِ؛ حتى تتمَيَّزَ عن حالاتِ الشَّكِّ والظَّنِّ والوَهمِ، كما يُشتَرَطُ فيها صحَّةُ الاعتقادِ؛ وهو ما يُعَبِّرُونَ عنه «بمُطابقةِ الواقعِ»؛ أي: مُطابقةِ الاعتقادِ للحقيقةِ ونفسِ الأمرِ، وهو شرطٌ يُمَيِّزُها عنِ المذاهبِ والآراءِ الباطلةِ الَّتي يَدِينُ بها كثيرٌ مِن النَّاسِ.

وهكذا تتميَّزُ العقيدةُ في الإسلامِ بأنَّها:

- اعتقادٌ جازمٌ.
- مطابقٌ للواقعِ.
- ناشِئٌ عن دَليلٍ.

وهذا هو الاعتقادُ الحقُّ، والعِلمُ الصَّحيحُ، والمعرفةُ اليقينيَّةُ.

- العقيدةُ عند علماءِ المسلمين:

وإذا كُنَّا قد عرَّفنا العقيدةَ الصَّحيحةَ بأنَّها الإدراكُ الجازمُ

= التَّعريفِ يَفصِلُ بين الاعتقادِ الجازِمِ الَّذي لا يَزولُ؛ وهو النَّاشِئُ عن دَليلٍ ولا يَقبَلُ الزَّوالَ، واعتِقادِ المقلِّدِ الجازِمِ المُطابِقِ للواقِعِ، فهذا الاعتقادُ الأخيرُ مع كَونِه جازِمًا مُطابِقًا للواقِعِ، إلَّا أنَّ احتمالَ زوالِه -أي: احتمالَ النَّقيضِ- واردٌ؛ نظرًا لأنَّه مبنِيٌّ على التَّقليدِ لا على النَّظَرِ. ويَتَّضِحُ لنا إذن أن العَقيدَةَ بالمَفهومِ الغَربيِّ شُعورٌ غامِضٌ لا دَليلَ عليه من العَقلِ. بينما العَقيدَةُ بالمَفهومِ الإسلاميِّ: عِلمٌ شَديدُ الوُضوحِ مُبَرهَنٌ على صِحَّتِه عَقلًا ونَقلًا.

www.alimamaltayeb.com

المُطابِقُ للواقِع؛ فإنَّ الطَّريقَ الَّذي تَثبُتُ به العقيدةُ لا بُدَّ أن يكونَ طريقًا يقينيًّا؛ إذ لو كان طريقُ ثُبوتِ العقيدةِ طريقًا ظنِّيًّا، أو طريقًا احتماليًّا قابلًا للشَّكِّ؛ فإنَّ العقيدةَ حينئذٍ يَنطبِقُ عليها نفسُ ما يَنطبِقُ على الطَّريقِ الَّذي ثبَتَت به؛ فتكونُ هي الأخرى أيضًا ظنًّا مِن الظُّنونِ المُتأرجِحةِ بين الثَّباتِ والتَّغيُّرِ، بحيثُ لو عارضَها ظنٌّ أقوى منها أو عارضَها يقينٌ؛ فإنَّها لا تَلبَثُ أن تتلاشى وتزُولَ، ونفسُ الشَّيءِ: لو كانَ طريقُ ثُبوتِ العقيدةِ شُكوكًا أو عاداتٍ وتقاليدَ؛ فإنَّها -والحالةُ هذه- لا تَرقى أبدًا إلى مُستوى العقيدةِ الصَّحيحةِ، بل تَبقى في مُستوى الوَهمِ أو مُستوى التَّقليدِ الأعمى، وكثيرًا ما تَهبِطُ إلى مُستوى الاعتقادِ اللَّامعقولِ، مِثلَ اعتقادِ الأُلوهيَّةِ في الأحجارِ أو الحيواناتِ أو الأشخاصِ، وما إلى ذلك مِن اعتقاداتٍ يُنكِرُها العَقلُ الصَّريحُ.

وهكذا تتسَرَّبُ العقيدةُ إلى قلبِ المرءِ عبرَ طُرُقٍ عِدَّةٍ، وتتلَوَّنُ بلَونِ المَسلَكِ الَّذي أَخَذَت منه طريقَها إلى قَلبِ المُعتقِدِ وعَقلِه، بحيثُ يَتوقَّفُ الحُكمُ على صحَّةِ عقيدةٍ ما أو فسادِها على اختبارِ طريقِ العقيدةِ والوسيلةِ المعرفيَّةِ الَّتي أنتَجَتْها. فإذا كان الطَّريقُ يقينيًّا كانتِ العقيدةُ عِلمًا يقينيًّا صادقًا لا يَقبَلُ ما يُناقِضُه، وإذا كان الطَّريقُ ظنِّيًّا أو مشكوكًا في أمرِه؛ لم يكن الاعتقادُ النَّاشئُ عنها إلَّا ظنًّا قابلًا للاحتمالِ أو شكًّا يخلُدُ إلى الوَهمِ والخيالِ، وكلٌّ منهما ليس مِن العقيدةِ الصَّحيحةِ في شيءٍ.

www.alimamaltayeb.com

وهنا نَجِدُ لعلماءِ العقيدةِ المسلمين نَهجًا في غايةِ الدِّقةِ، يَحصُرون به طُرُقَ العقيدةِ الصَّحيحةِ في عوامِلَ ثلاثةٍ يُسَمُّونَها: «أسبابَ العلمِ»، وهي أسبابٌ تُعطي للمعرفةِ أوِ العقيدةِ الحاصلةِ بها وصفَ اليقينِ الَّذي لا يَتبَدَّلُ ولا يَزُولُ؛ هذه الأسبابُ هيَ[١]:

١- **الحواسُّ السَّليمةُ**: وهي الَّتي تُعرَفُ بالحواسِّ الخمسِ الَّتي هي: السَّمعُ، والبصرُ، والشَّمُّ، والذَّوقُ، واللَّمسُ، فالعُلومُ النَّاشِئةُ عن طريقِ الحاسَّةِ السَّليمةِ عُلومٌ يَقينيَّةٌ لا يَصِحُّ التَّشكيكُ فيها، فإذا عَلِمتُ -مَثَلًا- عن طريقِ اللَّمسِ أنَّ هذا الجِسمَ حارٌّ أو باردٌ، وعن طريقِ البصرِ أنَّ هذا الشَّيءَ أسودُ أو أبيضُ؛ فإنَّ عِلمِي هذا عِلمٌ يَقينيٌّ، وقُل مِثلَ ذلك في إدراكاتِ السَّمعِ والشَّمِّ والذَّوقِ؛ فكلُّها عُلومٌ يقينيَّةٌ مُطابِقةٌ للواقعِ، لا تَقبَلُ نَقائضَها بحالٍ مِن الأحوالِ.

٢- **العَقلُ**: وهو القُوَّةُ الَّتي أَودَعَها اللَّهُ في الإنسانِ، وميَّزَه بها مِن بينِ سائرِ خَلقِه، وأوكَلَ إليه مَهمَّةَ التَّحليلِ والتَّركيبِ والاستِنباطِ[٢].

---

(١) انظر الكلام في مدارك العلوم في «مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري» لابن فورك: ١٧ - ١٩ و«التَّمهيد» للباقلاني: ٣٦ - ٣٨ (ط. القاهرة) ٩ - ١١ (ط. مكارثي) و«الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي: ١٢٠ - ١٢٥، وراجع أيضا الكلام في أسباب المعارف عند الماتُريديَّة في «كتاب التَّوحيد» لأبي منصور الماتُريدي: ١١-٢١، و«تبصرة الأدلَّة في أصول الدِّين» لأبي المُعين النسَفي: ١/ ١٥-٢١، و«لباب الكلام» للأُسمندي: ٣٧ - ٤٢، و«البداية في أصول الدين» للصابوني: ١٧ - ١٨.

(٢) راجع: «الحدود في الأصول» لابن فُورَك: ٧٩، و«الحدود في الأصول» =

www.alimamaltayeb.com

والعَقلُ -في إطارِ النَّظَرِ المُنضبِطِ بقواعدِ التَّفكيرِ الصَّحيحِ- قادرٌ على إدراكِ العلومِ اليقينيَّةِ والمعارفِ الصَّحيحةِ والعقائدِ الحقَّةِ المُنَجِّيَةِ للإنسانِ في الدُّنيا والآخِرةِ، مِثلُ قضيَّةِ وُجودِ اللَّهِ؛ فهي قضيَّةٌ تَنتَهي في التَّحليلِ المَنطقيِّ إلى بَدِيهةِ العَقلِ الَّتي تُقَرِّرُ أنَّ لكُلِّ حادثٍ مُحدِثًا، ولكلِّ معلولٍ علَّةً، فمِثلُ هذه القضيَّةِ الَّتي تَرتبِطُ -في التَّحليلِ النِّهائيِّ- بِبَدَهيَّاتِ العَقلِ وضروريَّاتِهِ قضيَّةٌ صادقةٌ ويقينيَّةٌ.

وقد لفَتَ القرآنُ الكريمُ أنظارَ البَشَرِ إلى أهمِّيَّةِ استخدامِ المَسلَكَينِ السَّابِقَينِ؛ المَسلَكِ الحسِّيِّ، والمَسلَكِ العَقليِّ القاطعِ في اكتسابِ العِلمِ اليقينيِّ والعقيدةِ الصَّحيحةِ؛ فقال فيما يتعلَّقُ بالمَسلَكِ الأوَّلِ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٤-٢٦]، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، إلى آياتٍ كثيرةٍ جاءَت للغَرَضِ ذَاتِه، أعنِي استِعمالَ الحواسِّ في اكتِسابِ العِلمِ الصَّحيحِ.

أمَّا فيما يختَصُّ باستعمالِ المَسلَكِ الثَّاني؛ فإنَّ المجالَ يَضِيقُ عن سَردِ العديدِ مِن الآياتِ الَّتي تحُثُّ العَقلَ وتَدفَعُه دَفعًا لِأَن

= للباجي: ٣١، و«الحدود الكلامية والفقهية» لابن سابق الصقلي: ٩٧، و«المفرَدات» للرَّاغب الأصفهاني: ٥٨٠، «التعريفات» للشَّريف الجُرجاني: ٨٠ (ط. التُّونسيَّة).

www.alimamaltayeb.com

يُلاحِظ وينظُرَ، ثمَّ يقيسَ ويستنتجَ ويستنبطَ؛ لِيَكونَ على بيِّنةٍ مِن الأمرِ فيما يَقبَلُ أو يَرفُضُ مِن أفكارٍ وآراءٍ.

٣- **الخبرُ الصَّادقُ**: ومعنى الصِّدقِ في الخبرِ: مُطابقتُه للواقعِ؛ ولأنَّ الخبرَ إنباءٌ عن واقعٍ خارجيٍّ(١)، فَلِكَي يكونَ الخبرُ صادقًا يجبُ أن يَتطابَقَ تمامَ التَّطابُقِ مع هذا الواقعِ الَّذي يَحكيهِ وينقُلُه إلى ذِهنِ السَّامعِ(٢).

والخبرُ الصَّادقُ على قِسمَينِ:

(أ) الخبرُ المتواترُ: وهو الخبرُ الَّذي يَصِلُ إلينا عن طريقِ جمعٍ كبيرٍ مِن النَّاسِ يتَّفِقُونَ في حكايتِه، ولا يَتصَوَّرُ العَقلُ إمكانَ اتِّفاقِهم -فيما بينهم- على الكَذِبِ فيما يقولون، والخبرُ المتواترُ لا شكَّ في أنَّه يُفِيدُ عِلمًا يقينيًّا صادقًا(٣)، وذلك مِثلُ عِلمِنا بالفُتوحاتِ

---

(١) انظر في حَدِّ «الخبر»: «الحدود في الأصول» لابن فورك: ١٣٤، و«الحدود في الأصول» للباجي: ٦٠، و«التعريفات» للجرجاني: ١٠١، و«الكليات» للكفوي: ٤١٥.

(٢) انظر «التمهيد» للباقلاني: ١٦٠ - ١٧٨(ط. القاهرة) ٣٧٩ - ٣٨٦ (ط. مكارثي) وراجع الموضوع أيضا عند الماتريدية في «كتاب التوحيد» لأبي منصور الماتريدي: ١٣ - ١٥.

(٣) راجع: «الحدود في الأصول» لابن فُورَك: ١٥٠، و«الحدود في الأصول» للباجي: ٦١، و«الحدود الكلامية والفقهية» لابن سابق الصقلي: ١٧٧- ١٧٨، و«المفرَدات» للرَّاغب الأصفهاني: ٥٨٠، «التَّوقيف على مُهمَّات =

www.alimamaltayeb.com

الإسلاميَّةِ الَّتي وَصَلَت إلينا أنباؤُها عن هذا الطَّريقِ، أو بالثَّورةِ الفَرَنسيَّةِ، أو بوُجودِ القُطبِ الشَّماليِّ -مَثَلًا- فإنَّنا بالرَّغمِ مِن أنَّه لم يَسبِقْ لنا أن شاهَدنا هذه الأحداثَ، إلَّا أنَّه لا يُخامِرُنا أدنى شكٍّ في اليَقينِ بأنَّها حَدَثت بالفعل وصارت حقيقة من حقائقِ الأشياءِ الثَّابتةِ، والذي أفادنا هذا اليقين هو دليل التواتر، وهو دليل خبري قاطع، أي هو خبر من الأخبار التي لا يَملِكُ العَقلُ إزاءَه إلَّا ضَرورةَ التَّصديقِ والتَّسليمِ.

(ب) **أخبارُ الرُّسُلِ**: والنَّوعُ الثَّاني مِن الأخبارِ الصَّادقةِ أخبارُ الرُّسُلِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، والعَقلُ يَحكُمُ بِضَرورةِ صِدقِ أخبارِهم؛ لأنَّه -عن طريقِ المُعجِزاتِ الَّتي يُظهِرُها اللَّهُ على أَيديهم- لا يُمكِنُ له أن يَتَرَدَّدَ في صِدقِهم، وفي استِحالةِ الكَذِبِ عليهم في أقوالِهم وأفعالِهم.

هذا بالنِّسبةِ إلى مَن شاهَدَ الرُّسُلَ ورأى مِنهم هذه المُعجِزاتِ؛ فصَدَّقَ أخبارَهم، وتيَقَّنَ مِن صِدقِها، أمَّا بالنِّسبةِ إلينا وقد بَعُدَ بنا العَهدُ عن عَصرِ النُّبوَّةِ ولم نَسمَع هذه الأخبارَ مِن الرَّسولِ الصَّادقِ مُباشرةً، بل وصَلَت إلينا عن طريقِ الرُّواةِ؛ فإنَّ عُلماءَ العقيدةِ يُفَرِّقُونَ في هذه الرِّواياتِ -الأحاديثِ النَّبويَّةِ- بين ما يَصِلُ إلينا بِطَريقِ التَّواتُرِ وما يَصِلُ بطريقِ الآحادِ، فما كان مِن هذه الأخبارِ

= التَّعاريف» للمُناوي: ١١١، و«الكليات» للكفوي: ٣٠٩.

www.alimamaltayeb.com

متواترًا فإنَّه يُفِيدُ العِلمَ اليقينيَّ، والعِلمُ النَّاشئُ عنه مُكافئٌ -تمامًا- للعِلمِ النَّاشئِ عن المحسوساتِ والبَدَهيَّاتِ والمُتواتِراتِ مِن حيثُ اليقينُ والثَّباتُ[١].

أمَّا ما وصَلَ إلينا مِن أخبارِ الرَّسولِ ﷺ عن طريقِ الآحادِ[٢]: أي الخَبرُ الذي نَقلَه عنه واحِدٌ يَجوزُ أن يَكونَ قد نَسِيَ أو أَخطَأ؛ فإنَّه -مِن حيثُ إفادةُ العِلمِ- يكونُ في مَرتَبةٍ أقلَّ مِن مَرتَبةِ الخبرِ المتواترِ، ومِن هنا يتَّفِقُ جمهورُ عُلماءِ الكلامِ على أنَّ الخبرَ المتواترَ هو فقط ما تَنبني عليه العقيدةُ في الإسلامِ؛ لأنَّه دليلٌ قطعيٌّ لا يأتيه الشَّكُّ مِن بينِ يدَيهِ ولا مِن خَلْفِه[٣]، على أنَّ خبَرَ الآحادِ له قيمتُهُ في المسائلِ العَمَليَّةِ؛ أيِ: الأحكامِ الشَّرعيَّةِ، التي تُسَمَّى

---

(١) راجع: «توضيح العقائد النسفية» لسليمان خميس: ٨٢ - ٩٠.

(٢) انظر تعريف «الآحاد» في: «الحدود في الأصول» لابن فُورَك: ١٥٠، و«الحدود الكلامية والفقهية» لابن سابق الصقلي: ١٧٩ - ١٨١، و«التعريفات» للجرجاني: ١١١ - ١٠٢، و«التَّوقيف على مُهمَّات التَّعاريف» للمُناوي: ١١١، و«الكليات» للكفوي: ٣٠٩.

(٣) «شرح العقائد النَّسَفيَّة»: ١/ ٥٧، ولمعرفةِ المزيدِ مِن المعلوماتِ حولَ الدَّليلِ النَّقليِّ، وهل يُفيدُ في العقيدةِ؛ راجع: «شرح المواقف» للشريف الجرجاني: ٧٩ - ٨١ (ط. قطة العدوي)، و«الغُنية في الكلام» للأنصاري: ١/٢٤١، و«شرح الإرشاد في أصول الاعتقاد» للمُقْتَرَح: ١/١٣٦، و«المختصر الكلامي» لابن عرفة: ٩٣، و«الكليات» للكفوي: ١٠٧٠، و«الإسلام عقيدة وشريعة» لمحمود شلتوت: ٥٧ وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

«الفُروعَ» دونَ مَسائلِ الاعتِقادِ التي هي «الأُصولُ».

وممَّا يَنبغِي أن نَعرِفَهُ في هذا المَقامِ أنَّ حديثَ الآحادِ -الَّذي يتضَمَّنُ بعضَ العقائدِ- إذا تَلَقَّتهُ الأُمَّةُ بالقَبُولِ نظرًا لِتَعدُّدِ طُرُقِهِ وتَكرارِ رِوايتِه؛ فإنَّه يَرتقي بهذه القَرائنِ إلى مَرتَبةِ الحديثِ المتواترِ في إفادتِه العِلمَ اليقينيَّ في مجالِ العقيدةِ والاعتقادِ.

وقد يُقالُ هنا: إذا كان «العَقلُ» يُجَوِّزُ الخَطأَ على «الشَّخصِ الواحِدِ» فيما يَنقُلُه ويَروِيه من أخبارٍ، فكيف يَصيرُ خبَرُ «الواحِدِ» إذا قَبِلَته الأُمَّةُ وعَمِلت به خبَرًا يُفيدُ اليَقينَ، مِثلُه مِثلُ الخبَرِ المُتواتِرِ الذي لا يَتطَرَّقُ إليه احتِمالُ الخَطأِ بحالٍ؟! والجَوابُ: أن «اليَقينَ» الذي يفيدُه خَبرُ الواحِدِ أو «خَبرُ الآحادِ» حين تُجمِعُ عليه الأُمَّةُ، هذا اليَقينُ ليس مَصدَرُه هو «خَبرَ الواحِدِ» الذي يَحتَمِلُ الخَطأَ بحُكمِ العَقلِ، بل مَصدَرُه «إجماعُ الأُمَّةِ» أي قَبولُ الأُمَّةِ ورِضاؤُها بهذا الخَبرِ والعَملُ به.. وقد يُسأَلُ بعد ذلك: إذا كان الأصلُ الذي استندت إليه الأمة، وهو خبر الواحد، محتملًا للخطأِ فمِن أين جاءَ هذا اليَقينُ؟

والجَوابُ: جاءَ هذا اليَقينُ من دَليلٍ نَقليٍّ لا عَقليٍّ، مُنفَصِلٍ تمامَ الانفِصالِ عن خَبرِ الآحادِ، وهو قَولُه ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي على ضَلَالَةٍ**»(١)... فهذا الحَديثُ هو الحُجَّةُ في أن ما تُجمِعُ عليه الأُمَّةُ

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٧) من حديث ابن عمر. وقال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ».

www.alimamaltayeb.com

يَكونُ صَحيحًا ويَقينيًّا، حتَّى وإن كان الخَبرُ الذي استَنَدت إليه في هذا الإجماعِ خبرَ آحادٍ لا يُفيدُ اليَقينَ. ومن هنا: قد يَكونُ حَديثُ الآحادِ مُحتمِلًا للخَطأِ، لكنَّه يفيدُ اليَقينَ حين تعملُ به الأُمَّةُ، وكذلك قد يَكونُ حَديثُ الآحادِ صَحيحًا من حيث الثُّبوتُ، ولكن تَترُكُه الأُمَّةُ ولا تَعمَلُ به، فلا يَكونُ حَديثًا مَعمولًا به، ولا يَلزَمُنا اتِّباعُه في الفُروعِ فَضلًا عن الأُصولِ.. ومن هذا البابِ كُلُّ أحادِيثِ الآحادِ التي لم تَجرِ حَياةُ المُسلِمينَ في مُجتَمَعاتِهم على العَملِ بها وتَطبيقِها، مِثلَ أحاديثِ: رِضاعِ الكَبيرِ، وتحريمِ الصَّلاةِ في المَساجِدِ التي بها أَضرِحَةٌ للأولياءِ والصَّالحِينَ، ومِثلَ حَديثِ الذُّبابَةِ وغَيرِها.. فهذه الأحادِيثُ لم تَجتمِعْ عليها الأُمَّةُ؛ فهي غَيرُ مُلزِمَةٍ.

- **مسائلُ العقيدةِ في الإسلامِ:**

إنَّ ما يُهِمُّنا بَحثُه هنا ليس هو كلَّ عقيدةٍ يَعتقِدُ بها هذا الفريقُ أو ذاك مِن النَّاسِ، وإنَّما يَقتصِرُ بحثُنا على «**العقائدِ الإسلاميَّةِ**» الَّتي جاءَ بها القرآنُ الكريمُ، وزادَتها تفصيلًا وشرحًا الأحاديثُ الصَّحيحةُ مِن سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ، **وهذه العقائدُ هي:**

- **الإيمانُ باللَّهِ تعالى.**
- **الإيمانُ بالرُّسُلِ.**
- **الإيمانُ باليومِ الآخِرِ.**

www.alimamaltayeb.com

أو ما يُسَمَّى بـ: الإلٰهيَّاتِ، والنُّبُوَّاتِ، والسَّمعيَّاتِ.

ويَتفرَّعُ على هذه الأُصولِ الثَّلاثةِ قضايا أُخرى كثيرةٌ، مِثلُ «قضايا الجَبرِ والاختيارِ مِن أفعالِ الإنسانِ، ومِثلُ «الإيمانِ بالكُتُبِ المُنزلةِ» و«الملائكةِ» و«الجنَّةِ والنَّارِ»... إلى قضايا عديدةٍ تَوَلَّى بَحثَها بالتَّفصيلِ عِلمٌ يُسمَّى: «عِلمَ الكلامِ» أو «عِلمَ التَّوحيدِ»، وهو العِلمُ الَّذي تُشَكِّلُ «العقيدةُ» بأُصولِها وفُروعِها مَركَزَ الدَّائرةِ في أبحاثِه ودِراساتِه بكلِّ اتِّجاهاتِها وأبعادِها.

ونُلاحِظُ أنَّ العقيدةَ في الإسلامِ تُرادِفُ الإيمانَ، والقرآنُ الكريمُ يُعبِّرُ عنِ العقيدةِ بـ«الإيمانِ»، كما يُعبِّرُ عنِ الشَّريعةِ بـ«العملِ الصَّالحِ»، وذلك في كثيرٍ مِن الآياتِ الكريمةِ، مِثلِ قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وسنَدرُسُ فيما يلي مِن صفَحاتِ هذا الفَصلِ مسائلَ العقيدةِ ممَّا يَتعلَّقُ بالإلٰهيَّاتِ والنُّبُوَّاتِ والسَّمعيَّاتِ، مُلتزمِينَ في دِراستِنا إيَّاها بمَذهبِ جُمهورِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، ومُبتعِدِينَ عنِ التَّعقيداتِ الفلسفيَّةِ والكلاميَّةِ قَدْرَ الإمكانِ.

* * *

www.alimamaltayeb.com

مَبَاحِثُ الإِلَهِيَّاتِ

الإِلَٰهيَاتُ

الإيمانُ باللَّهِ تعالى:

الإيمانُ باللَّهِ تعالى هو الأصلُ الأوَّلُ مِن أُصولِ العقيدةِ الإسلاميَّةِ، وهو الأساسُ الَّذي تتماسَكُ مِن حولِه بقيَّةُ الأصولِ، وتَستَمِدُّ مِنه صِدقَها ويقينَها، وتجبُ الإشارةُ هنا إلى أنَّ «الذَّاتَ الإلٰهيَّةَ» إن كانت موضوعًا للإيمانِ وللاعتقادِ؛ فهي ليست موضوعًا للإدراكِ العَقليِّ عندَ الإنسانِ؛ فمِنَ المُمكِنِ أن يَصِلَ الإنسانُ بنَظَرِه العَقليِّ إلى إثباتِ وُجودِ اللَّهِ، وإثباتِ ما يَليقُ بِهِ مِن التَّوحيدِ، ومِن صفاتِ الكمالِ والتَّنزيهِ، ولكن لا يُمكِنُ لهذا العَقلِ -كائنًا ما كان ذَكاؤُه وإدراكُه وقدرتُه وطاقتُه- أن يَصِلَ إلى إدراكِ الذَّاتِ الإلٰهيَّةِ ومعرفةِ حقيقتِها وكُنْهِها.

والقرآنُ الكريمُ وهو يَطلُبُ مِن الإنسانِ أن يُؤمِنَ باللَّهِ؛ فإنَّه يَفتَحُ أمامَه بابَ النَّظَرِ إلى معرفتِه -تعالى- عن طريقِ آثارِه ودَلائلِه المبثوثةِ في الكونِ، في نَفسِ الوقتِ الَّذي يُوصِدُ فيه أيَّ بابٍ يَظُنُّ العَقلُ أو يَتَوَهَّمُ مِن خلالِه أنَّهُ قادرٌ على إدراكِ الذَّاتِ الإلٰهيَّةِ[1]:

---

(١) «الإسلام عقيدة وشريعة» لمحمود شلتوت: ٢٦.

www.alimamaltayeb.com

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٢، ١٠٣]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وتقريرُ القرآنِ الكريمِ لحقيقةِ عَجزِ العَقلِ عن إدراكِ الذَّاتِ الإلٰهيَّةِ يُشَكِّلُ قُطْبَ الرَّحى في قضيَّةِ الإيمانِ باللَّهِ تعالى، ولا يَعنِي ذلك إزراءً مِن قِيمةِ العَقلِ أو حَطًّا مِن مَكانتِه، وإنَّما هو واقعُ الأمرِ وحقيقتُه فيما يَتعَلَّقُ بطبيعةِ العَقلِ وقدرتِه وحُدودِ ما يَستطيعُه وما لا يَستطيعُه؛ فمِن طبيعةِ العَقلِ البشريِّ العَجزُ عن إدراكِ كثيرٍ مِن الحقائقِ والظَّواهرِ الَّتي يَتعامَلُ معها ليلَ نهارَ، وأوَّلُ ذلكَ حقيقةُ «النَّفسِ الإنسانيَّةِ» الَّتي هي أقرَبُ الحقائقِ إليه، وكذلك حَقيقةُ «المادَّةِ»، وحَقيقةُ الضَّوءِ، وحَقيقَةُ الجاذبيَّةِ، وحَقيقةُ الذَّرَّةِ الَّتي هي عِمادُ التَّفسيرِ العِلميِّ المُعاصِرِ لأيَّةِ ظاهرةٍ حِسِّيَّةٍ.

هذه الحقائقُ المُلتصِقةُ بالإنسانِ لا يَعرِفُ عَقلُه مِنها إلَّا آثارَها ونتائجَها وما يَتَرَتَّبُ عليها، في نَفسِ الوقتِ الَّذي يَعجِزُ فيه عَجزًا كاملًا عن إدراكِ كُنْهِها وحقيقتِها وجَوهَرِها.

وعجزُ العَقلِ عنِ الوُصولِ إلى حقائقِ هذه الأمورِ لا يَنفي وُجودَها؛ فَعَجزُ العَقلِ عن إدراكِ حقيقةِ الذَّرَّةِ لا يَعني أنَّ الذَّرَّةَ غيرُ موجودةٍ، وكذلك عجزُه عن معرفةِ حقيقةِ الضَّوءِ لا يَعني أنَّ الضَّوءَ

معدومٌ لا وُجودَ له، وقُل مِثلَ ذلك في سائرِ الحقائقِ الَّتي أَشَرنا إلى بعضِ أَمثلتِها منذُ قليلٍ.

وإذا كان العَقلُ قد عجَزَ عن إدراكِ الحقيقةِ في أمورٍ محسوسةٍ مُشاهَدةٍ تُحيطُ به مِن كلِّ جانبٍ، فكيف يَصِحُّ أن يَتخلَّى عن طبيعتِه العاجزةِ لِيَتخطَّى ما لا قِبَلَ له به مِن الحدودِ والسُّدودِ طَمَعًا في الوُصولِ إلى معرفةِ ذاتِ اللَّه تعالى وحقيقتِه؟!

إذًا؛ فبَحثُ العَقلِ في مجالِ الإيمانِ باللَّهِ تعالى هو -أوَّلًا وأخيرًا- بحثٌ في آياتِه تعالى وآثارِ حِكمَتِه، ودَلائلِه في الأنفُسِ والآفاقِ، والهدفُ منه: معرفةُ اللَّهِ تعالى بصِفاتِه وبأسمائِه الحُسنى الَّتي حدَّدَها لنا القرآنُ الكريمُ والسُّنَّةُ المُطهَّرةُ، لا إدراكُ ذاتِ اللَّهِ أو معرفتُها بحقيقتِها.. على أنَّ عَجزَ العَقلِ عن إدراكِ الذَّاتِ الإلهيَّةِ لا يَنفي وُجودَ هذه الذَّاتِ قياسًا على ما عَرَفناهُ مِن حالِ العَقلِ مع حقيقةِ الذَّرَّةِ أو حقيقةِ الضَّوءِ، فكما لا يَصِحُّ في ميزانِ المَنطِقِ السَّليمِ أن يُقالَ: إنَّ الذَّرَّةَ غيرُ موجودةٍ؛ لأنَّ العَقلَ لا يَستطِيعُ الوُصولَ إلى حقيقتِها، فكذلك لا يَصِحُّ -في مَنطِقِ الاستدلالِ الصَّحيحِ- أن يُقالَ: إنَّ اللَّهَ ليس موجودًا؛ لأنَّ العَقلَ لا يستطيعُ الوُصولَ إلى حقيقتِه(١).

---

(١) راجع في هذا الموضوع: «الإسلام دِين الفِطرة» لإبراهيم الجبالي: ١٩.

www.alimamaltayeb.com

- فِطريَّةُ الاعترافِ بوُجودِ اللَّهِ تعالى:

فِطرةُ الإنسانِ هي طريقُه الأوَّلُ نحوَ الإيمانِ باللَّهِ تعالى ومعرفتِه؛ ونَعني بالفِطرةِ -هنا- ما يَشعُرُ به كُلُّ إنسانٍ مِن مَيلٍ إلى اعتِقادِ الحقِّ وإرادةِ الخيرِ والإقرارِ بوُجودِ إلهٍ خالقٍ للكونِ مُدَبِّرٍ له، هذا الشُّعورُ أو الوَعيُ القويُّ بوجودِ «الإلهِ» هو قَدرٌ مُشترَكٌ بينَ النَّاسِ جميعًا لا يَخلُو مِنه أحدٌ مِن البَشَرِ مُنذُ بدءِ الخَليقةِ إلى أن يَرِثَ اللَّهُ الأرضَ ومَن عليها[1].

وصحيحٌ أنَّ التَّعبيرَ عن هذا الشُّعورِ -أو الفِطرةِ- كان يستقيمُ مرَّةً ويَعوَجُّ أخرى، غيرَ أنَّه لم يَخرُج في كُلِّ صُورِه عن دَلالةِ الاعتقادِ في «الإلهِ» والاعترافِ به والخضوعِ له.

وتاريخُ الأُممِ والشُّعوبِ في القديمِ والحديثِ يَشهَدُ بشُيوعِ فِطرةِ الاعتِقادِ في اللَّهِ والإيمانِ به بين الأُمَمِ الهمجيَّةِ والبائدةِ مِثلَما يَشهَدُ -بنَفسِ القَدْرِ- بشُيوعِها في الأُمَمِ المُتحضِّرَةِ والحديثةِ سواءً بسواءٍ، وقد وُجِدَ أنَّ الأُمَمَ -على تَبايُنِ لُغاتِها- كانت تُعَبِّرُ عن شُعورِها بوُجودِ «اللَّهِ» بحيثُ يَصِحُّ الحُكمُ بأنَّ «الإيمانَ بالإلهِ» لم تَخلُ منه أُمَّةٌ مِن الأُمَمِ قديمًا أو حديثًا.

بل كان الإيمانُ باللَّهِ -وسَيَظَلُّ- شُعورًا مُشتَرَكًا بين بني البَشَرِ

(١) انظر: «النُورُ المبينُ في قواعدِ عقائدِ المسلمين» لابن جُزَيٍّ: ٣٦ - ٣٨.

www.alimamaltayeb.com

جميعًا، يَشعُرُ به الصَّغيرُ والكبيرُ، والعالِمُ والجاهلُ، والعبقريُّ والخاملُ، والمُتحضِّرُ والمُتخلِّفُ، ويَستوي في الإحساسِ به الفيلسوفُ الذَّائعُ الصِّيتِ والإنسانُ البُدائيُّ البَسيطُ، ولا تُوجَدُ أُمَّةٌ ولا شَعبٌ ولا مجتمعٌ إلَّا عبَّرَ عن هذه الفِطرةِ بصُورةٍ ما مِن الصُّوَرِ(١).

ويذهَبُ الإمام الرَّازي -وتبعه ابنُ تيميَّةَ- إلى القولِ بأنَّ اللَّهَ تعالى لم يَطبَع معرفتَهُ في فِطرةِ الإنسانِ وَحدَه، بل فطَرَ الجَماداتِ والحيواناتِ على تَسبيحِه وتحميدِه وتَنزيهِه؛ فهي مَفطُورةٌ على معرفةِ خالقِها، كما فطَرَ بني آدَمَ على الإقرارِ بربوبيَّتِه.

ويستشهدان في هذا المَقامِ بقولِه تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

قال الإمامُ الرَّازيُّ: «اعلم أن الحي المكلف يسبح للَّه بوجهين: الأول: بالقول كقوله باللسان سبحان اللَّه، والثاني: بدلالة أحواله على توحيد اللَّه تعالى وتقديسه وعزته، فأما الذي لا يكون مكلفا مثل البهائم، ومن لا يكون حيا مثل الجمادات فهي إنما تسبح للَّه تعالى بالطريق الثاني»(٢).

---

(١) «الدِّين» لمحمد عبد اللَّه دراز: ٨٣، وانظر: «الإسلام دين الفِطرَة» لإبراهيم الجبالي: ١٧ - ٣٢، و«مداخل إلى العقيدة الإسلامية» ليحيى هاشم فَرغَل: ١٣٧ - ١٤٦.

(٢) «مفاتيح الغيب»: ٢٠/ ٣٤٧.

www.alimamaltayeb.com

وقال: «قولُه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ تصريحٌ بإضافَةِ التَّسبيحِ إلى السَّمواتِ والأرضِ وإلى المكلَّفِينَ الحاصلِينَ فيهِنَّ، وقد دَلَّلنا على أنَّ التَّسبيحَ المضافَ إلى الجماداتِ ليس إلَّا بمَعنَى الدَّلالةِ على تنزيهِ اللَّهِ تعالى»(١).

وأمَّا ابنُ تيميةَ فقد استشهَدَ لكَلامِ بعضِ أساتذتِه في قولِه: «وقد فَطَرَ اللَّهُ الجماداتِ على تسبيحِه وتحميدِه وتنزيهِه نُطقًا لا يفهمُه إلَّا الذي أنطَقَها به، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٤]»(٢).

وقال: «بل قد أخبرَ سبحانَه أنَّه خاطَبَ الجماداتِ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ [سبأ: ١٠]، **والتَّأوِيبُ**: هو ترجيعُ التَّسبيحِ، وهذا إنَّما يدُلُّ دَلالةً واضحةً على أنَّ الجماداتِ والحيواناتِ والطُّيورَ تَعرِفُ ربَّها معرفةً تُناسِبُ ما وهَبَهُ اللَّهُ لها مِن إمكاناتٍ لا نُدرِكُها»(٣).

هذا الشُّعورُ المُشترَكُ بينَ النَّاسِ يُشبِهُ أن يكونَ حقيقةً نفسيَّةً أشارَ إليها القرآنُ الكريمُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ

(١) «مفاتيح الغيب»: ٢٠/٣٤٨.
(٢) «مجموعة الرسائل الكبرى» لابن تيمية: ٢/ ٣٣٨.
(٣) «مجموعة الرسائل الكبرى»: ٢/ ٣٣٩ (بتصرف).

مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فظاهرُ هذه الآيةِ يَدُلُّ على أنَّ اللَّهَ تعالى أخَذَ المِيثاقَ على أرواحِ بني آدمَ بأنَّه هو ربُّهم وخالقُهم، وأنَّ هذه الأرواحَ أقرَّت بمعرفتِه، وشَهِدَت بِرُبوبيَّتِهِ في عالَمِ الذَّرِّ قبلَ وُجودِها في هذا العالَمِ بآمادٍ وأزمانٍ لا يَعلَمُ مَداها إلَّا اللَّهُ تعالى(١)، وهذا هو السِّرُّ في أنَّ كُلَّ نَفسٍ تَجِيءُ إلى هذا العالَمِ تَحمِلُ معَها أثَرَ هذا الميثاقِ الإلهيِّ المُتمثِّلَ في شُعورِها الدَّافقِ بوُجودِ اللَّهِ تعالى وربوبيَّتِهِ.

والقرآنُ الكريمُ يُشيرُ في وُضوحٍ -لا لَبسَ فيه- إلى هذه الفِطريَّةِ، ويُقَرِّرُ حقيقتَها، ويعتبرُها «حجَرَ الزَّاويةِ» في بِناءِ العقيدةِ الإلهيَّةِ؛ وذلك في قولِه تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وأكثرُ العلماءِ مُتَّفِقُونَ على أنَّ المرادَ بالفِطرةِ في هذه الآيةِ هو: الإقرارُ بمعرفةِ اللَّهِ تعالى؛ ممَّا يَعنِي أنَّ القرآنَ الكريمَ يُؤكِّدُ على أنَّ الخَلقَ كُلَّهُم مَفطُورُون على دِينِ اللَّهِ؛ أي: في أصلِ خِلقَتِهم شُعورٌ

---

(١) انظر: «النُّكَت والعُيون» للماوَردِي: ٢/ ٢٧٧ - ٢٧٩، و«تفسير القرآن» لأبي المظفَّر السَّمعانيّ: ٢/ ٢٢٩ - ٢٣١، و«مفاتيح الغيب» للفخر الرازي: ١٥/ ٥٤، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير: ٢/ ٥٩.

www.alimamaltayeb.com

قويٌّ يَدفَعُهم إلى معرفتِه، والإقرارِ به، ومحبَّتِه، والخُضوعِ له[١].

ويرى ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ أنَّ تفسيرَ الفِطرةِ في الآيةِ الكريمةِ بمعنى «الاعترافِ بوُجودِ اللَّهِ» هو التَّفسيرُ الَّذي تُؤيِّدُه دَلالاتُ الكتابِ والسُّنَّةِ والآثارِ وأقوالِ السَّلفِ[٢].

ويجبُ أن تَعرِفَ أنَّ الإيمانَ الفِطريَّ ليس انعِكاسًا لِعَلاقاتِ الإنسانِ أوِ انفِعالاتِه بالوُجودِ المادِّيِّ مِن حَولِه، بل هو وعيٌ محفورٌ في طَوايا النَّفسِ الإنسانيَّةِ، يُشرِقُ في آفاقِها، ويَستَعلِنُ على صفَحاتِها.

ويَكفي في ظُهورِ هذا الوعيِ وتألُّقِه في أُفُقِ النَّفْسِ البشريَّةِ أن يُصغِيَ المرءُ إلى صوتِ الفِطرةِ الأزَليِّ في تقريرِ ضرورةِ الاعترافِ «بإلهٍ» مُبدِعٍ لهذا الكَونِ؛ ممَّا يَعني أنَّ الاعتِرافَ بوُجودِ اللَّه -عن طريقِ الفِطرةِ- لا يَتوقَّفُ على أيِّ شَرطٍ خارجيٍّ، وإنَّما يَتوقَّفُ أوَّلًا وأخيرًا على صفاءِ الفِطرةِ ونقائِها، وأنَّها لو سَلِمَت مِن العَوارِضِ والعِلَلِ الَّتي تَنحرِفُ بها عن وَجهِها الصَّحيحِ؛ فإنَّ معرفةَ اللَّهِ تُشرِقُ بين جنَباتِها لا مَحالةَ.

---

(١) «شِفاء العَليل في مسائل القضاء والقَدَر والحِكمَة والتَّعليل» لابن القَيِّم: ٣٠٢، ٣٠٣ (بتصرُّف).

(٢) م.ن: ٣٠٢.

www.alimamaltayeb.com

وممَّا ينبغي أن نَعرِفَهُ أيضًا أنَّ الفِطرةَ وإن كانتِ الطَّريقَ الأقرَبَ لِمعرفةِ الإنسانِ بربِّهِ فإنَّها كثيرًا ما تَعرِضُ لها عِلَلٌ وعوارضُ وصوارفُ تَنحرِفُ بها نحوَ الفسادِ والضَّلالِ، وتأتي وَسوَسةُ الشَّياطينِ وغَوايتُهم في مُقدِّمةِ هذه الصَّوارفِ، ثُمَّ تتلُوها عواملُ أخرى سيِّئةٌ تعملُ عملَها في الخُروجِ بالفِطرةِ عن طبيعتِها الخيِّرةِ، والانحرافِ بها نحوَ العَمَى والضَّلالِ والجُحودِ.

وقد نَبَّهَنا النَّبيُّ ﷺ إلى أمرِ انحِرافِ الفِطرةِ وفسادِها بسببِ الشَّيطانِ أو ضلالِ الأبوَينِ أوِ اضطرابِ البيئةِ الفِكريَّةِ والعَقليَّةِ؛ فقال فيما يَرويهِ عن ربِّهِ: «**وإنِّي خَلَقتُ عِبادِي حُنَفاءَ كلَّهُم، وإنَّهُم أَتَتهُمُ الشَّياطِينُ، فَاجتَالَتْهُمْ**[١] **عَن دِينِهم، وحَرَّمَتْ عَلَيهِم ما أَحْلَلْتُ لَهُم، وأَمَرَتْهُم أن يُشرِكُوا بي ما لم أُنزِّل بِهِ سُلطَانًا...**»[٢].

وإذا كان فسادُ الفِطرةِ أمرًا واردًا -بل مُعتادَ الوُرودِ- فإنَّ دَلائلَ الإيمانِ باللَّهِ لم تَنحصِر في طريقِ الفِطرةِ وَحدَها، بل فُتِحَ أمامَ الإنسانِ طريقٌ آخَرُ بالغُ الأهمِّيَّةِ في الإيمانِ، ونَعني به طريقَ الفِكرِ أو طريقَ النَّظَرِ العَقليِّ، وهو الطَّريقُ الَّذي عوَّلَ عليه القرآنُ الكريمُ كثيرًا في مُخاطَباتِه ومُناظَراتِه للمُلحِدين والمشركِين، ودَعَى النَّاسَ

---

(١) **اجتَالَتهُم**: صَرَفَتهم، وحوَّلَتهم عمَّا كانوا عليه. انظر: «تفسير غريب ما في الصَّحيحين» للحُمَيدِي: ٤٩٨.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض المجاشعي رضي الله عنه.

www.alimamaltayeb.com

جميعًا -في أكثرَ مِن ثلاثِ مِئَةِ آيةٍ- إلى استِعمالِه والاحتكامِ إليه، وقد وصَفَ القرآنُ أهلَ التَّفكُّرِ والتَّذكُّرِ والتَّعقُّلِ بأنَّهُم أُولُو الألبابِ، وأنَّهم المَهديُّون مِن اللَّهِ، وميَّزَهُم بتفضيلِهم على غيرِهم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٨﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١].

* * *

وفي إطارِ النَّظَرِ العَقليِّ طرَحَ المفكِّرُون المسلمون أنماطًا عديدةً ودقيقةً في مجالِ الاستِدلالِ على وُجودِ اللَّهِ تعالى؛ **نكتفي منها بذكرِ النَّماذجِ التَّاليةِ:**

- مِن الأدلَّةِ العقليَّةِ على وجودِ اللَّهِ تعالى:

أوَّلًا: دليلُ الحدوثِ وهو دليلُ المتكلِّمِين:

يَتركَّبُ هذا الدَّليلُ(١) مِن مُقدِّمتَينِ تُؤدِّيانِ إلى نتيجةٍ تَلزَمُ لُزومًا عقليًّا عن هاتينِ المقدِّمتَينِ:

١- المُقدِّمةُ الأُولى: العالَمُ حادِثٌ.

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذا الدَّليل، راجع: «التَّمهيد» للباقلَّاني: ٢٢ - ٢٣ (ط. مكارثي) و«البيان عن أصول الإيمان» للسِّمناني: ٦٠، و«نهاية العقول في دِراية الأصول» للرَّازي: ١/ ٣٩٩ - ٤٢٥.

www.alimamaltayeb.com

٢- **المُقدِّمةُ الثَّانيةُ**: كُلُّ حادثٍ لا بُدَّ له مِن مُحدِثٍ.

٣- **النَّتيجةُ**: العالَمُ له مُحدِثٌ هو اللَّهُ تعالى.

ومعنى المُقدِّمةِ الأُولى: أنَّ العالَمَ الَّذي هو جميعُ الموجوداتِ؛ مِن جمادٍ ونباتٍ، وحَيوانٍ، وإنسانٍ، وجميعَ الأُصولِ الَّتي تدخُلُ في تركيبِ هذه الموجوداتِ مِن ذرَّاتٍ وموادَّ، وعناصرَ، وطاقاتٍ -هذا العالَمُ قد وُجِدَ بعدَ عَدَمٍ؛ أي: أنَّه لم يكُن أوَّلًا ثمَّ كان بعدَ ذلك، والوجودُ بعدَ العَدَمِ هو معنى «الحدوثِ»؛ فالعالَمُ بهذا المعنى لا شكَّ في أنَّه حادثٌ. . والمُشاهَدةُ الحسِّيَّةُ تُثبِتُ -فِعلًا- أنَّ العالَمَ حدَثَ بعدَ أن لم يكُن؛ لأنَّ أجزاءَ العالَمِ الَّتي نُشاهِدُها تُوجَدُ ثُمَّ تُعدَمُ، ثُمَّ يُوجَدُ غيرُها، ثُمَّ يُعدَمُ، وهكذا.

أمَّا المقدِّمَةُ الثَّانيةُ: فهي قضيَّةٌ بسيطةٌ واضحةٌ بِذَاتِها، لا تحتاجُ في تصديقِها إلى استدلالٍ حسِّيٍّ أو عَقليٍّ؛ لأنَّ قولَنا: «كُلُّ حادثٍ له مُحدِثٌ» هو بِعَينِه قانونُ السَّببيَّةِ الَّذي نجِدُهُ في فِطرةِ النَّاسِ جميعًا.

وخُلاصةُ هذا القانونِ: أنَّك لا تستطِيعُ أن تَرى موجودًا ما مِن الموجوداتِ الجَماديَّةِ أوِ النَّباتيَّةِ أو الحيوانيَّةِ أو غيرِها ثُمَّ تُصَدِّقَ -في نَفْسِ الوقتِ- أنَّ هذا الموجودَ ظَهَرَ هكذا بدونِ سَبَبٍ أوجدَه، أو أنَّه أَوجَدَ نفْسَه بنفْسِه، هذا القانونُ الفِطريُّ هو ما عبَّرَ عنه الرَّجُلُ العربيُّ القديمُ حينَ هتَفَ مِن أعماقِه: «البَعرَةُ تَدُلُّ على البَعيرِ والقَدَمُ يدُلُّ على المسِيرِ»، وهو نفْسُه ما تُعبِّرُ عنه المقدِّمةُ الثَّانيةُ في

www.alimamaltayeb.com

دليلِ المُتكلِّمِين الَّتي تقولُ: «إنَّ كُلَّ حادثٍ لا بُدَّ له مِن مُحدِثٍ»، وهي قضيَّةٌ معلومةٌ بالضَّرورةِ، والعَقلُ إذا حكَمَ بالحُدوثِ على العالَمِ فإنَّه لا مَفَرَّ له مِن الحُكمِ باحتياجِ العالَمِ إلى مُوجِدٍ ومُحدِثٍ؛ انصِياعًا للقانونِ الفِطريِّ الَّذي تَتَضَمَّنُهُ المقدِّمةُ الثَّانيةُ.

وهنا نكونُ وَجهًا لوجهٍ أمامَ النَّتيجةِ في الدَّليلِ؛ وهي: أنَّ العالَمَ لا بُدَّ له مِن مُحدِثٍ، وهذا المُحدِثُ هو اللَّهُ تعالى.

ومِن المُمكِنِ أن يُغالِطَكَ «مُلحِدٌ» ويقولَ لك: إنَّني أتَّفِقُ معَك في أنَّ هذه الأشياءَ قد وُجِدَت بعدَ عَدَمٍ، وأتَّفِقُ معَك في أنَّه لا مَفرَّ من احتياجِها إلى مُوجِدٍ؛ لأنَّ قانونَ السَّببيَّةِ يُوجِبُ ذلك، لكن أَختلِفُ معَك في أن يكونَ المُوجِدُ للكَونِ -كما تقولُ- ذاتًا إلهيَّةً مُستقِلَّةً ومُنفصِلةً عنِ الكَونِ.. لمَ لا يكونُ مُوجِدُ الكَونِ هو نفسَ الكَونِ، ويكونُ العالَمُ قد أَوجَدَ نفسَه بنَفسِه؟!

يُجِيبُ المُتكلِّمُون على هذه المُغالَطةِ بالآتي:

١- افتِراضُ أن يكونَ العالَمُ أَوجَدَ نفسَه، مُساوٍ تمامًا لافتِراضِ أنَّ العالَمَ مخلوقٌ وخالقٌ، وبعبارةٍ أخرى: سيكونُ العالَمُ عِلَّةً ومعلولًا في آنٍ واحدٍ.

٢- والعالَمُ باعتبارِه عِلَّةً خالِقةً يجِبُ أن يكونَ موجودًا أولًا، وباعتبارِه معلولًا سيُوجَدُ - يجبُ أن يكونَ معدومًا.

www.alimamaltayeb.com

٣- ولا يُمكِنُ أن يَقبَلَ العَقلُ -بحالٍ مِن الأحوالِ- أن أَحكُمَ على أمرٍ ما مِن الأمورِ بأنَّه موجودٌ ومعدومٌ في آنٍ واحدٍ، فمِثلُ هذه الأحكامِ الَّتي تَجمَعُ بين النَّقيضَينِ يَرفُضُها العَقلُ رَفضًا مُطلَقًا.

إذًا لا يَصِحُّ عَقلًا أن يكونَ المخلوقُ خالقًا، كما لا يَصِحُّ عَقلًا أن يكونَ الخالقُ مخلوقًا، ولا بُدَّ مِن التَّفرقةِ بينهما؛ بأن يكونَ أحدُهما مُغايِرًا للآخَرِ مُغايَرةً تامَّةً بالوجودِ والعدمِ، وبالعِلِّيَّةِ والمعلوليَّةِ، وبالتَّقدُّمِ والتَّأخُّرِ، والسببيَّةِ والمسببيَّةِ.

ثانيًا: دَليلُ الإمكانِ وهو دَليلُ الفلاسِفَةِ:

إذا كان دليلُ المتكلِّمِينَ السَّابقُ قدِ اعتمَدَ على معنى الحُدوثِ الَّذي هو: الوُجودُ بعدَ العَدَمِ؛ فإنَّ مبنى دليلِ الفلاسفةِ هنا هو معنى «الإمكانِ»، ولكي نَعرِفَ معنى «الإمكانِ» يَلزَمُنا أن نَعرِضَ في اختصارٍ شديدٍ إلى معنى «المُمكِنِ»[1] ومعنى «الواجبِ»[2].

---

(١) عرَّفه الآمِدِيُّ بقوله: «الممكنُ في الاصطلاحِ هو عبارةٌ عمَّا لو فرضَ موجودًا أو معدومًا، لم يَلزَم عنه - لذاته - مُحالٌ، ولا يتِمُّ ترجيح أحد الأمرينِ له إلَّا بمُرجِّحٍ مِن خارجٍ» «المبين في شرح معاني ألفاظ الحُكماء والمتكلِّمين»: ٧٤.

(٢) الواجب - كما في «المبين» للآمدي: **٧٣** عبارة « عما يلزم من فرض عدمه المحال، فإن كان ذلك لذاته، فهو الواجب لذاته، وإن كان لغيره: فهو الواجب باعتبار غيره».

www.alimamaltayeb.com

يُقسِّمُ الفلاسفةُ الموجوداتِ كلَّها إلى قِسمَينِ:

(أ) موجودٌ مُمكِنُ الوُجودِ.

(ب) وموجودٌ واجبُ الوُجودِ بذاتِه.

(أ) **فالموجودُ المُمكِنُ:** هو الموجودُ الَّذي لو لاحظتَه جيِّدًا فسوفَ تَجِدُه في نقطةٍ وسَطٍ بين الوُجودِ وبين العَدَمِ، خُذ مَثَلًا لذلك: الشَّجرةَ الَّتي أَراها أو المنزِلَ أو الإنسانَ أو أيَّ موجودٍ أمامي، تَجِدُ أنَّ الوُجودَ والعَدَمَ بالنِّسبةِ إلى ماهيَّتِهِ سواءٌ؛ لأنَّه حين كان مَعدومًا، كان قابلًا للوجودِ، وهو الآنَ -بعدَ وُجودِه- قابلٌ للعَدَمِ مرةً ثانيةً. **بعبارةٍ ثانيةٍ:** وُجودُه بعدَ عدمِه أمرٌ مُمكِنٌ، وعدمُه بعدَ وُجودِه أمرٌ مُمكِنٌ أيضًا، وإذن فالوُجودُ والعَدَمُ بالنِّسبةِ إليه على قَدَمِ المُساواةِ، ومِن وِجهةِ النَّظرِ هذه يُطلِقُ الفلاسفةُ على كلِّ موجودٍ، تَقبَلُ ماهيَّتُهُ الوُجودَ والعَدَمَ بنفسِ الدَّرَجةِ -: «الموجودَ المُمكِنَ»، وتُسَمِّي قَبُولَ الوُجودِ والعَدَمِ: «الإمكانَ».

(ب) **أمَّا الموجودُ الواجبُ بذاتِه:** فهو الموجودُ الَّذي لا يَتصَوَّرُ العَقلُ قَبُولَه للعَدَمِ أبدًا، هذا الموجودُ الواجبُ -في اصطلاحِ الفلاسِفَةِ- هو اللَّهُ تعالى، ووجودُه مِن ذاتِه، لا مِن عِلَّةٍ أخرى أعطَتهُ هذا الوُجودَ؛ مِثلَما رأينا في المُمكِنِ الَّذي يأتيهِ الوُجودُ -أو العَدَمُ- مِن خارجِ ذاتِه، وهكذا لمَّا كانت ذاتُ المُمكِنِ تَقبَلُ الوُجودَ وتَقبَلُ العَدَمَ؛ كان وُجودُها ممنوحًا لها مِن غيرِ ذاتِها الفقيرةِ الَّتي لا تَملِكُ

www.alimamaltayeb.com

وُجودًا ولا عَدَمًا، ولمَّا كانت ذاتُ الواجبِ موجودةً أزَلًا وأبدًا ولا يَتصَوَّرُ العقلُ خُلُوَّها عنِ الوُجودِ؛ كان وُجودُها لِذاتِها، وليس ممنوحًا لها مِن مَصدَرٍ آخَرَ.

وبعد أن عَرَفْنا هذين المُصطَلَحَينِ نُتابعُ فيما يَلي مراحِلَ دليلِ الإمكانِ:

١- إذا كانت ماهيَّةُ المُمكِنِ في نُقطةٍ وسَطٍ بين الوُجودِ والعدمِ؛ فإنَّها إذا ما تَزَحزَحَت ناحيةَ الوُجودِ وأصبحَت موجودةً بالفِعلِ؛ فلا مَفرَّ للعَقلِ -حينئذٍ- مِن أن يَفترِضَ «سَبَبًا» أوجَدَ هذا المُمكِنَ ورجَّحَ جانبَ وُجودِه على جانبِ عدَمِه، ولا يُمكِنُ أن يَقبَلَ العَقلُ -في هذه المسألةِ- خُروجَ المُمكِنِ مِن العَدَمِ إلى الوُجودِ هكذا بدونِ سَبَبٍ؛ لأنَّ المبدأَ الفِطريَّ الَّذي تَحدَّثنا عنه في دليلِ المتكلِّمين -وهو مَبدَأُ السَّببيَّةِ- يَفرِضُ نفسَه هنا لِيَحكُمَ بأنَّ حادثةَ الوُجودِ الَّتي جَدَّتْ على ماهيَّةِ المُمكِنِ لا بُدَّ لها مِن سَبَبٍ رجَّحَها على جانبِ العَدَمِ.

إذًا فَمِنَ الضَّروريِّ عَقلًا أن يكونَ هاهنا سَبَبٌ مُرجِّحٌ رَجَّحَ جانبَ الوُجودِ على جانبِ العَدَمِ في المُمكِنِ.

٢- هذا السَّببُ الَّذي أعطى الوُجودَ للمُمكِنِ إن كان هو واجبَ الوُجودِ «اللَّهَ تعالى»؛ فقد تَمَّ الدَّليلُ، وثَبَتَ وُجودُ اللَّهِ تعالى.

٣- وإنِ افترضتَ مِن جديدٍ أنَّ السَّببَ مُمكِنٌ آخَرُ، فيَلزَمُكَ أن

www.alimamaltayeb.com

تبحَثَ مِن جديدٍ -أيضًا- عن سَبَبٍ لهذا السَّببِ المُمكِنِ، فإذا انتهيتَ إلى سَبَبٍ واجبٍ فقد وَصَلتَ إلى المطلوبِ؛ وهو إثباتُ وُجودِ اللَّهِ، وإن انتهيتَ إلى سَبَبٍ آخَرَ مُمكِنٍ دخلتَ في نَفسِ سِلسِلةِ البحثِ عن سَبَبٍ ثالثٍ ورابعٍ ومِئَةٍ... إلخ، وهكذا:

(أ) إمَّا أن تصِلَ إلى إثباتِ واجبِ الوُجودِ ويتمَّ المطلوبُ.

(ب) أو يَظَلَّ عقلُكَ يَهوِي في سِلسِلةِ الأسبابِ والمُسبَّباتِ وأغوارِها إلى ما لا نِهايةَ، وقد ثبَتَ لدى العَقلِ بالبَراهينِ القاطعةِ أنَّ التَّسلسُلَ في سِلسِلةِ الأسبابِ والمسبَّباتِ والعِلَلِ والمعلولاتِ الوُجوديَّةِ إلى ما لا نِهايةَ -مستحيلٌ عَقلًا، وأنَّه لا بُدَّ مِن انتهاءِ هذه السِّلسِلةِ إلى عِلَّةٍ لا عِلَّةَ لها، وموجودٍ بنفسِه لا مُوجِدَ له.

(ج) إذًا فلم يَبقَ إلَّا الافتراضُ الأوَّلُ؛ وهو ضرورةُ الانتهاءِ إلى موجودٍ واجبِ الوُجودِ بذاتِه[١].

ثالثًا: دليلُ العنايةِ ودليلُ النِّظَامِ:

ويقومُ هذا الدَّليلُ على أصلَينِ:

الأَصلُ الأوَّلُ: ما تُظهِرُه المُلاحَظةُ مِن سَرَيانِ الدِّقَّةِ الكامِلَةِ

---

(١) راجع: «المباحث المشرقية» للرَّازي: ١/ ١٢٥، و«شرح المواقف»: ٢/ ٣٣٢ وما بعدها، وراجع أيضًا: «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا بشرح الطوسي: ٣/ ٢٠.

www.alimamaltayeb.com

والإتقانِ البديعِ في الكَونِ بجميعِ مُستَوَياتِه ومَظاهرِه العُليا والسُّفلى، وسواءٌ تحدَّثنا عنِ الإنسانِ أوِ النَّباتِ أوِ الحيوانِ أوِ الأرضِ أوِ الكواكبِ، وسواءٌ تحدَّثنا عن الخليَّةِ أوِ الذَّرَّةِ أوِ المَجَرَّاتِ؛ فإنَّنا سنَجِدُ في تصميمِها دقَّةً وإتقانًا وإحكامًا وتناسُقًا وانسجامًا تَندهِشُ لها العُقولُ، وسوف نَجِدُ في الوقتِ ذاتِه أنَّ الكَونَ على هذا الوجهِ المُتقَنِ إنَّما قُصِدَ مِنه العنايةُ بالإنسانِ والاهتمامُ بشأنِه؛ إذ قد ضُبِطَ الكونُ كُلُّه على وَجهٍ يَنسجِمُ مع حياةِ الإنسانِ ويتَّفِقُ ووُجودَه، والقرآنُ الكريمُ يُقرِّرُ في أكثرَ مِن مَوضِعٍ أنَّ الإنسانَ قد سُخِّرَ له ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ، وأنَّ هذا التَّسخيرَ إنَّما جاءَ اهتمامًا بالإنسانِ وعنايةً بِه.

أمَّا الأصلُ الثَّاني في الدَّليلِ: فهو ضرورةُ العقلِ الَّتي تَقضي بأنَّه لا بُدَّ مِن افتراضِ فاعلٍ مُريدٍ مُدبِّرٍ لهذا التَّصميمِ الدَّقيقِ الَّذي قُصِدَ مِنه الاعتناءُ بالإنسانِ، ولا يُمكِنُ أن يَصِحَّ في ضرورةِ العقولِ أن يكونَ كلُّ ذلك إنَّما جاءَ مِن عَدَمٍ مَحضٍ، أو جاءَ عَبَثًا أو صُدفةً، أو مِن مُسبِّبٍ لا يَمتلِكُ عِلمًا ولا مَعرِفَةً بالنِّظامِ والتَّرتيبِ[١].

---

(١) يَرى ابنُ رُشدٍ أنَّ هذا الدَّليلَ -مع دليلٍ آخَرَ يُسمِّيه الاختراعَ- هو الطَّريقُ الشرعيُّ الذي نبَّهَ إليه القرآنُ الكريمُ واعتمدَه الصَّحابةُ رضوانُ اللَّه عليهم، وأنَّه دليلٌ مُيسَّرٌ لعقولِ النَّاسِ جميعًا، مهما اختلفَت بهم مستوياتِ العِلمِ والمعرفةِ والذَّكاءِ، وقد ضربَ ابنُ رشدٍ أمثلةً لموافقةِ جميعِ الموجوداتِ =

www.alimamaltayeb.com

. . . .

* * *

= لوجودِ الإنسانِ بـ: اللَّيلِ والنَّهارِ والشَّمسِ والقمر، والفصولِ الأربعةِ، وكذلك موافقةُ الحيوانِ والنَّباتِ والأمطارِ والأنهارِ والبحارِ، ثم لخَّصَ موافقةَ الكونِ كلِّه في موافقةِ العناصرِ الأربعةِ التي هي: الأرضُ والماءُ والنارُ والهواءُ. انظر: «الكشف عن مناهج الأدلَّة» لابن رُشد: ٦٥ وما بعدها، وأيضًا «شرح المواقف»: ٢/ ٣٥٢.

www.alimamaltayeb.com

وُجُودُ اللهِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ

يَذهَبُ كثيرٌ مِن العلماءِ إلى أنَّ قضيَّةَ إثباتِ وُجودِ اللَّهِ تعالى لم تكُن مِن أهدافِ القرآنِ الكريمِ؛ وذلك لِما تتمتَّعُ به هذه القضيَّةُ مِن يُسرٍ وسُهولةٍ في إثباتِها وإدراكِها، ولِما تتميَّزُ به معرفةُ اللَّهِ تعالى مِن حُضورٍ مُستمِرٍّ في وُجدانِ النَّاسِ جميعًا، وهو ما يُعَبَّرُ عنه أحيانًا بفِطريَّةِ الشُّعورِ بوُجودِ اللَّهِ، ويقولُونَ: إنَّ الآياتِ الَّتي جاءت تتحدَّثُ عن وُجودِ اللَّهِ إنَّما جاءت لتُثبِتَ وَحدانيَّتَه تعالى ونَفيَ الشَّريكِ عنه.

والحَقيقَةُ أنَّ قضيَّةَ وُجودِ اللَّهِ تعالى رُغمَ أنَّها تُعَدُّ مِن أقرَبِ القضايا إلى العَقلِ والوُجدانِ؛ إلَّا أنَّنا قد وَجَدنا في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ مَن جَحَدُوا الصَّانعَ المُدبِّرَ العالِمَ القادرَ، «وزَعَمُوا أنَّ العالَمَ لم يَزَل موجودًا كذلك بنفسِه لا صانعٍ، ولم يَزَلِ الحيوانُ مِن نُّطفةٍ، والنُّطفةُ مِن حيوانٍ، كذلك كان، وكذلك يكونُ أزلًا أبدًا»[1].

وقد جاءت آياتُ القرآنِ الكريمِ لِتَرُدَّ على هؤلاء جميعًا في كلِّ زمانٍ وكُلِّ مكانٍ، وكان مُعتمَدُ آياتِ القرآنِ -في هذا المَقامِ- هو

---

(١) «المنقذ من الضلال» للغزالي: ٦٤، وانظر: «التفكير الفلسفي في الإسلام» لعبد الحليم محمود: ٦٥.

www.alimamaltayeb.com

بيانَ العنايةِ والإبداعِ والحِكمةِ في هذا العالَمِ، وفي نُظُمِهِ وقوانينِه ونواميسِه، وبَيانِ عَظَمةِ اللَّهِ وقُدرتِه في كلِّ مصنوعاتِه، وأنَّ كُلَّ ذلك إنَّما يَستدعي خالقًا وصانعًا ومُدبِّرًا.

والذي يَتدبَّرُ آياتِ القرآنِ الكريمِ يَجِدُ أنَّها تَستَوعِبُ في إعجازٍ إلهيٍّ خُلاصةَ الاستدلالاتِ السَّابقةِ الَّتي طَوَّلَ بها كلٌّ مِن: أصحابِ الفِطرةِ والمتكلِّمِينَ والفلاسفةِ؛ فقد رَدَّ القرآنُ الكريمُ بضَرُوريَّاتٍ فِكريَّةٍ على مَنِ انحَرَفَت فِطرتُه، مُذَكِّرًا إيَّاهُ بضَرُورةِ دَلالةِ الخَلقِ على الخالقِ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [إبراهيم: ١٠].

كما لَفَتَ العُقولَ إلى خُلاصةِ دَلالةِ الحادثِ على المُحدِثِ -كما يقولُ المتكلِّمُون- أو دَلالةِ المُمكِنِ الوُجودِ على الواجبِ الوجودِ -كما يقولُ الفلاسفةُ- وذلك في آيةٍ قصيرةٍ مِن آياتِه الكريمةِ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥].

إنَّ الجُزءَ الأوَّلَ مِن هذه الآيةِ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾ يُقَرِّرُ عن طريقِ الاستفهامِ الاستنكاريِّ استحالةَ أن يَجِيءَ الوُجودُ مِن العَدَمِ؛ أي: استحالةَ أن يَجِيءَ شيءٌ هكذا مِن غيرِ سببٍ مُوجِدٍ.

وهذا الجُزءُ تعبيرٌ بالغُ الدِّقَّةِ عن قضيَّةٍ قَبْلِيَّةٍ مركوزةٍ في طبائعِ الموجوداتِ كُلِّها، وأَعني بها: قضيَّةَ السَّببيَّةِ، وهي ذاتُ القضيَّةِ الَّتي عبَّرَ عنها المتكلِّمون في دليلِهم بقولِهم: «كلُّ حادثٍ لا بُدَّ له

www.alimamaltayeb.com

مِن مُحدِثٍ»، وعبَّرَ عنها الفلاسفةُ في دليلِهم بقولهم: «كلُّ مُمكِنٍ فَلَهُ عِلَّةٌ».

أمَّا الجُزءُ الثَّاني مِن الآيةِ الكريمةِ: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾؛ فإنَّهُ يُقَرِّرُ -بطريقِ الاستفهامِ الاستنكاريِّ أيضًا- استحالةَ أن يَخلُقَ الشَّيءُ نفسَه؛ أي: يُقرِّرُ ضرورةَ المُغايَرةِ التَّامَّةِ بين مفهومِ «الخالقِ» ومفهومِ «المخلوقِ»؛ فلا يَصِحُّ في مَنطِقِ العُقولِ أن يكونَ المخلُوقُ خالقًا، كما لا يَصِحُّ أن يكونَ الخالقُ مخلوقًا.

وهذا المعنى أيضًا هو ما انتهى إليه دليلُ المتكلِّمينَ مِن أنَّ للعالَمِ مُحدِثًا هو اللَّهُ تعالى، وهو نفسُه ما انتهى إليه دليلُ الفلاسفةِ مِن أنَّ عِلَّةَ المُمكِناتِ خارجةٌ عن سِلسِلةِ المُمكِناتِ، وأنَّها لا تكونُ مُمكِنةَ الوُجودِ بحالٍ مِن الأحوالِ.

هذه الآيةُ الكريمةُ تُنَبِّهُ -في المَقامِ الأوَّلِ- إلى مبدأِ السَّببيَّةِ، ثُمَّ تُنَبِّهُ ثانيًا إلى مبدأِ الفَصلِ المُطلَقِ بين مفهومَينِ لا تَداخُلَ بينهما بحالٍ؛ هما: مفهومُ الخالِقِ ومفهومُ المخلوقِ، وقد مَرَّ بنا أنَّ مُحاوَلاتِ المتكلِّمينَ والفلاسفةِ -برغمِ تعقُّدِها- لم تخرُج عن هذينِ الأصلَينِ اللَّذينِ تضمَّنَتهما الآيةُ الكريمةُ.

***

www.alimamaltayeb.com

استحالةُ الصُّدفةِ

- معنى الصُّدفةِ:

تَقَدَّمَ في فقرةٍ سابقةٍ -وهي: «إثباتُ وُجودِ اللَّهِ تعالى»- أنَّ «الكونَ» أو «العالَمَ» مُحتاجٌ في وُجودِه إلى «الخالقِ»، وأنَّ عُقولَ البُسَطاءِ -فضلًا عن عُقولِ العلماءِ والفلاسفةِ والمفكِّرينَ- لا تصدِّقُ أبدًا أن يَستغنِيَ العالَمُ في إخراجِه مِن العَدَمِ إلى الوُجودِ عن سببٍ مُوجِدٍ، ومع ذلك وَجَدنا بعضًا ممَّن يُوصَفُون بالعِلمِ أو الفلسفةِ أو الفِكرِ تستريحُ أذهانُهم إلى مِثلِ هذا التَّصوُّرِ الشَّاذِّ، بل المستحيلِ، ويقولون: إنَّ هذا الكونَ لم يُوجِدْه مُوجِدٌ، وإنَّما حصَلَ هكذا عن طريقِ الصُّدفةِ، وحين يُسأَلُون عن كيفيَّةِ حُصولِ العالَمِ عن طريقِ الصُّدفةِ يقولُون: إنَّ ملايينَ الملايينِ مِن الذَّرَّاتِ اللَّانِهائيَّةِ كانت تتحرَّكُ في فَضاءٍ لا نِهائيٍّ، وفي أَزمِنةٍ سحيقةٍ لا نِهائيَّةٍ، ولم تكُن في تحرُّكاتِها تَهدُفُ إلى غايةٍ مُعيَّنةٍ، وإنما تَتحرَّكُ حيثُما اتَّفقَ وكيفما تَيسَّرَ، وفجأةً التَحَمَت هذه الذَّرَّاتُ بعضُها ببعضٍ؛ فتكوَّنَ منها في بادئِ الأمرِ كتلةٌ ضخمةٌ جدًّا، وأثناءَ التَّحرُّكِ العشوائيِّ لهذه الكتلةِ الهائلةِ حدَثَ أنِ اصطَدَمَت بالشَّمسِ، وتفتَّتَت إلى أجزاءٍ كثيرةٍ، ومِن

www.alimamaltayeb.com

هذه الأجزاءِ تكوَّنَتِ الأرضُ والأجرامُ والكواكبُ وتشكَّلَتِ المنظومةُ الشَّمسيَّةُ الَّتي نَعرِفُها الآنَ(١).

وبرغمِ غَرابةِ هذا التَّفسيرِ ولا مَعقُوليَّتِه؛ فإنَّ طائفةً مِن مَلاحِدةِ العلماءِ قد تشبَّثُوا به وروَّجُوا له الأكاذيبَ؛ خِدمةً للإلحادِ، وسَعيًا لإحلالِ العِلمِ محَلَّ الدِّين والإيمانِ باللَّهِ تعالى، ولم يَستبصِرُوا مِن دَلائلِ الكَونِ شيئًا يَلفِتُ نَظَرَهم إلى اللَّهِ تعالى! فقالوا: إنَّ الوُجودَ كُلَّه وليدُ الصُّدفةِ، وَلنَستَمِع إلى واحدٍ مِن هؤلاء العلماءِ المُلحِدِين وهو يُعبِّرُ -في مُكابَرةٍ مُنكَرةٍ- عن قناعتِه بفَرضيَّةِ الصُّدفةِ قائلًا: «لو جلَسَت سِتَّةٌ مِن القِرَدةِ على آلاتٍ للكتابةِ، وظلَّت تَضرِبُ على حُروفِها لملايينَ مِن السِّنينَ؛ فلا نَستبعِدُ أن نَجِدَ في بعضِ الأوراقِ الأخيرةِ الَّتي كتبُوها قصيدةً مِن قصائدِ شكسبيرَ، فكذلك كان الكونُ الموجودُ الآنَ، نتيجةً لعَمَليَّاتٍ عَمياءَ، ظلَّت تدورُ في المادَّةِ لِبَلايينِ السِّنينَ»(٢).

- **نقدُ مقولةِ الصُّدفةِ:**

ويجبُ أن تَعلَمَ أنَّ القائلِينَ بمِثلِ هذا الهَذَيانِ لا يَصِحُّ أن نُصَنِّفَهُم في عِدادِ العُقلاءِ والعُلماءِ المسئولينَ عن حُرمةِ التَّفكيرِ وقِيمةِ الكلمةِ، حتَّى وإن تضَخَّمَت ألقابُهمُ العِلميَّةُ عشَراتِ المرَّاتِ.

---

(١) راجع: «دراسات في العقيدة الإسلاميَّة» لمحمد مهدي شمس الدين: ٨٨.

(٢) جوليان هكسلي «Julian Huxley» (ت. ١٩٧٥م) نقلًا عن «الإسلام يتحدى» لوحيد الدِّين خان: ٧٢.

www.alimamaltayeb.com

والقرآنُ الكريمُ يَنفي عن هؤلاء قِيمةَ العَقلِ الضَّابطِ لأفكارِهم ولِتَصَوُّرَاتِهم، ويَنأَى بكَرامةِ العَقلِ أن تَهبطَ إلى مُستوى السَّاخرين الَّذين لا يَتورَّعُون عنِ العَبَثِ بالحقائقِ العُليا والاستهزاءِ بها، يقولُ اللَّهُ تعالى في شأنِ الكافرين أيًّا كانت ألقابُهمُ العلميَّةُ ومراتبُهمُ الاجتماعيَّةُ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وإذا كان «جوليان هكسلي» «Julian Huxley» في أربعِينيَّاتِ هذا القَرنِ قد نادى بمقولةِ الصُّدفةِ هذه، ودافَعَ عنها، وحاولَ إثباتَها استنادًا إلى مُكتشَفاتِ العِلمِ الحديثِ؛ فإنَّ النَّقدَ العِلميَّ أوِ الرَّدَّ المُفحِمَ ما لَبِثَ أن جاءَه مِن مُعاصرِيه العُلماءِ، وكان في مُقدِّمَتِهِمُ العالِمُ الأمريكِيُّ «إبراهام كريسي موريسون» «Abraham Cressy Morrison» (ت. ١٩٥١م) أحدُ أقطابِ العِلمِ في عصرِه، والرَّئيسُ الأسبقُ لأكاديميَّةِ العُلومِ في نيويورك، وأحدُ المُعاصرِين لـ: «جوليانِ هكسلي» وقد ضمَّنَ رُدودَه العِلميَّةَ كتابًا صغيرًا باسم: «Man Does Not Stand Alone» تُرجِمَ إلى العربيَّةِ بعنوانِ: «**العِلم يدعو للإيمان**»[1].

---

(١) ترجمة الأستاذ محمود صالح الفلكي (ت. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، وطُبع مرَّاتٍ عديدة. كان أوَّلها في ١٩٥٤م بمكتبة النهضة المصرية - القاهرة، بتصدير الشيخ أحمد حسن الباقوري (ت. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) وتقديم الدكتور أحمد زكي (ت. ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

وكان من آخرها: طبعة دار وحي القلم - دمشق: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

www.alimamaltayeb.com

وأيضًا ألَّفَ الأستاذُ وحيدُ الدِّين خان كتابَه: «**الإسلامُ يتحدَّى**»؛ لِيَرُدَّ به على دَعاوى «جوليان هكسلي» المادِّيَّةِ الَّتي حاوَلَ بها أن يَنالَ مِن الأديانِ بشكلٍ عامٍّ.

ويتلخَّصُ الرَّدُّ على «مقولةِ الصُّدفةِ» في ناحيتَينِ: ناحيةِ الدَّليلِ العَقليِّ، وناحيةِ الدَّليلِ الرياضيِّ.

أمَّا الدَّليلُ العقليُّ: فهو استحالةُ وِلادةِ «النِّظامِ» مِن «الفوضى»، أو مجيءِ الحِكمةِ مِن العَبَثِ؛ لأنَّ الصُّدفةَ تَعني: انعدامَ الوعيِ والقصدِ والإرادةِ، كما تَعني: العَبَثَ والفوضى والتَّشويشَ، وهذا الكونُ -باعترافِ المادِّيِّينَ أنفسِهم- مبنيٌّ على نظامٍ دقيقٍ، وإحكامٍ مُدهشٍ، وتأليفٍ بديعٍ يَقصِدُ إلى غايةٍ ظاهرةٍ؛ هي توفيرُ الشُّروطِ اللَّازمةِ لحياةِ الإنسانِ والكائناتِ الحيَّةِ، وما يترتَّبُ على هذه الحياةِ مِن آثارٍ وأفعالٍ، ومِن البَدَهِيِّ أن يَستدعيَ عُنصرُ القَصدِ في نظامِ الكونِ «عقلًا» أو يَستلزِمَ «عِلمًا».

فإذا قُلنا: إنَّ هذا الكونَ المُنظَّمَ عن عِلمٍ وقَصدٍ هو وليدُ صُدفةٍ عَمياءَ لا تَعرِفُ العِلمَ والقَصدَ مِن قريبٍ أو بعيدٍ، فبماذا يُفَسِّرُ العَقلُ وِلادةَ «النِّظَامِ» في هذا الكونِ؟ هل وَلَدَتهُ فوضى الصُّدفةِ؟ وهل يُمكِنُ لفاقدِ الشَّيءِ أن يَمنَحَه ويُعطِيَه لغَيرِه؟ أو يُمكِنُ لفاقِدِ النِّظامِ وجاهِلِه أن يُبدِعَ نِظامًا ودِقَّةً؟ وكيف؟ أم وُلِدَ هكذا بدونِ سببٍ؟ وهل يَصِحُّ في الأذهانِ أن يَحدُثَ شيءٌ بدونِ مُحدِثٍ؟!

www.alimamaltayeb.com

إنَّ مقولةَ الصُّدفةِ فوق أنَّها تصمُتُ عن إجابةِ السُّؤالِ المُتعلِّقِ بنشأةِ الكونِ إجابةً منطقيَّةً، فإنَّها تَصدِمُ بَدِيهةَ العَقلِ ومَبدأَهُ الأوَّلَ، وهو مبدأُ «السَّببيَّةِ» الَّذي تحدَّثنا عنه ونحن بِصَدَدِ الكلامِ على الأدلَّةِ العَقليَّةِ لإثباتِ وُجودِ اللَّهِ تعالى.

وكلُّ قولٍ يُصادِمُ هذا المبدَأَ الفِطريَّ المركوزَ في نُفوسِ النَّاسِ جميعًا -فإنَّ العَقلَ هو أوَّلُ مَن يَحكُمُ عليه بالزَّيفِ والتَّدليسِ[1].

والدَّليلُ الرياضِيُّ: الذي يُحِيلُ مقولةَ الصُّدفةِ ويَنسِفُها مِن الجُذورِ هو دليلُ «حسابِ الاحتمالاتِ»، ومُلخَّصُ هذا الدَّليلِ يقومُ على خُطُواتٍ ثلاثٍ:

١- **الخُطوةُ الأُولى**: أنَّنا نُشاهِدُ في الكونِ انسِجامًا مُطَّرِدًا بين كُلِّ ظاهرةٍ مِن ظواهرِ الطَّبيعةِ وبين حياةِ الإنسانِ، ويَحمِلُنا ذلك على الاعتقادِ بأنَّ كُلَّ هذه الظَّواهرِ -على كَثرتِها الهائلةِ- مُسخَّرةٌ في اتِّجاهِ تيسيرِ حياةِ الإنسانِ ككائنٍ حيٍّ، ودليلُنا على ذلك: أنَّ

(١) وهذه الأدِلَّةُ العقليَّةُ أنفُسُها ترُدُّ على سَفسطَةِ بَعضِ السِّياسيينَ العالَميينَ الذين يُنادُونَ بما يُسَمَّى «الفَوضَى الخلَّاقَةِ»، هذه الكلمةُ مُركَّبةٌ مِن موصوفٍ عَدَميٍّ المعنَى (= الفَوضَى)، وصِفَةٍ وجوديَّةِ المعنَى (= الخَلَّاقة) وبعبارةٍ أوضحَ: في هذه الكلمةِ وُصِفَ «العدمُ» بـ«الوجودِ» وهذا تناقضٌ في الحدودِ يَعلَمُ استحالَته طُلَّابُ المدارسِ، وأنَّه لا يُمكِنُ تَصَوُّرُه: اللهمَّ إلَّا في عُقولٍ تَسْخَرُ مِنَ البَدهيَّاتِ المنطقيَّةِ وتَهْزَأُ بأوائلِ الأذهانِ.

www.alimamaltayeb.com

حُدوثَ أيِّ اضطرابٍ أو تغييرٍ في هذه الظواهرِ إنَّما يَعني توقُّفَ هذه الحياةِ ونهايتَها الفوريَّةَ[١].

---

(١) من أمثلةِ هذه الظَّواهر:

- المسافةُ الَّتي تَفصِلُ بين الأرضِ والشَّمسِ مُقدَّرةٌ بصُورةٍ دقيقةٍ جدًّا لكي تتَّفِقَ مع كَمِّيَّةِ الحرارةِ اللَّازمةِ للحياةِ على سطحِ الأرضِ، وهذه المسافةُ لو كانت ضِعفَ ما هي عليه الآنَ لما كانتِ الحرارةُ كافيةً كشَرطٍ في استمرارِ الحياةِ على الأرضِ، وكذا لو كانت على النِّصفِ ممَّا هي عليه الآنَ؛ فإنَّ درجةَ الحرارةِ سترتفعُ إلى الحدِّ الَّذي تَتعذَّرُ معه الحياةُ.

- يشتملُ الهواءُ على نِسبةِ (٢١٪) من الأُكسِجين، وهذه النِّسبةُ هي بالضَّبطِ ما تحتاجُها الكائناتُ الحيَّةُ، وزيادةُ هذه النِّسبةِ تُعرِّضُ البيئةَ إلى حرائقَ شاملةٍ، ونُقصانُها يجعلُ الحياةَ عسيرةً، ولا يُوفِّرُ «النارَ» بدرجةٍ كافيةٍ لتيسيرِ مَهمَّاتِها.

- يَبتعِدُ القمرُ عنِ الأرضِ بمسافةٍ معيَّنةٍ تتَّفِقُ تمامًا مع تيسيرِ حياةِ الإنسانِ على الأرضِ، ولو كان بُعدُ القمرِ عن الأرضِ بمسافةٍ أقصرَ من هذه المسافةِ لأدَّى ذلك إلى مُضاعفةِ ظاهرةِ «المدِّ»، ولَتضاعَفَت قوَّتُه إلى الحدِّ الَّذي يُزيحُ الجبالَ من أماكنِها.

- «حتى الجَمالُ والعِطرُ والبهاءُ كظواهرَ طبيعيَّةٍ؛ نجدُ أنها توجَدُ في المواطنِ الَّتي يتوافقُ وجودُها فيها مع مَهمَّةِ تيسيرِ الحياةِ... فالأزهارُ الَّتي تُركَ تلقيحُها للحشراتِ لُوحِظَ أنَّها قد زُوِّدَتْ بعناصرِ الجمالِ والجذبِ مِن اللَّونِ الزَّاهي والعِطرِ المُغري بنحوٍ يتَّفِقُ مع جذبِ الحشرةِ إلى الزَّهرةِ وتيسيرِ عمليَّةِ التَّلقيحِ، بينما لا تتميَّزُ الأزهارُ الَّتي يحملُ الهواءُ لِقاحَها عادةً بعناصرِ الإغراءِ، وظاهرةُ الزَّوجيَّةِ على العمومِ، والتَّطابقُ الكاملُ بين التَّركيبِ الفِسيولوجيِّ للذَّكَرِ والتَّركيبِ الفِسيولوجيِّ لأُنثاه في الإنسانِ، =

www.alimamaltayeb.com

٢- **الخُطوةُ الثَّانيةُ**: هذا التَّوافُقُ والانسجامُ المُطَّرِدُ بين ملايينِ الظَّواهرِ الطَّبيعيَّةِ مِن جانبٍ ومَهمَّةِ تيسيرِ حياةِ الإنسانِ مِن جانبٍ آخَرَ يُمكِنُ تفسيرُه بفرضيَّةٍ واحدةٍ فقط؛ هي وُجودُ صانعٍ حكيمٍ قَصَدَ إلى توفيرِ عُنصُرِ الحياةِ على الأرضِ مِن خلالِ تَشابُكِ هذه الظَّواهرِ العديدةِ.

ويزدادُ احتمالُ هذه الفرضيَّةِ ويتراكَمُ مع كُلِّ حالةٍ أو مِثالٍ مِن أمثلةِ التَّوافُقِ بين الظَّاهرةِ الطبيعيَّةِ وظاهرةِ الحياةِ، بحيثُ تُصبِحُ درجةُ احتمالِ التَّفسيرِ بوجودِ صانعٍ حكيمٍ درجةً عاليةً جدًّا.

٣- **الخُطوةُ الثَّالثةُ**: في مُقابِلِ ذلك لو حاوَلنا تفسيرَ كُلِّ هذه التَّوافُقاتِ في أمثلتِها اللَّانِهائيَّةِ بفرضيَّةِ الصُّدفةِ؛ فسوف نُضطَرُّ إلى افتراضِ ملايينِ الملايينِ مِن الصُّدَفِ، ومع كُلِّ حالةٍ أو مِثالٍ سوف تَهبِطُ درجةُ الاحتمالِ حتى تُصبِحَ صفرًا.

وهكذا مع صُعودِ «احتمالِ» فرضيَّةِ الصَّانعِ وهبوطِ «احتمالِ» فرضيَّةِ الصُّدفةِ يُرَجِّحُ العقلُ -بدرجةٍ لا يَشُوبُها الشَّكُّ- الاحتمالَ الأوَّلَ، ويَستبعِدُ -كُلِّيًّا- الاحتمالَ الثَّانيَ، ونَصِلُ في النِّهايةِ «إلى

= وأقسامُ الحيوانِ والنَّباتِ على النَّحوِ الَّذي يَضمَنُ التَّفاعلَ واستمرارَ الحياةِ - مَظهرٌ كونيٌّ آخَرُ للتَّوافقِ بين الطَّبيعةِ ومَهمَّةِ تَيسيرِ الحياةِ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨]».

«موجز في أصول الدِّين» للسَّيِّد محمد باقر الصَّدر: ٤١، ٤٢.

www.alimamaltayeb.com

النَّتيجةِ القاطعةِ؛ وهي أنَّ للكونِ صانعًا حكيمًا، بدَلالةِ كُلِّ ما في هذا الكونِ مِن آياتِ الاتِّساقِ والتَّدبيرِ»[1]: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

- مِثالٌ للاحتمالِ واستحالةِ الصُّدفةِ:

وَلنَضرِب لذلك مَثَلًا: العَينَ الباصرةَ في الإنسانِ؛ فإنَّنا لو أَخَذنا طَبَقةً واحدةً مِن طبَقاتِ العَينِ، وهي الطَّبقةُ الأخيرةُ؛ لَوَجدناها تتألَّفُ مِن مليون ومائتَي ألفِ خَيطٍ مِنَ الخُيوطِ الرَّقيقةِ (الألياف)، إضافةً إلى مليونٍ وأربع مئةِ ألفِ جِسمٍ مِنَ الأجسامِ الصَّغيرةِ الدَّقيقَةِ مخروطيَّةِ الشَّكلِ، هذه الخيوطُ مُرتَّبةٌ بصُورةٍ بالغةِ الدِّقَّةِ لكي تَتِمَّ عمليَّةُ الإبصارِ في العَينِ.

فلو فرَضنا -عَقلًا- أنَّنا رقَّمنا هذه الخُيوطَ بأرقامٍ مُسلسَلةٍ مِن واحدٍ إلى مليون ومائتَيْ ألفٍ، ثمَّ خَلَطنا هذا التَّرتيبَ وشوَّشناهُ، وأَرَدنا بعدَ ذلك أن نتصوَّرَ إعادةَ هذه الخُيوطِ بالتَّرتيبِ اللَّازمِ لعمليَّةِ الإبصارِ، ولكن عن طريقِ الصُّدفةِ والاتِّفاقِ فما هي نِسبةُ احتمالِ أن يجيءَ الخَيطُ رقْمُ (١) في مَكانِه الصَّحيحِ في التَّرتيبِ الَّذي تتمُّ به عمليَّةُ الإبصارِ؟

---

(١) «موجز في أصول الدِّين»: ٤٤، ٤٥.

www.alimamaltayeb.com

إنَّ هذه النِّسبةَ هي احتمالٌ واحدٌ مِن بينَ مليون ومائتَيْ ألفٍ مِن الاحتِمالاتِ، ونِسبةُ احتمالِ أن يحتلَّ الخيطُ رقْمُ (٢) مكانَه الصَّحيحَ بطريقِ المُصادَفةِ هي احتمالٌ واحدٌ مِن بينِ تِسعِ مِئَةِ بليونِ احتمالٍ، ولك أن تتصوَّرَ قيمةَ احتِمالِ أن يَحتَلَّ الخيطُ رقْمُ (١٠) أو رقْمُ (١٠٠) أو رقْمُ (١٠٠٠) مكانَه الصَّحيحَ؛ فإنَّ طُولَ عددِ الاحتمالاتِ هنا يَبلُغُ عشَراتِ الأمتارِ مِن الأصفارِ، وفي نَفسِ الوقتِ تتضاءلُ قيمةُ الاحتمالِ إلى أن يَصِلَ إلى الصِّفرِ[١].

وهذا في جُزءٍ واحدٍ مِن عُضوٍ واحدٍ مِن أعضاءِ الإنسانِ، فكيفَ بهذا الكونِ الرَّهيبِ المُدهِشِ بَدءًا مِن الذَّرَّةِ وانتهاءً بالمَجَرَّةِ؟!

* * *

---

(١) راجع: «دراسات في العقيدة الإسلاميَّة» لمحمد مهدي شمس الدين: ٩١، ٩٢، وراجع أيضًا: «قِصَّة الإيمان» لنَدِيم الجِسْر: ٢٩٤ وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

صِفَاتُ اللهِ تَعَالَى

عرَفنا في الصَّفَحاتِ السَّابقةِ أنَّ قضيَّةَ «وجودِ اللَّهِ تعالى» قضيَّةٌ يقينيَّةٌ وثابتةٌ ثُبوتًا قطعيًّا، وأنَّها ليست قَضيَّةً بَدهيَّةً، مِثلَ قَضيَّةِ: الكُلُّ أكبَرُ من الجُزءِ، أو قَضيَّةِ: ٢ + ٢= ٤، أو ما شابَهَ هذه القَضايا، وإلَّا لو كانت في دَرجَةِ وُضوحِ هذه القَضايا -البَدهيَّةِ- لما كَفَرَ إنسانٌ واحِدٌ باللَّهِ تعالى. كما عرَفنا أنَّ الطَّريقَ الَّذي تَوصَّلنا مِن خلالِه إلى إثباتِ هذه القضيَّةِ هو الفِطرةُ والعَقلُ.

وننتقلُ الآنَ إلى معرفةِ صِفاتِ اللَّهِ تعالى وأسمائِه الحُسنى وأوصافِه الَّتي يُمكِنُ أن يُوصَفَ بها.

وأوَّلُ ما ينبغي أن نَعِيَهُ هنا هو أنَّ مجالَ العَقلِ في صِفاتِ اللَّهِ وأسمائِه مجالٌ محدودٌ ومحصورٌ، فإذا كان العَقلُ قدِ انتهى إلى أنَّ اللَّهَ هو خالقُ هذا الكونِ، وفي هذا الكونِ صِفاتُ كمالٍ متعدِّدَةٌ تتمثَّلُ في العِلمِ والغِنَى والرَّحمةِ والعَدلِ؛ فيجبُ أن يَتَّصِفَ اللَّهُ بهذه الكَمالاتِ -إجمالًا- وعلى وَجهٍ يَلِيقُ بذاتِه المقدَّسةِ؛ لأنَّه لا يُعقَلُ أن يكونَ هو مَصدَرَ ما نراهُ مِن هذه الكَمالاتِ وواهبَها ومُعطِيَها، وهو خالٍ منها ولا يتَّصِفُ بها.

www.alimamaltayeb.com

هنا يَحكُمُ العَقلُ حُكمًا ضروريًّا بثُبوتِ هذه الصِّفاتِ للَّهِ أوَّلًا، وإلَّا كُنَّا أمامَ أنواعٍ مِن صِفاتِ الكَمالِ البَشريِّ لا سَببَ لها ولا مُوجِدَ، وهو أمرٌ مُستَحيلُ التَّصوُّرِ حَسبَ قاعِدَةِ: «كُلُّ حادِثٍ لا بُدَّ له مِن مُحدِثٍ»، فإذا سَلَّمنا بأنَّ صِفاتِ الكَمالِ والجَمالِ والتَّفكيرِ والعِلمِ والرَّحمَةِ وغَيرَها المُنتشِرَةَ في هذا الكَونِ لها سَبَبٌ هو واهِبُها ومُعطِيها فيَجِبُ التَّسليمُ بالقاعِدَةِ العَقليَّةِ الأُخرى التي تُقَرِّرُ أنَّه «يَجِبُ أن يكونَ في العِلَّةِ قَدرُ ما في المَعلولِ على الأقَلِّ».. وبذلك تَثبُتُ عَقلًا صِفاتُ الجمالِ والجَلالِ للَّهِ تعالى.

وإذن فدَورُ العَقلِ في مجالِ إثباتِ الصِّفاتِ أَضيَقُ دائرةً مِن مجالِه في إثباتِ الذَّاتِ؛ إذ كلُّ ما يُثبِتُه العَقلُ في مجالِ الصِّفاتِ هو وُجوبُ أن يتَّصِفَ اللَّهُ بِكُلِّ صفةٍ مِن صِفاتِ الكمالِ، ووجوبُ أن يَتنزَّهَ عن كُلِّ صفةٍ مِن صِفاتِ النَّقصِ.

ولقد أثبَتَ اللَّهُ في كتابِه الكريمِ لِذَاتِه المقدَّسةِ صفاتٍ وأسماءً حُسنَى، وأمَرَنا أن نَدعُوَهُ بِها ونتقرَّبَ إليه بتدبُّرِها وحِفظِها وترديدِها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠].

ثُمَّ فاضت آياتُ الذِّكرِ الحكيمِ بهذه الأسماءِ والصِّفاتِ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ

www.alimamaltayeb.com

ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

كما حدَّدَ النَّبيُّ ﷺ هذه الأسماءَ في تسعةٍ وتسعينَ اسمًا، ووعَدَ مَن يُحصِيها حِفظًا وتدبُّرًا أن يكونَ جزاؤُه الجنَّةَ، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ للَّهِ تِسعةً وتسعينَ اسمًا؛ مِئَةً إلَّا واحدًا، مَن أَحصاها دخَلَ الجنَّةَ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد اختلَفَ العلماءُ في عددِ الأسماءِ الحُسنَى: هل هي محصورةٌ كلُّها في (٩٩) اسمًا أو تزيدُ على ذلك؟ يَميلُ الجمهورُ إلى الرَّأيِ الثَّاني، وحُجَّتُهم في ذلك قولُه ﷺ في الدُّعاء: «... أَسأَلُكَ بكلِّ اسمٍ هو لك سَمَّيتَ به نَفْسَك، أو أَنزلتَهُ في كتابِك، أو علَّمته أحدًا من خَلْقِكَ، أو استأثَرتَ به في عِلمِ الغَيبِ عندك...» (مسند الإمام أحمد: ٤٣١٨) ومحلّ الشَّاهِد هو: «أو استأثرت به...» ممَّا يدلُّ على أنَّ للَّه تعالى أسماءً يَستأثِرُ هو وحده بمعرفتها؛ وهذا يَعني: أنها أكثرُ من (٩٩) وكذلك ورودُ رواياتٍ أخرى تذكُرُ أسماءً مغايرةً مثل «الحنَّان، المنَّان، المغيث، الكَفيل، الخلَّاق»، وقد نقَلَ أبو بكرِ بنُ العربيِّ في «عارضة الأحوذي»: ١٠/ ٢٨١ عن «بعضِ الصوفية أن للَّه تعالى ألفَ اسم» ويقول الجمهورُ: إن تخصيصَ العَددِ المذكورِ في الحديثِ لبيانِ أهميةِ الأسماءِ المحصورةِ في هذا العددِ وكفايتِها للإنسانِ. =

www.alimamaltayeb.com

مذهَبُ السَّلفِ في إثباتِ الصِّفاتِ:

ومذهَبُ السَّلَفِ الصَّالحِ رِضوانُ اللَّهِ عليهم في مسألةِ صِفاتِ اللَّهِ تعالى هو أن نُثبِتَ للَّهِ تعالى كلَّ صِفةٍ أثبَتَها لِنفْسِه في القرآنِ مِن صِفاتٍ، أو ورَدَت بها الأحاديثُ الصَّحيحةُ، وكذلك يجبُ أن نَنفِيَ عنه كلَّ صِفةٍ نَفاها عن نفْسِه أو نَفاها عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ، مِن غيرِ أن نُكَلِّفَ أنفُسَنا عَناءَ البحثِ في كيفيَّةِ هذه الصِّفاتِ؛ لأنَّ البحثَ في كيفيَّاتِها لا يَنتهي إلَّا إلى المزيدِ مِن الحَيرةِ والغُموضِ، وكما أنَّ العَقلَ قاصرٌ وعاجزٌ عنِ البحثِ في كَيفيَّةِ الذَّاتِ الإلهيَّةِ؛ فهو بنَفْسِ القَدْرِ عاجزٌ عنِ البحثِ في كيفيَّةِ الصِّفاتِ الإلهيَّةِ، وإذا كانت ذاتُ اللَّهِ تعالى لا تُشبِهُ سائرَ الذَّواتِ الأخرى؛ فكذلك صِفاتُه لا تُشبِهُ صِفاتِ المخلوقِين.

ومذهَبُ السَّلفِ: أنَّ صِفاتِ اللَّهِ تعالى وأسماءَهُ الحُسنى توقيفيَّةٌ؛ أي: الوقوفُ في إطلاقِ الأسماءِ أو الصِّفاتِ على اللَّهِ تعالى عند الحدِّ الَّذي ورَدَ به الشَّرعُ، سواءٌ ورَدَ ذلك في القرآنِ

= راجع: «تفسير أسماء اللَّه الحُسنَى» للزَّجَّاج: ٢٢ - ٢٤، و«المقصد الأسنى في شرح أسماء اللَّه الحسنى» للغزالي: ١٦٨ - ١٧٢، و«الأمد الأقصى في شرح أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العُلى» لابن العربي: ٢/ ٤٩٠ - ٤٩٦، و«الإنباء في شرح حقائق الصِّفات والأسماء» للأُقلِيشى: ١/ ١٧٩ - ١٩٣، و«الأسنى في شرح أسماء اللَّه الحسنى» للقرطبي: ٣٩ -٤١.

www.alimamaltayeb.com

الكريمِ أوِ السُّنَّةِ الصَّحيحةِ؛ فلا يجوزُ إطلاقُ أيِّ اسمٍ على اللَّهِ تعالى اعتمادًا على العَقلِ والقِياسِ، إلَّا إذا كان هذا الاسمُ قد ورَدَ به الشَّرعُ[1].

يقولُ البغداديُّ[2]: «قال أهلُ السُّنَّةِ: إنَّها [الأسماءَ الحُسنى] مأخوذةٌ مِن التَّوقيفِ، وقالوا: لا يجوزُ إطلاقُ اسمٍ على اللَّهِ مِن جهةِ القياسِ، وإنَّما يُطلَقُ مِن أسمائِه ما ورَدَ به الشَّرعُ في الكتابِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ أو أجمَعَت عليه الأُمَّةُ»[3].

وبِناءً على هذه القاعدةِ الَّتي تُقَرِّرُ ثُبوتَ صِفاتٍ للَّهِ تعالى، ونَفيَ صِفاتٍ أُخرى عنه؛ فإنَّه يُمكِنُ إجمالُ ما أشارَت إليه آياتُ القرآنِ

---

(١) انظر: «قضيَّة التَّوحيد بين الدِّين والفلسفة» لمحمد السيد الجَلَيْند: ٤٥.

(٢) في «أصول الدِّين»: ١١٦.

(٣) انظر أيضًا: «الإرشاد» للجُويني: ٤٣، و«الأمد الأقصى في شرح أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العُلى» لابن العربي: ١/ ٢١٧، و«لوامع البينات» للرَّازيِّ: ٤٠.

والمذهبُ الثَّاني في هذه المسألةِ: هو مذهبُ المعتزلةِ الذين يَرَونَ جوازَ إطلاقِ أيِّ اسمٍ يَثبُتُ معناه للهِ تعالى، سواءٌ ورَدَ بهذا الاسمِ شرعٌ أو لم يَرِد.

والمذهبُ الثالثُ -وهو مذهبُ الإمامِ الغزاليِّ- يُفرِّقُ بين الاسمِ والصفةِ؛ فالاسمُ موقوفٌ على إذنِ الشرعِ، وأما الصفةُ فيجوزُ إطلاقُها ما دامَ مَعناها صادِقًا يَليقُ بجَلالِه تعالى، ولا يُوهِمُ نَقصًا في ذاتِه العَليَّةِ، يَقولُ الرازيُّ: «اختيارُ الشيخِ الغزاليِّ أنَّ الأسماءَ موقوفةٌ على الإذنِ، وهذا هو المختارُ». المصدر السابق.

www.alimamaltayeb.com

الكريمِ في هذا الموضوعِ في نَوعَينِ مِن الصِّفاتِ:

١- صِفاتٍ سَلبيَّةٍ.

٢- صفاتٍ ثُبوتيَّةٍ.

والصِّفاتُ السَّلبيَّةُ: هي الصِّفاتُ الَّتي تَنفي عن اللَّهِ «معنًى» لا يَلِيقُ بجلالِه وكمالِه، مِثلُ وصفِهِ تعالى بأنَّه: الواحدُ والأوَّلُ والآخِرُ، وأنَّه ليس كمِثلِه شيءٌ، وأنَّه غيرُ مُفتقِرٍ ولا مُحتاجٍ إلى غيرِه، ويقولُ المتكلِّمُونَ: إنَّ الصِّفاتِ السلبيَّةَ هي:

١- الوَحدانيَّةُ: أي أنَّه تعالى واحدٌ وَحدةً مُطلَقةً، وتَعني الوَحدانِيَّةُ[١]:

(أ) وَحدةَ الذَّاتِ: ومعناها نَفيُ التَّركيبِ والتَّعدُّدِ عنِ الذَّاتِ؛ فذاتُه تعالى لا تَترَكَّبُ مِن أجزاءٍ مِثلَما تتركَّبُ سائرُ الذَّواتِ الأخرى، وأيضًا ذاتُه لا تَتعدَّدُ؛ فليسَ له شريكٌ ولا مَثِيلٌ ولا نظيرٌ[٢].

(ب) وَحدةَ الصِّفاتِ: ومعناها نَفيُ المُشابَهةِ بين صِفاتِه وبين صِفاتِ المخلوقِين نَفيًا تامًّا[٣]. فمَثلًا: صِفَةُ «العِلمِ» أو «القُدرَةِ» تُطلَقُ على اللَّهِ تعالى وعلى الإنسانِ، فيُقالُ: «اللَّهُ عالِمٌ»، كما يُقالُ: «فُلانٌ عالِمٌ»، لكن يَجِبُ التَّنَبُّهُ إلى أنَّ الاشتِراكَ في وَصفِ

---

(١) انظر: «الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي: ١٩٦.

(٢) انظر: «القول السديد» لأبي دقيقة: ١/ ٢٦١ - ٢٦٧.

(٣) انظر: «القول السديد» لأبي دقيقة: ١/ ٢٦٧.

www.alimamaltayeb.com

«عالِم» هو اشتِراكٌ لَفظِيٌّ فقط، أمَّا المَعنَى فلا مُشابَهةَ ولا اشتِراكَ فيه. فالعِلمُ الإلهيُّ مُطلَقٌ، وعامٌّ وشامِلٌ، وأزليٌّ أبدِيٌّ، وكاشِفٌ للأشياءِ قبل وُجودِها، بخِلافِ العِلمِ البَشريِّ، فإنَّه مَحدودٌ قاصِرٌ، قابِلٌ للتَّخلُّفِ في وُقوعِ الأشياءِ على وَفْقِه، ثم هو حادِثٌ مُتغَيِّرٌ يَسبِقُه الجَهلُ ويَلحَقُه النَّقصُ.

(ج) وَحدةَ الأفعالِ: ومعناها استِقلالُ اللَّهِ تعالى وتفرُّدُه بالخَلقِ والإيجادِ والإبداعِ، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١](١).

---

(١) انظر في موضوع «الوحدانيَّة»: «اللُّمع» للأشعري: ٢٠، و«التَّمهيد» للباقلَّاني: ٢٥ (ط. مكارثي)، و«مجرد مقالات الإمام أبي الحسن الأشعري» لابن فورك: ٥٥، ٥٨، ٣٢٨، و«البيان عن أصول الإيمان» للسمناني: ٧٥ - ٨٤، و«الغنية في الكلام» للأنصاري: ٤٥٦ - ٤٦٧، و«المتوسط في الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والإلحاد» لابن العربي: ١٣١ - ١٣٣، و«النور المبين في قواعد عقائد =

www.alimamaltayeb.com

٢- **القِدَمُ والبَقاءُ**: ومعنى القِدَمِ أنَّه سبحانهُ لا أوَّلَ لوُجودِه، وأنَّ وُجودَه لا يَسبِقُه عَدَمٌ[١]، ومعنى البقاءِ أنَّه لا نِهايةَ لوُجودِه؛ فهو أَزَليٌّ أبَديٌّ، لا يَسبِقُه عَدَمٌ، ولا يَلحَقُه عَدَمٌ؛ لأنَّه تعالى «واجبُ الوجودِ»[٢].

يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨].

٣- **المُخالَفةُ للحوادِثِ**: ومعناها عَدَمُ مُماثَلَتِه سبحانه لشيءٍ مِن خَلقِه، فهو ليس جِسمًا، ولا يُوصَفُ بشيءٍ مِن صِفاتِ الأجسامِ وأحوالِها، فلا يُوصَفُ -مَثَلًا- بالجُوعِ أوِ العَطَشِ، أوِ النَّومِ أو الغَفلةِ، ولا القِيامِ ولا القُعودِ... إلى آخِرِ كلِّ هذه الأوصافِ الَّتي

= المسلمين» لابن جُزَي: ٣٩ - ٤٩، و«توضيح العقائد» للجزيري: ٧٣ - ٧٨، و«الإسلام دين الفطرة» للجبالي: ٥٠ - ٥٩.

(١) راجع: «المجرد» لابن فورك: ٤٢، ٣٢٦، و«أصول الدين» للبغدادي: ٧١، و«البيان عن أصول الإيمان» للسمناني: ٧٢، و«عقيدة أبي بكر المرادي»: ١٩٢، و«المتوسط في الاعتقاد» لابن العربي: ١٢٨، و«الإسلام دين الفطرة»: ٤٨.

(٢) راجع: «المجرد» لابن فورك: ٤٣، ٢٣٦ - ٢٤٠، و«أصول الدين» للبغدادي: ١٠٨، ١٠٩، و«الإرشاد» للجويني: ١٣٨، و«الأمد الأقصى» لابن العربي: ١/ ٤٨٩، و«المختصر في أصول الدين» لليابري: ١٤٩، و«توضيح العقائد» للجزيري: ٦١.

www.alimamaltayeb.com

تَلزَمُ الأجسامَ(١)، والعبارةُ الجامعةُ في هذا المعنى هي أنَّه: «**كلُّ ما خطَرَ بِبَالِكَ فاللَّهُ بِخِلافِ ذلك**»، يقولُ تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ويقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

٤- قيامُه تعالى بذاتِه: أي عَدَمُ احتياجِهِ إلى غيرِه كائنًا ما كان هذا الغَيرُ، فهو لا يحتاجُ إلى مُوجِدٍ يُوجِدُه، ولا يحتاجُ إلى مكانٍ أو محَلٍّ يقومُ به(٢)، والدَّليلُ على هذه الصِّفةِ قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢]، ومِن مَعاني الصَّمَدِ: المُستَغنِي عن غيرِه، الَّذي لا يحتاجُ إلى شيءٍ، ويحتاجُ إليه كُلُّ شيءٍ(٣).

أمَّا الصِّفاتُ الثُّبوتيَّةُ: فهي الصِّفاتُ الَّتي تُثبِتُ للَّهِ معنًى مِن مَعاني الكَمالِ(٤)، وتَرجِعُ هذه الصِّفاتُ إلى صِفاتٍ سَبعٍ نُلخِّصُها فيما يلي:

---

(١) انظر: «توضيح العقائد»: ٦٣ - ٧٢، و«الإسلام دين الفطرة»: ٤٩ - ٥٠.

(٢) راجع: «أصول الدِّين» للبغدادي: ٧٢، و«الإرشاد» للجويني: ٣٣، و«الغُنية في الكلام» للأنصاري: ٣٥٢، و«توضيح العقائد» للجزيري: ٧٣.

(٣) يُروَى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه فسَّرَ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ بأنَّه المُستغني عن كلِّ أحدٍ، والمحتاجُ إليه كلُّ أحدٍ. «النكت والعيون» للماوردي: ٦/ ٣٧٢، و«مفاتيح الغيب» للرازي: ١٦/ ١٨٢.

(٤) انظر: «القول السديد» لأبي دقيقة: ١/ ٢٧٦ - ٢٨٢، و«نشر الطوالع» لساجقلي زاده: ٣٨٧ - ٣٩٣.

www.alimamaltayeb.com

١- **صِفةُ العِلم**: يقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢]، ويقولُ: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ [الأعراف: ٨٩]، ويقولُ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩]، والعقلُ الصَّريحُ يَحكُمُ بوُجوبِ صِفةِ العِلمِ للخالقِ؛ لأنَّ الَّذي يَخلُقُ ويَصنَعُ ويُدبِّرُ لا بُدَّ أن يكونَ عالِمًا بخَلقِه وصُنعِه وتدبيرِه.

وعِلمُ اللَّهِ تعالى مُحيطٌ بكلِّ الأشياءِ والمعلوماتِ الماضيةِ والحاضرةِ والمُستقبلَةِ؛ فعِلمُه لا يُقيِّدُه زمانٌ ولا يَحُدُّهُ مكانٌ، وذلك مِصداقُ قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ولا يَتغيَّرُ عِلمُه بِتَغيُّرِ المعلوماتِ، ولا يَتكثَّرُ بتكثُّرِها، كما لا تَتغيَّرُ المِرآةُ بتَغيُّرِ الصُّوَرِ أو تتكثَّرُ بِكَثرَتِها.

وعِلمُ اللَّهِ عِلمٌ حُضُورِيٌّ؛ أي: علمٌ حاضرٌ أزَلًا وأبدًا، بخِلافِ عِلمِ الإنسانِ، فإنَّه عِلمٌ حُصُوليٌّ؛ يحصُلُ بعدَ عَدَمٍ، ويَنشَأُ بعدَ جَهلٍ بالمعلومِ، ومِن خاصِّيَّةِ العِلمِ الإلهيِّ أنَّه صفةٌ كاشفةٌ للأمورِ المعلومةِ، ومُحيطةٌ بها على ما هي عليه في واقعِ الأمرِ، أو على ما كانت عليه في الماضي، أو ستكونُ عليه في المستقبلِ، وليس مِن

www.alimamaltayeb.com

خاصِّيَّةِ العِلمِ الإلهيِّ التَّأثيرُ في المُمكِناتِ لا إيجادًا ولا إعدامًا[١].

٢- الإرادةُ: ومَعنَى الإرادةِ تخصيصُ المُمكِناتِ ببَعضِ ما يَجوزُ عليها مِن وُجودٍ وعَدَمٍ وأحوالٍ مُختلِفةٍ؛ فصِفةُ الإرادَةِ تُؤثِّرُ في المُمكِنِ بأن تجعَلَه على صِفةٍ مُعيَّنَةٍ دون صِفةٍ أو صِفاتٍ أُخرَى، وذلك لأنَّ المُمكِناتِ في العَدَمِ مُستَعِدَّةٌ لأن تَتَّصِفَ بهذه الصِّفةِ أو نَقيضِها على التَّساوِي، فالذي وُلِدَ ذَكيًّا -مثلًا- كان قابِلًا لأن يُولَدَ غبيًّا، ولكنَّ إرادَةَ اللَّهِ اختارَت له هذه الصِّفةَ دون الصِّفَةِ المُقابلَةِ لها، وقُلْ مِثلَ ذلك في كُلِّ ما يَتَّصِفُ به الإنسانُ والكَونُ من أوضاعٍ وقَوانينَ وصِفاتٍ وارتباطاتٍ بالزَّمانِ والمَكانِ وغَيرِها، فكُلُّها آثارُ إرادَةٍ عُليا خَلَقتْها على هذا الوَجهِ أو ذاك دون الوُجوهِ الأُخرَى المُتقابِلَةِ، وكان يُمكِنُ تَبديلُها بأضدادِها لو شاءَت ذلك إرادَةُ الخلَّاقِ العَليمِ.

ومِن أدلَّةِ صِفَةِ الإرادَةِ في القُرآنِ الكريمِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١].

وكونُ الإرادةِ صفةً قديمةً لا يَعني قِدَمَ المُرادِ أو وُجودَه في الأزَلِ؛ لأنَّ الإرادةَ القديمةَ تتعلَّقُ بوُجودِ المرادِ الَّذي سيَحدُثُ في

---

(١) راجع: «تهذيب الكلام» للتفتازاني مع شرحه «تقريب المرام» للسَّنَندجي: ٢/ ١٣٥ وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

المستقبلِ؛ أي أنَّ اللَّهَ تعالى يُريدُ -في الأزَلِ- إيجادَ هذا الشَّيءِ وإحداثَه في وقتِه المُقدَّرِ لهُ(١).

٣- القُدرةُ: وهي صِفةُ إيجادٍ وإعدامٍ، ومعنى هذه الصِّفةِ أنَّ كُلَّ الحوادثِ -بلا استثناءٍ- مُستنِدةٌ في وُجودِها إلى تأثيرِ قُدرةِ اللَّهِ تعالى في خَلقِها وإيجادِها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(٢) [ق: ٣٨]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠]، والقُدرةُ تُنفِّذُ على حَسَبِ ما سبَقَ في العِلمِ الأزليِّ، وعلى الوجهِ الَّذي خصَّصَتهُ الإرادةُ الإلٰهيَّةُ.

٤- السَّمعُ والبصرُ: وهما صِفتانِ تُدرَكُ بهما المسموعاتُ والمُبصَراتُ إدراكًا تامًّا حقيقيًّا، لا مجالَ فيه لِتَخيُّلٍ أو تَوَهُّمٍ.

واللَّهُ سميعٌ بصيرٌ بغيرِ حاسَّةِ سَمعٍ ولا حاسَّةِ بصرٍ، وبدونِ وسائطَ أو شرائطَ؛ كالضَّوءِ والإشعاعِ والهواءِ وما شابَهَهُما مِن الشُّروطِ الَّتي لا بُدَّ منها في حُدوثِ السَّمعِ والبصرِ بالنِّسبةِ للحوادثِ.

ولا يَلزَمُ مِن قولِنا: إنَّ اللَّه تعالى سميعٌ بصيرٌ أزَلًا أن تكونَ المسموعاتُ والمُبصَراتُ أزليَّةً، مِثلَما لا يَلزَمُ مِن أزَليَّةِ العِلمِ والقُدرةِ الإلهيَّةِ أزَليَّةُ المعلوماتِ والمقدوراتِ؛ لأنَّ الصِّفاتِ الإلٰهيَّةَ

(١) راجع: «تهذيب الكلام» للتفتازاني: ٢/ ١٣٨.

(٢) اللُّغوب: التعب.

www.alimamaltayeb.com

وإن كانت أزليَّةً إلَّا أنَّها تَتعلَّقُ بالأمورِ الحادثةِ المُتجدِّدةِ[١]، واللَّهُ تعالى سميعٌ يَسمَعُ كلَّ شيءٍ، حتَّى إنَّه لَيسمَعُ دَبِيبَ النَّملةِ السَّوداءِ، على الصَّخرةِ المَلساءِ، في اللَّيلةِ الظَّلماءِ، «ولا تَحسَبَنَّ أنَّ اللَّهَ حِينَ يَسمَعُ نَجوَى جماعةٍ يَشغَلُه ذلك عن سَماعِ قومٍ آخَرِينَ، كلَّا، فما يَشغَلُه شأنٌ عن شأنٍ، وما تَغِيبُ عنه هَمسَةٌ وسْطَ الضَّجيجِ، ولا تَشتبِهُ عليه لُغةٌ على اختلافِ الأَلسِنَةِ... وكما أنَّ اللَّهَ يَسمَعُ كُلَّ شيءٍ فهو يرى كُلَّ شيءٍ، ورؤيتُه تَنفُذُ في أعماقِ الظُّلُماتِ، فتَستَشِفُّ كوامِنَها؛ فما هو بحاجةٍ إلى ضياءٍ يُبصِرُ بِه الخَفِيَّ، أو مُكبِّرٍ يُعَظِّمُ به الدَّقيقَ»[٢].

يقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

٥- الكلامُ: وقد وصَفَ اللَّهُ تعالى نفسَه بأنَّه تكلَّمَ فقالَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقد ثبَتَ الكلامُ للَّهِ تعالى بإجماعِ الأمَّةِ، وتَواتُرِ النَّقلِ عنِ الأنبياءِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ[٣].

---

(١) «شرح العقائد النسفية»: ١/ ١١٦.

(٢) «عقيدة المسلم» لمحمد الغزالي: ١٠٦، ١٠٧.

(٣) راجع: «السعد على العقائد النسفية وحاشية العصام» ضمن «مجموع الحواشي البهية على العقيدة النسَفية»: ٢٨٨.

www.alimamaltayeb.com

والَّذي ينبغي أن نَعلَمَه هنا هو أنَّ للَّهِ تعالى كلامًا هو أمرُه ونهيُه وإخبارُه، وأنَّ كلامَه ليس حُروفًا ولا أصواتًا ولا شيئًا مِن قَبِيلِ كلامِ الخَلقِ والحوادثِ، وأنَّ كلامَه قديمٌ وأزَليٌّ ليس شيءٌ منه حادثًا أو طارئًا؛ ضرورةَ استحالةِ تَوارُدِ الخَواطِرِ وطُروءِ المَعاني على اللَّهِ تعالى. والقرآنُ والتَّوراةُ والإنجيلُ والكُتبُ السَّماويَّةُ كلامُ اللَّهِ تعالى، وهذا القَدرُ مِن صِفةِ الكلامِ هو ما أجمَعَ المسلمون عليه[1].

٦- **الحياةُ**: يقولُ تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، والحياةُ صفةٌ أزَليَّةٌ تُصَحِّحُ الاتِّصافَ بالصِّفاتِ الأخرى؛ العِلمِ والقدرةِ والإرادةِ والسَّمعِ والبصرِ والكلامِ؛ فالذي يَعلَمُ ويَقدِرُ ويُريدُ ويَسمَعُ ويُبصِرُ ويَتكلَّمُ لا بُدَّ أن يكونَ حيًّا، بل لولا قيامُ صفةِ الحياةِ به لَما صحَّ -عَقلًا- أن نتصوَّرَهُ قادرًا أو عالِمًا أو مُريدًا... إلخ.

فالحياةُ صفةٌ تُصحِّحُ الوصفَ بالصِّفاتِ الأخرى، وحياةُ اللَّهِ تعالى حياةٌ تامَّةٌ مُطلَقةٌ، وهو سبحانه حيٌّ أزَلًا وأبدًا، لا يَلحَقُه عَدَمٌ ولا يَمَسُّهُ فَناءٌ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

***

(١) راجع: «شرح المواقف»: ٢/ ٣٦٠؛ انظر أيضًا: «كبرى اليقينيات الكونية» لمحمد سعيد رمضان البوطي: ١٠٤.

www.alimamaltayeb.com

القَضَاءُ وَالقَـدَرُ

الإيمانُ بالقضاءِ والقَدَرِ أصلٌ مِن أصولِ العقيدةِ في الإسلامِ، وهو رُكنٌ مِن الأركانِ الَّتي لا يَتِمُّ إيمانُ المرءِ إلَّا بالإيمانِ به واعتقادِهِ اعتقادًا جازمًا؛ فهو جُزءٌ مِن العقيدةِ، ورُكنٌ مِن أركانِها.

ويَثبُتُ الإيمانُ بالقضاءِ والقَدَرِ مِن طريقِ النَّقلِ والعَقلِ:

- فأمَّا النَّقلُ فهو قولُه ﷺ في بيانِ معنَى «الإيمانِ»: «**أن تُؤمِنَ باللَّهِ وملائكتِهِ وكتابِهِ ولِقائِهِ ورُسُلِهِ، وتُؤمِنَ بالبَعثِ، وتُؤمِنَ بالقَدَرِ كُلِّهِ**»[1]؛ فالإيمانُ بالقدرِ -في هذا النَّصِّ النَّبويِّ الواضحِ- قَرينُ الإيمانِ بالألوهيَّةِ والنُّبُوَّةِ والغَيبِ، وهي المَحاوِرُ الأساسيَّةُ في بِناءِ الإيمانِ والعقيدةِ في الإسلامِ.

- وأمَّا الطَّريقُ العَقليُّ الَّذي يُؤدِّي إلى الإيمانِ بالقضاءِ والقَدَرِ فهو ما تَقدَّمَ مِن ثُبوتِ صِفةِ العِلمِ والإرادةِ والقُدرةِ للَّهِ تعالى.

وبيانُ ذلك: أنَّ ثُبوتَ هذه الصِّفاتِ الأزَليَّةِ للَّهِ سبحانه يَقتضي -لا مَحالةَ- شُمولَ العِلمِ والإرادةِ والقُدرةِ لكُلِّ معلومٍ ومُرادٍ ومقدورٍ، لا يُستثنَى مِن ذلك شيءٌ مهما كان عظيمًا أو تافِهًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (١٠) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

www.alimamaltayeb.com

والنَّتيجةُ الحتميَّةُ لشُمولِ الصِّفاتِ الإلهيَّةِ وعُموميَّتِها منذُ الأزَلِ هي أن تكونَ كلُّ الحادثاتِ الكونيَّةِ والإنسانيَّةِ معلومةً للَّهِ تعالى ومرادةً له منذُ الأزَلِ أيضًا، وقَبلَ وُقوعِها بآمادٍ وآبادٍ لا يَعلَمُها إلَّا اللَّهُ تعالى.

ومعنى القضاءِ: الإرادةُ الإلهيَّةُ الأزَليَّةُ المُتعلِّقةُ بالأشياءِ على الوضعِ الَّذي ستُوجَدُ عليه مُستقبَلًا، أو فيما لا يَزالُ.

أمَّا القَدَرُ: فمعناهُ إيجادُ هذه الأشياءِ بالفِعلِ على قَدْرٍ مُعيَّنٍ وترتيبٍ مخصوصٍ في ذواتِها وأحوالِها[1].

- معنى الإيمان بالقَدَرِ:

ومعنى الإيمانِ بالقَدَرِ عند أهلِ السُّنَّةِ:

(أ) الاعتقادُ بأنَّ اللَّهَ تعالى عالِمٌ أزَلًا بجميعِ خَلقِه وجميعِ أفعالِهم وأحوالِهم مِن طاعاتٍ ومَعاصٍ وأرزاقٍ وآجالٍ وسعادةٍ وشقاءٍ.

---

(١) هذا تعريفُ القضاءِ والقَدَرِ عند الأشاعرةِ، أمَّا عند الفلاسفةِ: فالقضاءُ هو عِلمُ اللَّهِ تعالى بما ينبغي أن يكونَ عليه الوجودُ، حتى يكونَ على أحسَنِ نظامٍ، ويُسمُّونه «العناية»، والقَدَرُ: عبارةٌ عن خروجِ الموجوداتِ إلى الوجودِ العينيِّ بأسبابِها على الوجهِ الَّذي تقرَّرَ في القضاءِ. والمعتزلةُ لا يقولون بالقضاءِ والقدَرِ في أفعالِ العبادِ الاختياريةِ، لكنهم يُثبِتون عِلمَه تعالى بأفعالِ العبادِ، ولا يجعلون العِلمَ الإلهيَّ علَّةً في وُجودِها، بل إراداتُ العبادِ وقُدراتُهم هي عِلَلُ الأفعالِ الاختياريةِ. راجع: «المواقف»: ٢/ ٣٩٢، ٣٩٣.

www.alimamaltayeb.com

(ب) الاعتقادُ بأنَّ اللَّهَ تعالى سجَّلَ ذلك وكتَبَه في اللَّوحِ المحفوظِ منذُ الأزَلِ، أو كما يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللَّهُ القَلَمُ؛ فقالَ له: اكتُب، قال: ربِّ وماذا أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ مَقادِيرَ كُلِّ شيءٍ حتَّى تَقُومَ السَّاعةُ**»(١). ويترتَّبُ على هذا الاعتقادِ أنَّ ما أصابَ الإنسانَ لم يكُن لِيُخطِئَهُ، وما أخطأَهُ لم يكُن لِيُصيبَه.

(ج) الاعتقادُ بعُمومِ مشيئتِه تعالى لجميعِ الأشياءِ، وأنَّ ما شاءَ اللَّهُ كانَ، وما لم يَشَأْ لم يكُن، وأنَّه لا يَقَعُ في مُلكِه شيءٌ لم يُرِدهُ اللَّهُ تعالى، وأنَّ أفعالَ العِبادِ حاصلةٌ بهذه المشيئةِ.

(د) الاعتقادُ بأنَّ «جميعَ الأشياءِ واقعةٌ بقُدرةِ اللَّهِ تعالى، وأنَّها مخلوقةٌ له، لا خالِقَ لها سواهُ، لا فَرقَ في ذلك بين أفعالِ العبادِ وغيرِها، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]»(٢).

- الإيمانُ بالقَدَرِ لا يَعني القَهرَ والجَبْرَ:

يزعُمُ بعضُ المُتسرِّعين في قراءةِ موضوعِ القضاءِ والقدرِ أنَّ الإيمانَ بالقَدَرِ يَستلزِمُ الإيمانَ بكَونِ الإنسانِ مجبورًا ومُرغَمًا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٣٣١٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٢) «العقيدة الواسطية» لابن تيميَّة، مع شرح الشيخ محمد خليل هرَّاس: ١٠٨ - ١١٠، وانظر فيما يتعلقُ بالأحاديثِ الواردةِ في القَدَرِ: «الإبانة عن أصول الديانة» للأشعري: ١٣١ وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

ومسلوبَ الإرادةِ فيما يأتي وفيما يَدَعُ مِن إراداتٍ وأفعالٍ، وهو زَعمٌ باطلٌ وادِّعاءٌ كاذبٌ.

والدَّليلُ القاطعُ على كَذِبِ هذا الادِّعاءِ: ما يُحِسُّه الإنسانُ ويشعُرُ به شُعورًا واضحًا مِن أنَّ له مشيئةً وإرادةً يختارُ بها هذا الشَّيءَ أو ذاك، وإحساسُه بأنَّه إنِ اختارَ فِعلًا وعزَمَ عليه فإنَّه باستطاعتِه أن يفعَلَه، وإنِ اختارَ تَرْكَه فباستطاعتِه أن يَترُكَه.

هذا الشُّعورُ الواضحُ بحُرِّيَّةِ الإنسانِ واختيارِه في إيجادِ الأفعالِ أو تَركِها هو الدَّليلُ الَّذي لا دليلَ بعدَه على أنَّ الإنسانَ ليس مجبورًا ولا مُرغَمًا ولا مسلوبَ الإرادةِ فيما يأتي وفيما يَدَعُ مِن أفعالِه الاختياريَّةِ.

وإذا كان الإنسانُ حُرًّا مُختارًا في أفعالِه؛ فليسَ له أن يَحتَجَّ بالقضاءِ والقَدَرِ، لا قَبلَ وُقوعِ الفِعلِ ولا بَعدَه، فلا يجوزُ أن يقولَ شخصٌ مَثَلًا: إنَّ اللَّهَ قَدَّرَ عليَّ أن أَشرَبَ الخمرَ، ثمَّ يتَّخِذَ مِن ذلك القولِ مُسوِّغًا لأن يَقترِفَ هذا الإثمَ، أو يقولَ بَعدَ شُربِه الخمرَ: هذا ما قدَّرَهُ اللَّهُ عليَّ؛ لِيُسوِّغَ تصرُّفَه، ويتحلَّلَ مِن المسئوليَّةِ الشَّرعيَّةِ؛ ففي كلا الحالَينِ لا يَصِحُّ احتجاجُ العبدِ بالقَدَرِ أوِ التَّعلُّلُ به؛ لأنَّه لا يدرِي ماذا قُدِّرَ عليه حتَّى يَحتَجَّ به.

والقَدَرُ سرٌّ محجوبٌ عنِ العبدِ لا يَعلَمُه ولا يَدرِيه مِن قريبٍ ولا مِن بعيدٍ، فكيف يُمكِنُ أن يُتَّخَذَ المجهولُ الَّذي لا يُعرَفُ حُجَّةً أو تَعِلَّةً لاقترافِ الذُّنوبِ والآثامِ؟!

www.alimamaltayeb.com

إنَّ هذه الذُّنوبَ والآثامَ إنَّما تُقترَفُ -حين تُقترَفُ- نتيجةَ اتِّباعِ الهَوَى والشَّيطانِ، وكُلُّ ذلك إنَّما يحدُثُ عنِ اختيارِ الإنسانِ وقرارِه عن رِضًا وإرادةٍ ومشيئةٍ لسُلوكِ طريقِ الشَّرِّ والانحرافِ عن طريقِ الخيرِ، ومِن هنا كان الاحتجاجُ بالقَدَرِ اجتِراءً على اللَّهِ تعالى وافتراءً عليه(١).

وقد ذمَّ القرآنُ الكريمُ مَنِ احتجَّ بالقَدَرِ وتعلَّلَ به مِن المشركين، ووصَفَ احتجاجَهم بالقَدَرِ بأنَّه ضَربٌ مِن الكذبِ والجهلِ والتَّخرُّصِ بالباطلِ، فقالَ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

إذًا فموقِفُ الإنسانِ في الإسلامِ هو موقفُ المسئوليَّةِ الكاملةِ عن كُلِّ ما يصدُرُ عنه مِن فِعلٍ أو سلوكٍ أو تصرُّفٍ، وأنَّه لولا حُرِّيَّةُ الإنسانِ واختيارُه واستعدادُه التامُّ لأن يكونَ خَيِّرًا أو شِرِّيرًا لَفقَدَتِ المسئوليَّةُ الشرعيَّةُ كُلَّ مُسوِّغاتِها الَّتي فصَّلَها القرآنُ الكريمُ والسُّنَّةُ المطهَّرَةُ، ولَأَصبحت غيرَ ذاتِ موضوعٍ؛ فالمسئوليَّةُ والحُرِّيَّةُ أمرانِ لا يُمكنُ فصلُ أحدِهما عن الآخرِ، ومسئوليَّةُ الإنسانِ

---

(١) راجع: «الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلاميّة» لحسين الجسر: ١٤٣.

www.alimamaltayeb.com

المسلوبِ الحُرِّيَّةِ ظُلمٌ وإرهاقٌ وإعناتٌ، واللَّهُ تعالى قد حرَّمَ الظُّلمَ على نفسِه وعلى عبادِه ونهى عنِ اقترافِه فقالَ في الحديثِ القُدسِيِّ: «**يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي، وجَعَلتُهُ بَينَكُم مُحرَّمًا؛ فلا تَظَّالَمُوا...**»[1]. وقال في كتابِه الكريمِ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ويقولُ: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَـٰهُمۡ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ﴾ [هود: ١٠١]، إلى آياتٍ أخرى كثيرةٍ تُعتبَرُ مِن قَواطعِ الأدلَّةِ على استحالةِ وُقوعِ الظُّلمِ مِن اللَّهِ تعالى.

وإذا ثبَتَ أنَّ العَدلَ المُطلَقَ مِن صفاتِه تعالى، وأنَّه لا يَظلِمُ مِثقالَ ذرَّةٍ، وأنَّه قد وضَعَ الإنسانَ موضِعَ المسئوليَّةِ؛ فلا بُدَّ أن تَثبُتَ حُرِّيَّةُ الإنسانِ، وتَثبُتَ إرادتُه واختيارُه ومشيئتُه في جميعِ أفعالِه الَّتي لا يكونُ فيها مُرغَمًا ولا مكروهًا ولا مضطرًّا، وبعبارةٍ مُختصَرةٍ: في جميعِ أفعالِه الاختياريَّةِ.

ويَرِدُ هنا اعتراضٌ مشهورٌ، ملخَّصُه: إذا كانَ اللَّهُ يعلَمُ -أَزَلًا- أفعالَ عِبادِه قبلَ خَلقِهم، فكيف يؤاخِذُهم بما كَتَبَ عليهم قبلَ أنْ يُخلَقُوا ويُوجَدُوا؟ أَلَا يُشْبِهُ حالُ العِبادِ في أفعالِهم -حَسَنَةً كانَت أم سَيِّئَةً- حالَ المضطرِّ المسلوبِ الإرادةِ الذي لا يَحسُنُ في حُكمِ العَقلِ أنْ يُثابَ على فِعلِه أو يُعاقَبَ عليه؟!

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه بطوله.

www.alimamaltayeb.com

والجوابُ الذي يناسِبُ هذا المختصرَ مِن مقوِّماتِ الإسلامِ هو:

أوَّلًا: هناك حقيقتانِ يُقرِّرُهما القُرآنُ الكريمُ في وضوحٍ لا لبسَ فيه، هما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء: ٤٠]. وأنَّه حرَّمَ الظُّلمَ على نفسِه وجعَلَه بينَ العِبادِ محرَّمًا، وتوعَّدَ الظالمينَ بمصيرٍ مشئومٍ مِنَ البؤسِ والخُسرانِ والعَذابِ الأليمِ «**يا عِبادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَّالَمُوا**»(١). . ومقتضَى هذه النُّصوصِ العدالَةُ في ثوابِ العِبادِ وعِقابِهم في الدَّارِ الآخِرَةِ.

ثانيًا: صِفَةُ العِلمِ الإلهيِّ ليست مُؤَثِّرَةً في فِعلِ العِبادِ بعدَما يُوجدُونَ، بعبارَةٍ أُخرَى: ليس عِلمُ اللَّهِ الأزليُّ بأنَّ فلانًا بعدَما يُخلقُ ويُوجدُ سوف يقتلُ فلانًا - هو الباعِثَ للقاتلِ على ارتكابِ جريمةِ القتلِ، وليس العِلمُ الإلهيُّ الأزليُّ السَّابِقُ لحادِثَةِ القَتلِ إلَّا عِلْمًا كاشِفًا فقط، وكأنَّه المِرآةُ التي تعكِسُ صُوَرَ ما يقابِلُها مِنَ الأشياءِ دُونَ أن تتدَخَّلَ في إيجادِ هذه الأشياءِ أو في حُدوثِها وحصولِها، ومَثَلٌ آخَرُ يوضِّحُ لك الفَرْقَ الدَّقيقَ بينَ عِلمِكَ بحُدوثِ شيءٍ ما، وبينَ تأثيرِ عِلمِكَ في حُدوثِ هذا الشَّيءِ، هو أنْ تَعلَمَ أنَّ ابنَكَ سوف يَقْدُمُ غَدًا، في ساعةِ كذا -مثلًا- ثُمَّ يَقْدُمُ بالفِعْلِ في الزَّمَنِ الذي عَلِمْتَه مِن قبلُ، فهذا العِلمُ لا مدخَلَ له، ولا تأثيرَ مِن

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

www.alimamaltayeb.com

قريبٍ أو بعيدٍ في قُدومِ الابنِ وحُدوثِه طبقًا لِمَا عَلِمْتَه وتَوَقَّعْتَه.. وهذا معَ الفارِقِ بينَ العِلمِ الإلهيِّ الكاشِفِ لِمَا كانَ ولِمَا سيكونُ دُونَ خَلَلٍ، وبينَ العِلمِ البَشَرِيِّ الذي يتخَلَّلُه النَّقْصُ والخَلَلُ والجَهلُ.. والمقصودُ مِنَ هذه الأمثلةِ هو أنَّه لا يصِحُّ أنْ يُقالَ: كيف يُسَاءَلُ العبدُ عن أفعالٍ يعلَمُ اللَّهُ سَلَفًا أنَّه سيفعلُها؛ لأنَّ الجوابَ في كلِمَةٍ واحدةٍ: إنَّ العِلمَ الإلهيَّ صِفَةٌ إلهيَّةٌ كاشِفَةٌ لما سيكون عليه فعل العبد -قبلَ وقوعِه- ولا مدخَلَ للعِلمِ الإلهيِّ السَّابقِ في هذا الفِعلِ مِن حيثُ التأثيرُ فيه لا وجودًا ولا عَدَمًا.

ثالثًا: ولا يُقالُ أيضًا: إنَّ اللَّهَ تَعالَى قَهَرَ العِبادَ على أفعالِهم، لأنَّنا أثبَتْنا أنَّ القَهْرَ ظُلمٌ، وأنَّ اللَّهَ حرَّمَ الظُّلمَ على نَفْسِه وعلى عِبادِه، ويبقَى أنْ نقولَ: إنَّ اللَّهَ تعالَى يكتُبُ على العَبدِ ما سوف يختارُه العَبدُ ويميلُ إليه بمَحضِ إرادَتِه وطبيعَتِه، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ، انطلاقًا مِنَ العِلمِ الإلهيِّ الذي يكشِفُ حالَ العبدِ وموقفَه الشَّخصيَّ الحُرَّ، مِن اختيارِ الخيرِ أو الشَّرِّ. ومعنَى ذلك أنَّ اللَّهَ لا يكتُبُ الشَّرَّ على مَن عَلِمَ أنَّ طبيعَتَه خَيِّرةٌ، أو العكسَ، وإنَّما يكتُبُ على كُلِّ عبدٍ ما سوف يختارُ بحَسَبِ طبيعَتِه وجِبِلَّتِه وإرادَتِه..

وفي القُرآنِ الكريمِ إشاراتٌ إلى هذا المعنَى، منها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ [النساء: ٦٣].

www.alimamaltayeb.com

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠].

إلى آياتٍ أُخرَى تؤكِّدُ أنَّ العِلمَ الإلهيَّ يرصُدُ ما ستتَكَشَّفُ عنه طبيعةُ النَّاسِ وإراداتُهم الحُرَّةُ واختياراتُهم المطلقةُ مِن كُلِّ القيودِ الخارجيَّةِ، فيَكتُبُ اللَّهُ عليهم ما يُناسِبُ هذه الطَّبائعَ الخَيِّرَةَ أو الشِّرِّيرَةَ، ففي الآيةِ الأُولَى يعلَمُ اللَّهُ أَزَلًا ما سيكونُ في قُلوبِ هؤلاءِ المنافقينَ، الذين نَزَلَتِ الآيَةُ في شأنِهم، مِن طبيعَةِ الإصرارِ على معانَدَةِ النَّبيِّ ﷺ واتِّباعِ الشَّيطانِ، فيَأمُرُ اللَّهَ -تعالى- نَبيَّه أن يُعرِضَ عَنهم ويكتفِي بوَعظِهم إقامَةً للحُجَّةِ عليهم وقطعًا لأعذارِهم، وقِيامًا بحَقِّ تبليغِ رِسالَةِ اللَّهِ. وفي الآيَةِ الثَّانيةِ إشارَةٌ إلى أنَّ هؤلاءِ لو كانَ في قُلوبِهم خيرٌ لعَلِمَه اللَّهُ تَعالَى ولأسمَعَهم القُرآنَ وكَلامَ النَّبيِّ ﷺ سَماعَ تَدَبُّرٍ واهتداءٍ، وحتَّى لو أَسمَعَهُم لتَوَلَّوا وهم مُعرِضُون، فهُم لا خيرَ فيهم ولا أملَ يُرجَى مِنهم.. وهكذا باقِي الآياتِ التي يُفهَمُ مِنها أنَّ عِلمَ اللَّهِ كاشِفٌ لطبائعِ الخَلائقِ، وأنَّ العِلمَ تابعٌ للمعلومِ يكشِفُه ويعكِسُه أزلًا قبلَ خُروجِ المعلومِ للوجُودِ، ولحظةَ وجودِه، واستمرارِه في الوجودِ بعدَ ذلك.. وكُلُّها تَرُدُّ الشُّبْهَةَ التي تُريدُ تصويرَ القَدَرِ على أنَّه

www.alimamaltayeb.com

«مَحكَمَةٌ» تحكُمُ على فريقٍ مِنَ النَّاسِ بالخيرِ وعلى آخَرينَ بالشَّرِّ قبلَ أنْ يُخلَقُوا، وأنَّ النَّاسَ معذورُونَ في كُلِّ ما يفعلُونَ، وأنَّ إثابَتَهم وعِقابَهم في الآخِرَةِ ليس مِنَ العَدلِ في شيءٍ.

أمَّا توصيفُ حُرِّيَّةِ الإنسانِ، والاختلافُ في تحديدِ مَظهَرِها، وهل هو:

١- قدرةُ العبدِ الحادِثَةُ واستقلالُها في إيجادِه لأفعالِ الخيرِ والشرِّ.

٢- أو مجرَّدُ مقارنةِ القدرةِ الحادثةِ للقدرةِ القديمةِ.

٣- أو أثرُ القدرةِ الحادثةِ في وَصفِ الفِعلِ، لا في أصلِ الفعلِ.

٤- أو إرادةُ الإنسانِ الجزئيَّةُ وتوجيهُها للإرادةِ الكلِّيَّةِ المخلوقَةِ للَّه تعالى.

٥- أو ارتباطُ الإرادةِ الحرَّةِ للإنسانِ بالأسبابِ الخارجيَّةِ الَّتي تَجري على سُنَّةٍ لا تتغيَّرُ ولا تتبدَّلُ.

٦- أو التَّوفيقُ بين إرادتَينِ للَّهِ تعالى؛ إرادةٍ كونيَّةٍ عامَّةٍ وشاملةٍ، وإرادةٍ شرعيَّةٍ تكليفيَّةٍ ملازمةٍ لأمرِه ومحبَّتِه ورضاهُ.

فكلٌّ ذلك تفسيرٌ عقليٌّ، طرحَهُ أئمَّةُ الفِكرِ الإسلاميِّ؛ لِيَتغلَّبُوا به على الصُّعوباتِ الذِّهنيَّةِ الَّتي تُثِيرُها المُعالَجةُ العَقليَّةُ الخالصةُ لقضيَّةِ المسئوليَّةِ والجزاءِ في ضَوءِ الإيمانِ بأصلِ القَدَرِ(١).

---

(١) للمزيدِ من الدِّراسةِ المقارنةِ للقَدَرِ بين الإسلامِ والفلسفاتِ والأديانِ الأخرى راجع: «الفلسفة القرآنية» للعقاد: ١٣١- ١٦٥.

www.alimamaltayeb.com

مَبَاحِثُ النُّبُوَّاتِ

النُّبُوَّاتُ

- ضرورةُ النُّبوَّةِ:

هل بَعثُ الأنبياءِ أمرٌ ضروريٌّ في حياةِ البشرِ؟ أو هو أمرٌ ثانويٌّ يُمكِنُ الاستعاضةُ عنه بقادةِ الفِكرِ والمُصلِحِين الاجتماعيِّين وعُلماءِ القانونِ؟

الإجابةُ العِلميَّةُ على هذا السُّؤالِ هي: أنَّ إرسالَ الرُّسُلِ أمرٌ ضروريٌّ، ولا مَفَرَّ منه إذا أُريدَ لحياةِ النَّاسِ أن تتَّجِهَ نحوَ الحقِّ والخيرِ والسَّعادةِ.

وبيانُ ذلك: أنَّ الإنسانَ -كما هو معروفٌ- كائنٌ اجتماعيٌّ، لا يتأتَّى له أن يَحيا بمُفردِه وفي عُزلةٍ عن الآخَرِينَ، ومِن هنا قيل: «إنَّ الإنسانَ مدنيٌّ بطَبْعِه»؛ أي: يسيرُ بطَبعِه وغريزتِه وفِطرتِه نحوَ: «الاجتماعِ المدنيِّ»، ومعنى الاجتماعِ المدنيِّ: الاختلاطُ بالغَيرِ، والدُّخولُ معه في عَلاقاتٍ اجتماعيَّةٍ مُعقَّدةٍ تقومُ على أسلوبِ الأخذِ والعطاءِ.

وليس للإنسانِ -مهما أُوتيَ مِن قُدرةٍ على التَّوحُّدِ والتَّفرُّدِ- أن يَستقِلَّ بنَفسِه، ويستغنيَ عن الآخَرِين في توفيرِ حاجاتِه الضَّروريَّةِ، بل في توفيرِ أَبسَطِ مطالبِه الأوليَّةِ، وحَسبُك أن تعلَمَ أنَّ الخُبزَ -الَّذي هو

www.alimamaltayeb.com

أبسَطُ عناصرِ الغِذاءِ اللَّازمِ للإنسانِ- لا بدَّ فيه مِن الاعتمادِ على الآخَرين مِن المُشتغِلين بالزِّراعةِ والمُشتغِلين بِطَحنِ الحبوبِ والخبَّازينَ والتُّجَّارِ وغيرِهم.

وتتكرَّرُ هذه السِّلسِلةُ الطَّويلةُ مِن الاعتمادِ على الآخَرين مع كلِّ احتياجاتِ الإنسانِ الأُخرى الَّتي لا يعُدُّها الحَصرُ، وإذا كان قَدَرُ الإنسانِ قد فرَضَ عليه فَرضًا أن يعيشَ مع غيرِه ويَحيا مع الآخَرين؛ فإنَّه قد قُدِّرَ عليه أيضًا أن يعيشَ وَسْطَ هذا المجموعِ بنوازعَ فرديَّةٍ ورغَباتٍ شخصيَّةٍ، ودوافعَ تدفَعُه إلى تحقيقِ مصلحتِه أوَّلًا وقبلَ الآخَرين.

وهكذا كُتِبَ على الإنسانِ أن يعيشَ مُزدَوِجَ الهمومِ، أو نَهْبًا لهدَفَينِ مُتعارِضَينِ:

المصلحةُ الشَّخصيَّةُ أوِ النَّفعُ الخاصُّ مِن جانبٍ، والمصلحةُ الجماعيَّةُ أوِ النَّفعُ العامُّ مِن جانبٍ آخرَ، وانطلاقًا مِن هذا التَّعارُضِ واجَهَ الإنسانُ نوعًا مِن التَّناقُضِ بين ما يتطلَّبُه استقرارُ الحياةِ الاجتماعيَّةِ العامَّةِ مِن ضرورةِ السُّلوكِ نحوَ غاياتٍ موضوعيَّةٍ، وما تتطلَّبُه نوازعُه الفرديَّةُ مِن السُّلوكِ نحوَ أهدافٍ شخصيَّةٍ بحتةٍ.

وهنا لم يكُن بُدٌّ مِن صيغةٍ تَحُلُّ هذا التَّناقُضَ، وتُقِرُّ الانسجامَ بين مصلحةِ الفردِ ومصلحةِ الجماعةِ، ولا يُمكِنُ لمجتمعٍ -أيِّ مجتمعٍ- أن يَنعَمَ بنِعمةِ الحقِّ والخيرِ والسَّعادةِ ما لم يَضبِطْ سُلوكَه على أساسٍ مِن الانسجامِ أوِ التَّوازُنِ بين هاتَينِ المصلحتَينِ المُتعارضَتَينِ.

www.alimamaltayeb.com

والإنسانُ بكلِّ علومِه وفنونِه وثقافاتِه غيرُ قادرٍ على إيجادِ هذا التَّوازُنِ أوِ الحَلِّ الحاسمِ لهذه العَلاقاتِ المُتناقضةِ؛ لأنَّ أنانيَّتَه الفِطريَّةَ ونوازعَه الدَّاخليَّةَ سوف تترُكُ بَصَماتِها -لا مَحالةَ- على كلِّ حُلولِه وأُطرُوحاتِه، وبدلًا مِن أن تُساهِمَ حُلولُه في تخفيفِ آلامِ الإنسانيَّةِ تُصبحُ هي الأخرى إضافةً جديدةً في قائمةِ العِللِ والمآسي الَّتي لا تَزالُ تَئِنُّ منها الإنسانيَّةُ حتَّى عصرِنا الراهنِ.

ويكفينا ما نُشاهدُه في القرنِ العشرين مِن انحطاطٍ في الأخلاقِ العالَميَّةِ، ومِن فسادٍ وانحرافٍ وحروبٍ ومآسٍ، وتسلُّطٍ على مُقدَّراتِ الضُّعفاءِ والمستضعَفينَ، واستِلابٍ للهُويَّاتِ والمقوِّماتِ، وعَبَثٍ بالأرواحِ والأموالِ والأعراضِ، وهي كلُّها نقائصُ وُصِمَ بها الإنسانُ المتحضِّرُ في العُقودِ الأخيرةِ مِن القرنِ العشرينَ -وهو قَرنٌ ذو حظٍّ عظيمٍ مِن الحضارةِ والعِلمِ والتمدُّنِ- فهل كان في الإمكانِ أن يَنهضَ الإنسانُ وَحدَه في عُصورِ الجهلِ والتخلُّفِ بإيجادِ صِيغةٍ تُوفِّقُ بين المصلحةِ الشَّخصيَّةِ والمصلحةِ العامَّةِ، وتُحقِّقُ الخيرَ والسَّعادةَ للمجموعِ ؟!

إنَّ النُّبوَّةَ -باعتبارِها هَديًا إلٰهيًّا- هي الصِّيغةُ الوحيدةُ القادرةُ على إيجادِ التَّوازُنِ بين الفردِ بكلِّ نوازعِه وغرائزِه وشَهَواتِه مِن ناحيةٍ، وبين المجتمعِ بكلِّ مَصالحِه وضروراتِه مِن ناحيةٍ أخرى، وهي القادرةُ على سدِّ هذه الثَّغرةِ الَّتي كانت مَبعَثَ آلامِ الإنسانيَّةِ وعَذاباتِها على مدى تاريخِها الطَّويلِ.

www.alimamaltayeb.com

وفي إِطارِ النُّبوَّةِ أوِ «الهدي الإلهيِّ» تتحوَّلُ المصالحُ الكُبرى في الأممِ والمُجتمَعاتِ إلى مصالحَ فرديَّةٍ، تعودُ على الإنسانِ بالنفعِ والفائدةِ، بعد أن يترسَّبَ في وُجدانِه الاعتقادُ في اللَّهِ، وفي امتدادِ الحياةِ بعد الموتِ، والمرورِ بمَحكمةِ عدلٍ إلٰهيَّةٍ لا يُظلَمُ فيها النَّاسُ شيئًا مِن حُقوقِهم، وإن كان مِثقالَ ذرَّةٍ مِن خيرٍ أو شرٍّ[١].

والنُّبوَّةُ هي المصدرُ الوحيدُ الَّذي يُبيِّنُ للإنسانيَّةِ معنى السَّعادةِ في حياتِها القصيرةِ الأمدِ على هذا الكوكبِ، ومعنى السَّعادةِ في حياتِها اللَّانهائيَّةِ في الدَّارِ الآخِرةِ، وكذلك هي المصدرُ الوحيدُ الَّذي يَمُدُّ الإنسانيَّةَ بأصدقِ الحقائقِ عن حياةِ الإنسانِ ومصيرِه، وعن حقيقةِ الكونِ ونشأتِه ومآلِه، وعن معنى الخيرِ والشَّرِّ، ولا يزالُ الإنسانُ -برَغمِ تقدُّمِ مَعارفِه وتطوُّرِ علومِه- عاجزًا عجزًا تامًّا عن كشفِ لُغزِ الحياةِ وسِرِّ الوجودِ، ولا يزالُ «الوَحيُ» أوِ «النُّبوَّةُ» المَعِينَ الأوحدَ الَّذي يَتلقَّى منه الإنسانُ إجاباتٍ صحيحةً عن هذه المسائلِ الكُبرى[٢].

* * *

(١) راجع: «موجز في أصول الدين» لمحمد باقر الصدر: ٧٣، ٧٤.

(٢) راجع: «الإسلام يتحدى» لوحيد الدين خان: ١٥٤ وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

النُّبُوَّةُ والأنبياءُ

- النَّبيُّ والرَّسولُ:

النُّبُوَّةُ مأخوذةٌ مِن «النَّبأِ» الَّذي هو الخَبرُ، ومَعناها: تَلقِّي النَّبيِّ خبرًا مِن اللَّهِ تعالى -عن طريقِ الوَحيِ- وتبليغُه إلى النَّاسِ.

أمَّا الرِّسالةُ فتَتعلَّقُ بمعنى الإرسالِ والبَعثِ، فالنُّبوَّةُ تعبيرٌ عن العَلاقةِ بين النَّبيِّ وبين اللَّهِ عزَّ وجلَّ، والرِّسالةُ تُشيرُ إلى العَلاقةِ بين «النَّبيِّ» وبين مَن يُرسَلُ إليهم[1]، وهذانِ المَعنَيانِ -النُّبوَّةُ والرِّسالةُ- يجتمعانِ معًا في كلِّ شخصٍ اصطفاه اللَّهُ سبحانه، وأنزَلَ عليه وَحيًا، وأمَرَه بتبليغِه للنَّاسِ، وهذا الشَّخصُ يُقالُ له: نبيٌّ، ويُقالُ له: رسولٌ أيضًا[2].

---

(١) «كبرى اليقينيات» للبوطي: ١٨٢.

(٢) يختلفُ علماءُ العقيدةِ حولَ تحديدِ العَلاقةِ بين لفظِ «النَّبيِّ» ولفظِ «الرَّسولِ»، هل هما لفظانِ مُترادِفان، أو مُتساوِيان، أو بينهما عَلاقةُ العُمومِ والخُصوصِ المُطلَقِ؟

- **والرَّأيُ الأوَّلُ**: يَعني أنَّ مفهومَ لفظِ «النَّبيِّ» هو بعينِه مفهومُ لفظِ «الرَّسولِ»، واللَّفظانِ مُترادِفان على معنًى واحدٍ، ويذهبُ إلى هذا الرَّأيِ القاضي عِياضٌ المالكيُّ في «الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى»: ٣١١، ٣١٢. =

www.alimamaltayeb.com

وقد عرَّف علماءُ العقيدةِ النَّبيَّ أوِ الرَّسولَ، فقالوا: «هو إنسانٌ بعَثَه اللَّهُ تعالى إلى الخَلقِ لِتَبليغِ ما أَوحاهُ اللَّهُ إليه»(١)، ومِن هذا

= - **ويَعني الرَّأيُ الثَّاني**: أنَّ مفهومَ لفظِ «النَّبيِّ» مغايرٌ لمفهومِ لفظِ «الرسولِ»، فالمفهومُ الأولُ يعودُ إلى «النبأِ» بمعنى الخبرِ، أو «النَّبْوةِ» بمعنى الظهورِ والارتفاعِ، أما المفهومُ الثاني فيعود إلى معنى الرسالةِ والبعثِ، ولا شكَّ في مغايرةِ مفهومِ «النبأِ» لمفهومِ «الإرسالِ»، وبرغمِ هذا التغايرِ -مفهومًا- إلا أن اللَّفظينِ -النبيَّ والرسولَ- متساويان من حيثُ «الْمَاصَدَق»، أي: الأفرادُ؛ فكلُّ ما يَصدُقُ عليه أنه نبيٌّ، يَصدُقُ عليه أنه رسولٌ، والعكسُ صحيحٌ، كما تقولُ: كلُّ إنسانٍ ناطقٌ، وكلُّ ناطقٍ إنسانٌ، فهذان اللفظان مختلفان مفهومًا ومتساويان ماصَدَقًا، وجمهورُ المعتزلةِ يَتبنَّى هذا الرأيَ ويذهبُ إليه، انظر: «تعليق على شرح الأصول الخمسة» لمانكديم: ٥٦٧.

- **أما الرأيُ الثالثُ**: فمعناه أن مفهومَ «النبيِّ» أعمُّ من مفهومِ «الرسولِ»؛ وذلك لأن النبيَّ والرسولَ وإن كانا يشتركان في تَلقِّي الوحيِ منَ اللهِ تعالى، وهو النبأُ والإخبارُ، إلَّا أن في مفهومِ «الرسولِ» قيدًا زائدًا هو «الأمرُ بالتبليغِ» يخلو منه مفهومُ «النبيِّ»، وبناءً على القاعدةِ المنطقيةِ الَّتي تُحدِّدُ «الأخصَّ» بأنه «ما زاد قيدًا» يكونُ «الرسولُ» أخصَّ مطلقًا من النبيِّ، والنبيُّ أعمَّ مطلقًا من الرسولِ، ويَصدُقُ: كلُّ رسولٍ نبيٌّ، ولا يَصدُقُ عكسُه: كلُّ نبيٍّ رسولٌ. راجع: «معاني القرآن» للفرَّاء: ٢/ ٢٢٩، و«أصول الدِّين» لعبد القاهر البغدادي: ١٥٤.

وهذا الخلافُ -على دِقَّتِه العِلميَّةِ- لا يتعلَّقُ بأصلٍ من أصولِ الدِّينِ، ولا بأمرٍ معلومٍ مِن الدِّينِ بالضَّرورةِ، راجع: «شرح الجلال الدَّوَّاني على العقائد العضُدية» (مع التعليقات): ١/ ١٠ وما بعدها، وأيضًا: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفيِّ: ١٥٨.

(١) «شرح الجلال الدَّوَّاني على العقائد العضدية»: ١/ ٩، و«شرح العقائد =

www.alimamaltayeb.com

التَّعريفِ يَتبيَّنُ لنا أنَّ النُّبوَّةَ تقومُ على أركانٍ ثلاثةٍ:

١- المُرسِلُ؛ وهو اللَّهُ تعالى.

٢- الرِّسالةُ؛ وهي الوَحْيُ.

٣- الرَّسولُ؛ وهو الشَّخصُ المُنزلُ عليه الوَحيُ.

والوَحيُ الَّذي يَتنزَّلُ على الأنبياءِ هو كلامُ اللَّهِ تعالى المُتضمِّنُ لأوامرِه ونواهيه ووَعدِه ووعيدِه، والمُبيِّنُ للعقائدِ والعباداتِ وأصولِ الحلالِ والحرامِ، وهو المعبَّرُ عنه بالكُتُبِ الإلهيَّةِ المقدَّسةِ، والقرآنُ الكريمُ يُشيرُ إلى عددٍ مِن هذه الكُتُبِ، وما نعرِفُه منها -عن طريقِ القرآنِ الكريمِ- هو القرآنُ ثمَّ التَّوراةُ ثمَّ الإنجيلُ ثمَّ الزَّبورُ، إضافةً إلى صُحُفِ إبراهيمَ عليه السلام.

وهذه الكُتُبُ -كما أَوضحنا مِن قبلُ- هي كلامُ اللَّهِ تعالى، ووَحيُه الصَّادقُ، وقولُه الحقُّ الَّذي لا يأتيه الباطلُ مِن بينِ يَدَيهِ ولا مِن خَلفِه، تتنزَّلُ به الملائكةُ على قُلوبِ الأنبياءِ والمُرسَلين، وهو حقيقةٌ موضوعيَّةٌ خارجيَّةٌ يَعيها النَّبيُّ المُوحَى إليه؛ بحيثُ يَعرِفُ أنَّ الذي يخاطبُه ويَسمَعُ منه الوَحيَ ويحفظُه بقلبِه ولسانِه، هو الملَكُ المُرسَلُ مِن اللَّهِ تعالى إليه.

وفيما يتعلَّقُ بالرُّكنِ الأخيرِ مِن أركانِ النُّبوَّةِ -وهو: الرَّسولُ- ينبغي أن نَعرِفَ الحقائقَ الآتيةَ:

= النسفية»: ١٢٩.

www.alimamaltayeb.com

- عددُ الأنبياءِ:

١- صرَّحَ القرآنُ الكريمُ بذِكرِ أسماءِ بعضِ الرُّسُلِ؛ هم:

آدمُ - إدريسُ - نوحٌ - هودٌ - صالحٌ - إبراهيمُ - لوطٌ - إسماعيلُ - إسحاقُ - يعقوبُ - يوسُفُ - شُعيبٌ - أيُّوبُ - ذو الكِفلِ - موسى - هارونُ - سليمانُ - داودُ - إلياسُ - اليَسَعُ - يونُسُ - زكريَّا - يحيى - عيسى - محمَّدٌ، صلَواتُ اللَّهِ وسلامُه عليهم أجمعين.

وهؤلاءِ يَجبُ الإيمانُ بهم تفصيلًا على الوَجهِ الَّذي ذَكرَه القرآنُ الكريمُ.

٢- وهناك أنبياءُ آخَرُون صمَتَ القرآنُ الكريمُ عن ذِكرِ أسمائِهم، وإن كانَ أشارَ إليهم مِن خلالِ أدوارِهم وحواراتِهم مع أقوامِهم.

وهكذا يجبُ الاعتقادُ بأنَّ ثَمَّةَ أنبياءَ ورُسُلًا غيرُ هؤلاءِ الَّذين ذكَرَهُمُ القرآنُ، وأنَّنا لا نَعرِفُ عنهم ولا عن أقوامِهم ولا عن أزمانِهم شيئًا ذا بالٍ، اللَّهمَّ إلَّا بعضَ أوصافٍ أو كِناياتٍ محدودةٍ جاءت في سِياقِ القَصَصِ القرآنيِّ عن بعضِ الأماكنِ والأحداثِ:

- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: ٧٨].

- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

www.alimamaltayeb.com

- ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

٣- أولو العَزمِ: مِن بينِ مَن نَعرِفُهم مِن الأنبياءِ والمُرسَلين طائفةٌ تميَّزَت بالمزيدِ مِن الفَضلِ والعَزمِ والصَّبرِ، واختصَّها القرآنُ الكريمُ بتسميةٍ لا تُطلَقُ إلَّا عليهم وَحدَهم، وهي: أُولو العَزمِ، يقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وأُولُو العَزمِ: هم نوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، ومحمَّدٌ -عليهم جميعًا أفضلُ الصَّلاةِ وأتمُّ التَّسليم- وهذا ما يُشيرُ إليه القرآنُ الكريمُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وكلُّ رسولٍ مِن أُولي العَزمِ كان صاحبَ كتابٍ وصاحبَ شريعةٍ، كما قالَ تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ﴾ [الشورى: ١٣]

- التَّوحيدُ هو هدفُ النُّبُوَّاتِ:

ويَجبُ أن نَعلَمَ أنَّ الرِّسالاتِ السَّماويةَ إذا كانت قد صدَرَت كلُّها مِن مَصدَرٍ واحدٍ وهو اللَّهُ سبحانه وتعالى؛ فإنَّها لا بدَّ أن

www.alimamaltayeb.com

تَجِيءَ مُشترِكةً في أصولِها وأهدافِها وغاياتِها، وأن تدورَ حولَ دعوةٍ واحدةٍ لا تختلفُ فيها نُبُوَّةٌ عن نُبُوَّةٍ، أو نبيٌّ عن نبيٍّ، وكذلك كانتِ النُّبوَّاتُ، وكذلك جاءتِ الرِّسالاتُ كلُّها يُعضِّدُ بعضُها بعضًا، ويُذكِّرُ بعضُها بما ذكَّرَ به البعضُ الآخَرُ، وكان التَّوحيدُ هو قُطبَ الرَّحى في دعَواتِ الأنبياءِ، والقضيَّةَ المُشترَكةَ بين رسالاتِ المُرسَلين مِن أَوَّلِهم إلى آخِرِهم، وقد عبَّرَ النَّبيُّ ﷺ عن هذه «الآصِرةِ» المُشترَكةِ الَّتي ربَطَت بين دعوتِه ودعوةِ إخوتِه مِن الأنبياءِ والمُرسَلين صلَواتُ اللَّهِ عليهم أجمعين في عبارةٍ بليغةٍ تَفِيضُ رَوعةً وجمالًا، فقال: «**أَنَا أَولَى النَّاسِ بعِيسَى ابنِ مريمَ في الدُّنيا والآخِرَةِ، والأنبياءُ إخوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهاتُهم شتَّى ودِينُهم واحدٌ**»[1].

وآياتُ القرآنِ الكريمِ قاطعةُ الدَّلالةِ على وَحدةِ الرِّسالاتِ السَّماويةِ، والتقائِها جُملةً وتفصيلًا حولَ مبدأِ التَّوحيدِ، وأنَّ ما بينها مِن خِلافٍ محصورٌ في دائرةِ التَّشريعِ ومظاهرِ العبادةِ، أمَّا العقائدُ وأصولُ الأخلاقِ فلَم تَختلِف حولَها رسالةٌ عن رسالةٍ، ولم يَختلِف فيها قولُ نبيٍّ عن نبيٍّ، يقولُ اللَّهُ تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣) ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والعَلَّاتُ -بفتحِ العينِ- الزَّوجاتُ الضَّرائرُ، وأولادُ العَلَّاتِ: الإخوةُ مِن أبٍ واحدٍ وأمَّهاتٍ متعدِّدةٍ. انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض: ٢/ ٨٣، و«فتح الباري» لابن حجر: ٦/ ٥٥٠، ٥٥١.

www.alimamaltayeb.com

- ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

- ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ﴾ [العنكبوت: ١٦].

- ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

- ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: ٧٣].

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: ٨٥].

- ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١١ - ١٤].

- ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣].

www.alimamaltayeb.com

- الشُّروطُ الَّتي يجبُ توافُرُها في الأنبياءِ:

عرَفنا -فيما سبَقَ- أنَّ محورَ النُّبوَّةِ يدورُ حولَ مَعنى «الوَحيِ» المُنزلِ مِن اللَّهِ تعالى، أو بعبارةٍ أخرى: إنَّ النَّبيَّ هو الشَّخصُ الَّذي يَتلقَّى مِن اللَّهِ كلامًا يسمَعُه ويحفَظُه ثمَّ يُبلِّغُه للنَّاسِ.

وتكليمُ اللَّهِ لبعضِ البشرِ إنَّما يَعني ابتداءً اصطفاءَ هذا البعضِ وتميُّزَه بأوصافٍ وبمُستَوَياتٍ مِن طُهرِ السَّريرةِ ونقاءِ القَلبِ وصفاءِ الرُّوحِ لا يتحقَّقُ لغيرِ الأنبياءِ؛ مهما بلَغَت درجةُ استقامةِ هذا الغَيرِ وانضباطِ سلوكِه وتشوُّفِه إلى الاتِّصالِ بالملأِ الأعلى؛ وسببُ ذلك أنَّ النَّبيَّ في تميُّزِه عن غيرِه مِن عباقرةِ البَشَرِ وأذكيائِهم وفُضَلائِهم إنَّما يَستمِدُّ مُقوِّماتِ تميُّزِه مِن الاصطفاءِ الإلهيِّ، وليسَ مِنَ الاستعداداتِ الخاصَّةِ: الخلقيَّةِ والعقليَّةِ والنفسيَّةِ، وقد أشارَ القرآنُ الكريمُ صراحةً إلى هذا «الاصطفاءِ النبويِّ» في أكثرَ مِن مَوضِعٍ:

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

- ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

- ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

www.alimamaltayeb.com

هذا الاصطفاءُ الإلهيُّ لا بدَّ أن يُحدِثَ أثَرَه في صُنعِ أخلاقِ النَّبيِّ وتشكيلِ أحاسيسِه وتوجيهِ مُيولِه وغرائزِه؛ فَلِكَي يكونَ النَّبيُّ قادرًا على تَلقِّي الوَحيِ الإلهيِّ، ويكونَ قلبُه مَحَلًّا قابلًا للتَّنزُّلاتِ الإلهيَّةِ يجبُ أن يكونَ على مُستوًى بالغِ الرِّفعةِ والعُلُوِّ مِن تهذيبِ النَّفسِ وتكميلِها بالفضائلِ والآدابِ العُليا.

يقولُ تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ويقولُ في شأنِ موسى عليه السلام: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١].

وفي شأنِ سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤][1].

---

(١) وإذا كانت نصوصُ القرآنِ الكريمِ قاطعةً في أنَّ النُّبوَّةَ أوِ الرِّسالةَ «اصطفاءٌ»، فهذه النُّصوصُ نفسُها دليلٌ قاطعٌ أيضًا على أنَّ «النُّبوَّةَ» هبةٌ مِن اللَّهِ تعالى، لا تُكتسَبُ ولا يُتوصَّلُ إليها بكثرةِ الرِّياضة النَّفسيَّةِ أو التَّجارِبِ الرُّوحيَّةِ العنيفةِ، أو التَّقشُّفِ الشَّديدِ الَّذي يُمارِسُه بعضُ الزُّهَّادِ والمتنسِّكينَ، وقد يُمكِنُ أن تصفُوَ نفسُ الزَّاهدِ أو المتنسِّكِ، وتُشرِقَ في آفاقِها تجلِّياتٌ وأذواقٌ، ولكن يظلُّ الفرقُ بينه وبينَ النَّبيِّ بعيدًا بُعدَ الأرضِ والسَّماءِ، ويظلُّ الفرقُ أيضًا بعيدًا بين أذواقٍ وإشراقاتٍ شخصيةٍ لا تُقدِّمُ بين يدَيها أيَّ دليلٍ على موضوعيَّتِها، وبين ما يتلقَّاه النَّبيُّ مِن «وَحْيٍ» متضمِّنٍ لِهديِ النَّاسِ جميعًا، بما يشتملُ عليه من عقائدَ، وعباداتٍ، وأخلاقٍ، وتشريعٍ، وأمرٍ ونَهيٍ، ووَعْدٍ ووعِيدٍ، وحلالٍ وحرامٍ، وبمنهجِه الَّذي يعتمدُ فيه على خطابِ الحواسِّ، وخطابِ العقلِ والقلبِ معًا. =

www.alimamaltayeb.com

ويُلخِّصُ عُلماءُ العقيدةِ الشُّروطَ الَّتي يجبُ توافُرُها في الأنبياءِ في أربعةِ شروطٍ:

١- **الذُّكورةُ**: أي لا بدَّ أن يكونَ الرَّسولُ رَجُلًا، وهذا أمرٌ ظاهرٌ؛ لأنَّ مَهامَّ الرِّسالةِ ومَشاقَّها وعزائمَها ممَّا لا يَتناسَبُ مع الطَّبيعةِ الأُنثويَّةِ مِن قريبٍ أو مِن بعيدٍ، وقد نقَلَ بعضُ العُلماءِ الإجماعَ على عَدَمِ إرسالِ رُسُلٍ مِنَ النِّساءِ(١)، وهذا هو مدلولُ قولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف: ١٠٩].

= ليس النبيُّ فيلسوفًا، ولا مُصلِحًا اجتماعيًّا، ولا مُفكِّرًا عبقريًّا، فكلُّ أولئك إنَّما يعملون ويُبدِعونَ في دائرةِ الصَّوابِ والخطأِ، والصِّدقِ والكذبِ، والاحتمالِ والتَّرجيحِ، أمَّا النَّبيُّ فيرفعُه الاصطفاءُ الإلهيُّ إلى مستوى العِصْمَةِ في أفعالِه وأقوالِه على السَّواءِ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

(١) هذا الإجماعُ منسوبٌ إلى الكِرمانيِّ في «الكواكب الدراري»، انظر: «حاشية شرح الدَّوَّاني للعقائدِ العضُديَّة»: ١/ ٩ (مع تعليقات الجرجاني).. ولكن رُوِيَ حديثٌ شريفٌ يفيدُ أنَّه «كانَ في النِّساءِ أَربَعُ نبيَّاتٍ» [انظر: «مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري» لابن فورك: ١٧٤ سطر ١١، ١٢]. وسببُ ذلك فيما أرَى أنَّ مهمَّةَ الرَّسولِ شاقَّةٌ ودائمَةٌ ولا تَقبلُ التَّأجيلَ بحالٍ، وهذا ممَّا لا تُطيقُه طبيعةُ النِّساءِ، أمَّا النُّبوَّةُ فلأنَّها لما كانَت وحيًا خاصًّا بالنَّبيِّ وقاصِرًا عليه وَحْدَه صَحَّ أن يختارَ اللَّهُ لها بعضًا مِنَ النِّساءِ تكريمًا لهنَّ.

www.alimamaltayeb.com

٢- **الأمانةُ**: والمقصودُ بها صِدقُ الأنبياءِ في أقوالِهم وأفعالِهم، وهذا يَعني أنَّ الأنبياءَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ معصومون عن الكذبِ، خصوصًا فيما يَتعلَّقُ بأمرِ الشَّرائعِ وتبليغِ الأحكامِ وإرشادِ الأمَّةِ، أمَّا عَمدًا فبالإجماعِ، وأمَّا سهوًا فعند الأكثرينَ[١].

٣- **العِصمةُ مِن الوُقوعِ في الذُّنوبِ**: والذَّنبُ أنواعٌ ثلاثةٌ: الكُفرُ - الكَبائرُ -الصَّغائرُ.

- **أمَّا الكُفرُ**: فلا خِلافَ في أنَّهم معصومون عنه قبلَ النُّبوَّةِ وبعدَها.

- **وأمَّا الكَبائرُ**: فلا خِلافَ أيضًا في أنَّهم لا يتعمَّدونَ فِعلَها لا قبلَ النُّبوَّةِ ولا بَعدَها، وكثيرٌ مِن العُلماءِ جوَّزَ صُدورَ الكَبائرِ عنهم في حالةِ السَّهوِ فقط.

- **وأمَّا الصَّغائرُ**: ففيها خِلافٌ بين العُلماءِ؛ فبعضُهم منَعَ وُقوعَها قبلَ الوَحْيِ وبعدَه، وبعضُهم جوَّزَها بعد الوَحْيِ، ولكن بشرطِ ألَّا تكونَ الصَّغائرُ مِن النَّوعِ المُستلزِمِ للخِسَّةِ والوَضاعةِ وسُقوطِ الشَّخصِ مِن أَعيُنِ النَّاسِ[٢].

٤- وهناك صفاتٌ أخرى اشترَطَها عُلماءُ العقيدةِ؛ مِثلُ: الفِطنةِ، والذَّكاءِ، وعدمِ المرضِ المُنفِّرِ؛ فكلُّ ذلك ممَّا يتعارَضُ

---

(١) «شرح العقائد النسفية»: ٤٦٦.

(٢) م.ن: ٤٧٦.

www.alimamaltayeb.com

مع اصطفاءِ اللَّهِ لرُسُلِه كما يتعارَضُ مع مُقتضى الرِّسالةِ الَّذي هو دعوةُ النَّاسِ وجَذبُهم إليهم.

***

www.alimamaltayeb.com

المُعْجِزَة

- النُّبوَّةُ والمُعجِزةُ:

النُّبوَّةُ مِن الأمورِ الخارقةِ للعادةِ؛ بمعنَى أنَّها ليست مِن الظَّواهرِ الَّتي تَجري على القواعدِ الطبيعيَّةِ المألوفةِ، أو تَنضبطُ بالقوانينِ والسُّننِ الكَونيَّةِ؛ وذلك لاتصالِ النبوَّةِ اتصالًا مباشرًا بقُوًى غيبيَّةٍ عُليا، يَعجِزُ الإنسانُ العاديُّ عن إدراكِها أو الِاتِّصالِ بها عجزًا مُطلَقًا، وفي النُّبوَّةِ «إدراكٌ» يدَّعيه النَّبيُّ؛ وهو إدراكٌ خفيٌّ محجوبٌ عن أسماعِ النَّاسِ وأبصارِهم وكلِّ قُواهم المُدرِكةِ: ما ظهَرَ منها وما بطَنَ، وفي النُّبوَّةِ ادِّعاءٌ بأنَّ النَّبيَّ يتَلقَّى أخبارًا مِن السَّماءِ في أقلَّ مِن لَمحِ البَصرِ، وكلُّ هذا ممَّا يَصطَدِمُ اصطِدامًا مُباشرًا مع عاداتِ النَّاسِ وما جرَت به مِن قوانينَ طبيعيَّةٍ ونواميسَ كونيَّةٍ.

مِن هُنا كانتِ النُّبوَّةُ أمرًا بعيدَ الاحتمالِ -بل مُستبعَدًا- في دائرةِ ما تعوَّدَه النَّاسُ وأَلِفُوه في حياتِهم، ومِن هنا -أيضًا- أنكَرَ المُنكِرون على الأنبياءِ دَعواهمُ النُّبوَّةَ، وقاوموهم مُقاومةً شديدةً.

وكان مَبعثُ إنكارِهم هو استبعادَهم لِأَن يتفرَّدَ إنسانٌ واحدٌ بظاهرةٍ غريبةٍ لا يَقدِرُ عليها سائرُ النَّاسِ، وكان في تقديرِهم أنَّ

www.alimamaltayeb.com

النُّبوَّةَ لو كانت أمرًا حقيقيًّا، فإمَّا أن يستطيعَها النَّاسُ جميعًا، وإمَّا أن تُناطَ بكائنٍ غيرِ بَشَريٍّ ذي قدراتٍ خارقةٍ تتخطَّى حدودَ البشرِ وإمكاناتِه، أمَّا أن تكونَ النُّبوَّةُ أمرًا خارقًا لِنُظُمِ البَشَرِ وعاداتِهم ومألوفاتِهم، ثمَّ تظهرَ على واحدٍ مِن هؤلاءِ البَشَرِ؛ فهذا هو -في زَعمِهِمُ- التَّناقضُ الَّذي لا تُطيقُه عُقولُهم، لذلك كان المنكرونَ يَحتجُّونَ مرَّةً على أنبيائِهم بأنَّهم بَشَرٌ مِثلُهم، ومعَ ذلك لا يَجِدُ المنكِرون في أنفُسِهم شيئًا ممَّا يقولُه الأنبياءُ والرُّسلُ، ومرَّةً يُظهِرون حَيرتَهم مِن بَشَريَّةِ النَّبيِّ ومُماثلتِه للنَّاسِ في الأكلِ والشُّربِ والمشيِ في الأسواقِ، وثالثةً يُبدُونَ دَهشتَهم مِن عَدَمِ تَحمُّلِ الملائكةِ لهذا الأمرِ وقِيامِهم به بَدَلًا مِن هؤلاءِ البَشَرِ، ورابعةً يَهرُبونَ مِن المُواجَهةِ جُملةً وتفصيلًا، ويُحيلونَ القضيَّةَ كلَّها إلى دائرةِ السِّحرِ أوِ الجُنونِ أوِ التَّلقِّي مِن أشخاصٍ خفيَّةٍ مَستورةٍ، وليس وراءَ هذه الاعتراضاتِ إلَّا دافعٌ واحدٌ؛ هو فَهمُ الكفَّارِ والمُلحِدِين للنُّبوَّةِ بالمقاييسِ العاديَّةِ الَّتي تَعوَّدَها النَّاسُ:

- ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [إبراهيم: ١٠].

- ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس: ١٥].

www.alimamaltayeb.com

- ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٧، ٨].

- ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الحجر: ٦، ٧].

- ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ص: ٤].

- ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾ [ص: ٨].

- ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٤].

ونُلاحِظُ مِن سِياقِ الآياتِ مُجتمِعةً: أنَّ مُنكري النُّبوَّةِ كانوا يَنطلِقونَ في تكذيبِهم للأنبياءِ مِن مبدأِ «استبعادِ» أن يتصلَ الأنبياءُ بالملأِ الأعلى مع احتِفاظِهم في الوقتِ نفسِه ببَشَريَّتِهم؛ وقد بَنَوا استِبعادَهم هذا على أنَّ مَنطِقَ العادةِ والحِسِّ ضرورةٌ مُطَّرِدةٌ لا يَصِحُّ أن تتَخلَّفَ؛ ولذلك طَلَبوا مِن الأنبياءِ بُرهانًا قاطعًا على صِدقِ دَعواهم لا يَترُكُ لَدَيْهم مجالًا لِشَكٍّ أو رِيبةٍ: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وليسَ هذا «السلطانُ المُبينُ» الَّذي طَلبَه المُنكِرون إلَّا «المعجزةَ».

وحقيقةُ النُّبوَّةِ إذا كانت أمرًا خارقًا للعادةِ؛ لما تَشتمِلُ علَيه مِن أُمورٍ تَصدِمُ القوانينَ العاديَّةَ، فلا بُدَّ أن يكونَ بُرهانُها أو دليلُها مِن

www.alimamaltayeb.com

جِنسِها أيضًا؛ أي: لا بدَّ أن يأتيَ النَّبيُّ بأمرٍ خارقٍ للعادةِ يُثبتُ به نُبوَّتَه، ويَحمِلُ العَقلَ السَّويَّ على تَصديقِه، وهذا الأمرُ الخارقُ هو المعجزةُ، وهي الَّتي يَخرِقُ بها اللَّهُ العادةَ على يَدَي النبيِّ، فإذا أظهَرَ اللَّهُ المعجزاتِ التي تكسرُ القوانينَ الطبيعيَّةَ على أيدِي الأنبياءِ، فسوفَ تَسقُطُ كلُّ حُجَجِهم في رَفضِ النُّبوَّةِ؛ لأنَّهم إذا صدَّقوا هذا الذي يرَونَه بأُمِّ أعينِهم مِن أُمورٍ تجرِي على عكسِ قوانين الحياةِ، فإنَّ العقلَ يُضطَّرُّ اضطرارًا إلى تصديقِ مَن جرَى على يدَيه هذا الإعجازُ، ولا عُذرَ للعقلِ في أن يفرِّقَ في تصديقِه بينَ المعجزةِ التي يراها، والنبوَّةِ التي يدَّعِيها النبيُّ، فكلاهما متساويانِ في الخروجِ على المألوفِ المعتادِ.

وإذًا، فالتَّصديقُ بالنُّبوَّةِ والتَّصديقُ بالمعجزةِ أمرانِ مُتلازمانِ، والمعجزةُ هي دليلُ العَقلِ الأوحدُ -في حالةِ الإنكارِ- على صِدقِ النُّبوَّةِ[١].

- **تعريفُ المُعجِزةِ:**

يُعرِّفُ عُلماءُ العقيدةِ المُعجِزةَ بأنَّها: «أمرٌ خارقٌ للعادةِ، يَظهَرُ على يدِ مُدَّعي النُّبوَّةِ عند تحدِّي المُنكرِين، على وجهٍ يدُلُّ على صِدقِه، ولا يُمكنُهم مُعارضتُه»[٢]، ويُشترَطُ في المُعجزةِ أن تكونَ:

(١) «الميزان في تفسير القرآن»: ١/ ٨٤.

(٢) «شرح العقائد العضُدية» للجلال الدوَّاني: ٢/ ٢٧٦.

www.alimamaltayeb.com

١- فِعلًا مِن الأفعالِ المُخالِفةِ لِما تعوَّدَ عليه النَّاسُ وأَلِفوهُ.

٢- أن يُظهِرَه اللَّهُ على يَدِ مِن يَدَّعي النُّبوَّةَ.

٣- أن يكونَ الغرضُ مِن ظُهورِ هذا الفِعلِ الخارقِ هو تحدِّيَ المُنكرِين، سواءٌ صرَّحَ النَّبيُّ صاحبُ المُعجزةِ بالتحدِّي، أو كان التحدِّي مَفهومًا مِن قرائنِ الأحوالِ.

٤- أن تَجِيءَ المُعجزةُ مُوافِقةً لِدَعوى النُّبوَّةِ ومصدقةً إيَّاها، فإذا حَدثتِ المعجزةُ وكَذَّبتِ النبيَّ في دَعواهُ؛ فلا يكونُ النَّبيُّ صادقًا، كأن يقول للناس: أنا نبيٌّ، ومُعجزتِي أن ينطِقَ هذا الحجرُ، فنطَقَ وقالَ: هذا المُدَّعِي كذَّابٌ.

٥- أن يَعجِزَ المُنكرونَ عن الإتيانِ بمعجزةٍ مُماثِلةٍ لمعجزةِ النَّبيِّ؛ أي: يَعجِزون عن مُعارضتِه.

- الفَرقُ بين المُعجِزةِ والكَرامةِ:

المعجزةُ والكرامةُ كلاهما أمرٌ خارقٌ للعادةِ، والفَرقُ بَينَهما أنَّ المعجزةَ تَظهَرُ على يدِ النَّبيِّ، ومِن شُروطِها: دعوى النبوَّةِ، أمَّا الكرامةُ فتَظهَرُ على يدِ الأولياءِ مِن عِبادِ اللَّهِ الصَّالحين، ويجوزُ أنْ تظهَرَ معجِزةُ الأنبياءِ على أيدي الأولياءِ، وتُسمَّى حينئذٍ «كرامةً»، والفَرقُ بينَهما: أنَّ النَّبيَّ يتحدَّى النَّاسَ بمعجزتِه، بينما الوليُّ - فيما يقولُ الإمامُ الأشعريُّ: «لا يتحدَّى بها [بالكرامةِ]، ولا

www.alimamaltayeb.com

يُظهِرُها، ولا يدَّعي فيها، بل يرَى رؤيتَها والنَّظرَ إليها والإعجابَ بها والدَّعوَى فيها خطأً ومعصيةً»[١].

وكراماتُ الأولياءِ لا تُفسَّرُ -فقط- بإظهارِ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ الَّذي يُوفَّقُ إليه الوليُّ، بل تُفسَّرُ أيضًا بالأمرِ الخارقِ للعادةِ الَّذي يُظهِرُه اللَّهُ على أيدي الأولياءِ، مثل التَّأثيراتِ الَّتي يُحدِثُها اللَّهُ -على أيدِيهم- في الأشياءِ على خِلافِ العادةِ، وكلِّ ما يُعرَفُ عنهم في هذا المجالِ مِن إشراقاتٍ ومُكاشَفاتٍ تتخطَّى الحُجُبَ والحواجزَ.

والهدفُ مِن حصولِ كراماتِ الأولياءِ استمرارُ الدَّلائلِ على تمامِ قُدرةِ اللَّهِ تعالى، وأنَّه فعَّالٌ لِما يُريدُ، وأنَّ للَّهِ سُننًا أخرى تَعلُو فوقَ هذه السُّنَنِ الكونيَّةِ، وتتدخَّلُ فيها وتُبطِلُ قوانينَها متى شاءَت إرادةُ القادرِ المُختارِ.

يقولُ ابنُ تيميَّةَ: «ومِن أصولِ أهلِ السُّنَّةِ التَّصديقُ بكراماتِ الأولياءِ، وما يُجري اللَّهُ على أَيديهم مِن خوارقِ العاداتِ في أنواعِ العلومِ والمُكاشَفاتِ وأنواعِ القُدرةِ والتَّأثيراتِ، والمأثورِ عن سالفِ الأُمَمِ في سُورةِ الكهفِ وغيرِها، وعن صدرِ هذه الأُمَّةِ مِن الصَّحابةِ والتَّابعينَ وسائرِ فِرَقِ الأُمَّةِ، وهي موجودةٌ إلى يومِ القيامةِ»[٢].

---

(١) «مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري» لابن فورك: ١٧٧.

(٢) «العقيدة الواسطية» لابن تيمية مع «شرح الشيخ محمد خليل هراس»: ١٢٤، ١٢٥.

www.alimamaltayeb.com

- الفَرقُ بين المعجزةِ والسِّحرِ:

وإذا كانتِ المعجزةُ خارقةً للعادةِ؛ فإنَّ السِّحرَ ليس مِن خَوارقِ العاداتِ، وإنَّما هو تخييلٌ يَرجِعُ إلى خِفَّةٍ في اليدِ، أو يَرجِعُ إلى الشَّعبَذةِ، والسَّاحرُ إنَّما يُؤثِّرُ في أَعيُنِ النَّاسِ فيَجعلُها ترى أشياءَ لا حقيقةَ لها في واقعِ الأمرِ، وبعبارةٍ أخرى: إنَّ السِّحرَ لا يَقلِبُ حقائقَ الأشياءِ ولا يُغيِّرُها ولا يُؤثِّرُ فيها، وإنَّما هو تخييلٌ يَحدُثُ للرَّائي وليس له أيُّ مُقابِلٍ موضوعيٍّ في واقعِ الأشياءِ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وكأنَّ القرآنَ الكريمَ يُشيرُ إلى أنَّ المُتأثِّرَ بالسِّحرِ هو أَعيُنُ النَّاسِ وليس حقائقَ الأشياءِ، والسِّحرُ في هذا الإطارِ يُعادِلُ ظاهرةَ السَّرابِ الَّذي يراهُ الإنسانُ رَأيَ العَينِ، وليس له أيُّ وُجودٍ في واقعِ الأمرِ، أمَّا المعجزةُ فهي -كما عرفنا- تأثيرٌ حقيقيٌّ في واقعِ الأشياءِ بتغييرِها أو إلغائِها أو إبطالِ تأثيرِها وقوانينِها . . على أنَّنا لوِ اعتبَرنا السِّحرَ فِعلًا خارقًا للعادةِ ومُؤثِّرًا في ذواتِ الأشياءِ؛ فسوف يَظَلُّ الفَرقُ بعيدًا جدًّا بينه وبين المُعجِزةِ، فالمعجزةُ -كما أَشرنا مِن قبلُ- مِن شُروطِها أن يَعجزَ النَّاسُ عن مُعارَضتِها؛ أي: عن الإتيانِ بمِثلِها؛ لأنَّه ليسَ في طاقةِ البَشَرِ أن يَخرُجُوا عن السُّنَنِ والقوانينِ الكونيَّةِ ويُطالِعُونا بالمعجزاتِ، أمَّا السِّحرُ فإنَّه في مقدورِ أيِّ شخصٍ أن يَتعلَّمَه ويُتقِنَه؛ بحيثُ يسهُلُ عليه أن يُعارِضَ أيَّ

www.alimamaltayeb.com

ساحرٍ آخَرَ، ويأتيَ بمِثلِ ما أَتى به أو بأكبرَ منه، فالفَرقُ بين المعجزةِ والسِّحرِ يكمُنُ في:

١- أنَّ السِّحرَ تخييلٌ يَتعامَلُ مع الأَعيُنِ لا مع الأشياءِ، والمعجزةُ حقيقةٌ تُؤثِّرُ في ذَواتِ الأشياءِ.

٢- أنَّ المعجزةَ تَستحيلُ مُعارَضتُها والرَّدُّ عليها بمعجزةٍ أخرى، بَينَما السِّحرُ عِلمٌ يُمكِنُ أن يُتعلَّمَ ويُعارَضَ بمِثلِه.

- المعجزةُ مُستحيلٌ عاديٌّ لا عقليٌّ:

ويجبُ أن نَعرِفَ أنَّ المعجزةَ وإن كانت مُستحيلًا عاديًّا؛ أي: ممَّا تُحيلُه العادةُ، إلَّا أنَّها ليست مُستحيلًا عقليًّا، وإنَّما هي مِن المُمكِناتِ العقليَّةِ، والمُمكِنُ العقليُّ هو ما يتصوَّرُ العَقلُ حُدوثَه ووُقوعَه، مِثلَ تَصوُّرِ وُجودِ نارٍ بلا حرارةٍ حارقةٍ، أو تَصوُّرِ قَمرٍ مُنقَسِمٍ إلى شِقَّينِ، أو تَصوُّرِ انفلاقٍ في البحرِ يَشطُرُ الماءَ شَطرَينِ عظيمَينِ، كلُّ هذه التَّصوُّراتِ لا يَجِدُ العَقلُ مانعًا يمنعُه مِن تَصوُّرِ وُقوعِها، وقُدرةُ العَقلِ على تَصوُّرِها هي نفسُها بُرهانُ إمكانِها وقَبولِها للوُقوعِ؛ فليس هناك أيُّ مانعٍ يَمنَعُ العَقلَ مِن أن يَتصوَّرَ شخصًا يُلقَى في اللَّهَبِ ولا يَحترِقُ، أو قَمرًا مُنشَقًّا إلى نِصفَينِ، أو طريقًا جافًّا يَقسِمُ البحرَ إلى قِسمَينِ.

www.alimamaltayeb.com

وصحيحٌ أنَّ هذه الأمورَ مُستبعَدةٌ أو مُستحيلةٌ على مُستوى ما أَلِفَه النَّاسُ واعتادُوه، لكنَّ العَقلَ لا يرفُضُ إمكانَ حُصولِها بالفِعلِ ولا يُحيلُه.

وتَستطيعُ أن تُقارِنَ هذه الأمورَ بأمورٍ يَرفُضُ العَقلُ حُدوثَها، ويَعجِزُ عن مُجرَّدِ رَسمِ صُورةٍ ذِهنيَّةٍ لها؛ مَثَلًا: لو حاوَلَ العَقلُ أن يَتصوَّرَ حُدوثَ مُثلَّثٍ له أربعةُ أضلاعٍ، أو وُجودَ شخصٍ في مكانَينِ في آنٍ واحدٍ، أو وُجودَ جِسمٍ صغيرٍ أكبرَ مِن جِسمٍ كبيرٍ، أو اجتماعَ لونٍ أبيضَ مع لونٍ أسودَ بحيثُ يكونُ هذا الشَّيءُ أبيضَ أسودَ معًا، أو أنَّ مَجموعَ: ١ + ١= ٥.

إنَّ مِثلَ هذه التَّصوُّراتِ يَرفُضُها العَقلُ منذُ أَوَّلِ وَهلةٍ، ويَعجِزُ عن مُجرَّدِ تَصوُّرِها؛ وهذه هي المُستحيلاتُ العقليَّةُ التي لا يُمكِنُ أن تَقَعَ أو تَحدُثَ على مَسرحِ الوُجودِ، فالمُستحيلاتُ قِسمان:

١- **مُستحيلاتٌ عاديَّةٌ**: تُحيلُها العادةُ فقط، أي: هي مستحيلةٌ على مستوَى العادةِ والواقعِ، لكن على مستوَى العَقلِ والتَّصوُّرِ يمكِنُ حُصولُها ووقوعُها.

٢- **مُستحيلاتٌ عقليَّةٌ**: يُحيلُها العَقلُ على مستوَى التصوُّرِ الذِّهنيِّ، وتُحيلُها العادةُ والواقعُ مِن بابٍ أَولى.

فإلى أيِّ القَبيلَينِ تَنتسِبُ المعجزاتُ؟ إنَّها تَنتسِبُ إلى النَّوعِ الأوَّلِ؛ أي: أنَّ المعجزةَ وإن كانت مُستحيلةً وبعيدةً على مُستوى

www.alimamaltayeb.com

العادةِ، إلَّا أنَّها تدخُلُ في قِسمِ المُمكِناتِ الَّتي لا يرى العَقلُ بأسًا في تصوُّرِ حُدوثِها.

والَّذين يُنكِرونَ المعجزاتِ ويقولون: إنَّها مُستحيلاتٌ عقليَّةٌ؛ يَغفُلُون عن طبيعةِ المعجزةِ، ويَخلِطون بين الاستحالةِ العاديَّةِ الَّتي يُمكِنُ أن تَتخلَّفَ، والاستحالةِ العَقليَّةِ الَّتي لا يُمكِنُ أن تتخلَّفَ بحالٍ مِن الأحوالِ.

في هذا الإطارِ جاءت خوارقُ العاداتِ على يدِ الأنبياءِ مُعجزاتٍ وبراهينَ على صِدقِ النَّبيِّ في دَعواهُ النبوَّةَ، وكانت كلُّ معجزةٍ مِن جِنسِ ما برَعَ فيه القومُ الَّذين أُرسِلَ إليهِمُ النَّبيُّ؛ فكانت معجزةُ مُوسى عليه السلام مُناسِبةً لِما غلَبَ على قومِه وبَرَعُوا فيه وهو السِّحرُ، فأبطَلَ مُوسى بآياتِه سِحرَهم، ولم يَستطيعوا أن يُعارِضوه في شيءٍ ممَّا جاءَهم به، وهمُ الخُبَراءُ المُتخصِّصونَ في هذا الفنِّ، وكانتِ النَّتيجةُ أن سارَعَ كِبارُ السَّحَرةِ إلى التَّصديقِ بِنُبُوَّةِ مُوسى عليه السلام، والإيمانِ بما جاءَ به.

وكذلك لمَّا بعَثَ اللَّهُ عيسى عليه السلام في مُجتمَعٍ ظهَرَت فيه العِللُ، وبرَعَ أهلُه في مِهنةِ الطِّبِّ؛ جاءَهم بمعجزةٍ مِن جِنسِ ما بَرَعوا فيه؛ فأَحيَا المَوتَى وأبرَأَ الأَكمَهَ والأبرَصَ بإذنِ اللَّهِ، وأثبَتَ اللَّهُ به الحُجَّةَ على قومِه(١).

---

(١) راجع: «الميزان في تفسير القرآن»: ٦/ ٢٢٢.

www.alimamaltayeb.com

معجزاتُ الأنبياءِ السَّابقينَ:

ونستطيعُ أن نقولَ: إنَّ جميعَ معجزاتِ الأنبياءِ السَّابقين على سيِّدِنا محمدٍ ﷺ وعليهم أجمعين كانت:

١- معجزاتٍ حسِّيَّةً؛ كالعَصا والآياتِ التِّسعِ بالنِّسبةِ لموسى عليه السلام، وكإحياءِ المَوتَى وإبراءِ الأكمَهِ بالنِّسبةِ لعيسَى عليه السلام.

٢- مُعجزاتٍ مَحصورةً في أماكنَ مُعيَّنةٍ وأزمانٍ مُعيَّنةٍ أيضًا؛ لأنَّ رسالاتِ الأنبياءِ السَّابقينَ لمَّا كانت رسالاتٍ خاصَّةً بشَعبٍ مُعيَّنٍ، ولها أجلٌ محدودٌ؛ جاءت معجزاتُهم حسِّيَّةً تَتناسَبُ مع محدوديَّةِ الرِّسالاتِ الَّتي كُلِّفوا بها.

- مُعجزةُ النَّبيِّ محمدٍ ﷺ:

ولمَّا كانت رسالتُه ﷺ رسالةً عامَّةً للنَّاسِ جميعًا، وكانت رسالةً خاتمةً وباقيةً بَقاءَ النَّوعِ الإنسانيِّ؛ كانت معجزتُه الأُولى معجزةً عقليَّةً؛ أي: معجزةً لها طبيعةُ العُمومِ والاستمرارِ، وذلك حتَّى تظَلَّ بُرهانًا مُستمِرًّا على رسالتِه ﷺ، وعلى عُمومِ رسالتِه واستمرارِها كذلك، وهذه المعجزةُ العقليَّةُ هي القرآنُ الكريمُ، ووَجهُ الإعجازِ في القرآنِ يُمكِنُ أن نُلخِّصَه في ثلاثةِ أمورٍ:

الأوَّلُ: أنَّه بلَغَ في رَوعةِ الأسلوبِ وجَمالِ البيانِ ودِقَّتِه مُستوًى سجَدَ له أئمَّةُ الفَصاحةِ والبلاغةِ مِن قُريشٍ، ومِن غيرِ المؤمنين به

www.alimamaltayeb.com

والمُتَّبِعينَ له، وقد أَحَسُّوا هم أنفسُهم بأنَّ الكلامَ الَّذي يَتلُوه النَّبيُّ ﷺ على مَسامِعِهم لا يَتشابَهُ مع ما أَلِفوهُ مِن أساليبِ البيانِ، لا في قليلٍ ولا كثيرٍ، واعترَفُوا بأنَّه مِن مُستوًى آخَرَ يَعلُو فوقَ مُستوى كلامِ الإنسِ والجنِّ، وقد تَحدَّاهمُ القرآنُ بأن يَأتُوا بمِثلِه أو بِمثلِ سُورةٍ واحدةٍ منه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

وكان هذا التَّحدِّي يَقرَعُ مَسامِعَهم ليلَ نهارَ، ويَستفِزُّ فُصحاءَهم وبُلغاءَهم، ويفضَحُ عاداتِهم وعقائدَهم وتقاليدَهم، لكنَّهم لم يُجيبوا على تحدِّي القرآنِ إلَّا بمَزيدٍ مِن العَجزِ والاستسلامِ، في الوقتِ الذي هم فيه أحرَصُ النَّاسِ على مُجابَهةِ هذا التَّحدِّي بِتَحدٍّ أعنَفَ وأشَدَّ، بل أحرَصُ النَّاسِ على الكَيدِ لمحمَّدٍ ﷺ، وتدميرِ رسالتِه، وتحطيمِها مِن الجذورِ.

الثَّاني: أنَّ القرآنَ أخبَرَ عن أُمورٍ غَيبيَّةٍ لم تكُن حدَثَت وقتَ إخبارِ النَّبيِّ ﷺ بها، ثمَّ حَدَثَت بعدَ ذلك، وعلى الوَجهِ الَّذي تلَاه علَيهم القرآنُ، وكذلك أخبارُ السابقينَ التي لم يكُنْ يعرفُها أحَدٌ في

المجتمعِ آنذاكَ، ولم يكُنِ النَّبيُّ ﷺ يعرِفُ عنها شيئًا قبلَ أن يَنزِلَ عليه الوَحيُ بهذه الأخبارِ فقد كان أُمِّيًّا لا يَقرَأُ ولا يكتُبُ، وكانت بيئتُه العربيَّةُ بيئةً وثنيَّةً لا تَعرِفُ شيئًا مِن كلِّ ذلك.

وكان عُلماءُ اليهودِ والنَّصارى يَتَحدَّونَهُ ﷺ بأسئلةٍ تَتعلَّقُ بتاريخِهم وتُراثِهم، وكان يُجيبُهم -في ثِقةِ المُطَّلِعِ على حقائقِ الأمورِ- على كلِّ ما يسألونه[(١)]: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٤-٤٦] وهناك غُيوبٌ كثيرةٌ أخبرَ بها القُرآنُ قبلَ أنْ تكونَ، فكانَت كما حدَّدَها القُرآنُ، ممَّا يقطَعُ بأنَّ هذا لا يحدُثُ إلَّا مِن علَّامِ الغُيوبِ[(٢)].

الثَّالثُ: ما تَضمَّنَه القرآنُ مِن تشريعاتٍ اجتماعيَّةٍ، ومِن قِيَمٍ ومفاهيمَ عنِ الإنسانِ والكونِ والعَلاقاتِ الاجتماعيَّةِ، لم تَعرِفِ البشريَّةُ حتَّى الآنَ مَثيلًا لها في دِقَّتِها وشُمولِها وعَدلِها وإنصافِها.

---

(١) راجع في هذا الموضوع: «موجز في أصول الدين» لمحمد باقر الصدر: ٨١ وما بعدها؛ وأيضًا: «الإسلام يتحدى» لوحيد الدين خان: ١٧٥وما بعدها.

(٢) راجِع في ذلك «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار: ١، في أبوابٍ متفرِّقةٍ كثيرةٍ.

www.alimamaltayeb.com

- **المعجزاتُ الحِسِّيَّةُ للنَّبيِّ ﷺ:**

هذا القرآنُ الكريمُ هو المعجزةُ الكُبرى للنَّبيِّ ﷺ، وهو معجزةٌ عقليَّةٌ تَتَّصِفُ بِصِفتَينِ أساسيَّتَينِ؛ العُمومِ لجميعِ النَّاسِ -ولجميعِ الجنِّ أيضًا- والاستمرارِ إلى آخِرِ الزَّمنِ .. ولكن هلِ انحصَرَت معجزةُ النَّبيِّ ﷺ في القرآنِ الكريمِ الَّذي هو معجزةٌ عقليَّةٌ، أو له معجزاتٌ أخرى حِسِّيَّةٌ؟

جُمهورُ عُلماءِ المسلمين على أنَّ هناك خوارقَ حِسِّيَّةً حدَثَت على يَدَيْه ﷺ منها:

- الإسراءُ من المسجد الحرام إلى المسجدِ الأقصَى وعودتُه إلى مكَّةَ في ليلةٍ واحدةٍ، وهذه المسافةُ يَقطعُها النَّاسُ عادةً في شهرٍ ذهابًا وإيابًا .. ودَليلُها القرآنُ الكريمُ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، وكذلك الأحاديثُ الصَّحيحةُ التي تحدَّثَت عن الإسراءِ وما لابسَه مِن معجزاتٍ أُخرَى كثيرةٍ، وفي مقدِّمَتِها: المِعراجُ إلى سِدرَةِ المنتهَى.

- انشقاقُ القمرِ، وقد أشارَ إليه القرآنُ الكريمُ في مَطلَعِ سُورةِ القمرِ، فقالَ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، ووردَت

www.alimamaltayeb.com

به رواياتٌ عديدةٌ مِن طُرُقٍ شتَّى[١] بلَغَت حدَّ التَّواتُرِ[٢]، حدَّدَت مكانَ الحادثةِ وزمانَها.

- نَبعُ الماءِ مِن بينِ أصابِعه الكريمةِ: يقولُ أنسُ بنُ مالكٍ: رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وحَانَت صلاةُ العصرِ، فالتَمسَ النَّاسُ الوَضوءَ[٣] فلَم يَجِدوه، فَأُتِيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بوَضوءٍ فوَضَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه في ذلك الإناءِ، فأمَرَ النَّاسَ أن يتوضَّئوا منه، فرأيتُ الماءَ يَنبُعُ مِن تحتِ أصابعِه، فتوضَّأَ النَّاسُ حتَّى توضَّئوا من عند آخِرِهم[٤]، وفي روايةِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما لمَّا سُئِلَ عن عددِ القَومِ، قالَ: لو كنَّا مِئَةَ ألفٍ لَكفانا، كنَّا

(١) منها ما أخرجه البخاري (٤٨٦٤) ومسلم (٢٨٠٠) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

وما أخرجه البخاري (٤٨٦٨) ومسلم (٢٨٠٢) أيضًا، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٢) ممَّن جزَم بهذا التَّواتُرِ: الجَصَّاصُ في «أحكامِ القرآنِ»: ٥/ ٢٩٨، وابنُ تَيمِيَّةَ في «الجواب الصَّحيح»: ١/ ٤١٤، وابن جُزَيٍّ في «القوانينِ الفقهيَّة»: ٦٠٤، والعَضُدُ الإِيجِيُّ في «المواقف»: ٣/ ٤٠٥، والزَّركَشِيُّ في «البحر المُحيط»: ٦/ ١٢٥، والعِراقِيُّ في «نظم الدرر السنية»: ٥٩، وغيرُهم كثيرٌ.

(٣) الوَضوء: بفتح الواو، الماء الذي يُتوضَّأ به. ينظر: «تاج العروس»: ١/ ٤٩٠ (و ض أ).

(٤) أخرجه البخاري (١٦٩) ومسلم (٢٢٧٩).

www.alimamaltayeb.com

خمسَ عشْرةَ مِئَةً[١]، وفي روايةٍ أخرى، يقولُ جابرٌ: فَوَالَّذي أَذهَبَ بَصَري، لقد رَأيتُ الماءَ يخرُجُ مِن بينِ أصابعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتَّى توضَّئوا أجمعونَ[٢].

- ومنها حادثةُ سُراقةَ بنِ مالكٍ[٣]، وحَنينُ جِذعِ النَّخلةِ لمَّا فارَقَه واستبدَلَ به مِنبرَه[٤]، وإخبارُه عن فتحِ خَيبرَ[٥]، إلى خوارقَ أخرى كثيرةٍ تَواتَرَت رِواياتُها، وتَقبَّلَها خاصَّةُ المسلمينَ وعامَّتُهم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٤٨٦٠) وابن خزيمة في «الصحيح» (١٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٠٦) من حديث سُراقة رضي الله عنه، مطوَّلًا.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٨٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلًا يفتح اللَّه على يديه»... الحديث.

www.alimamaltayeb.com

الرِّسالةُ الخَاتمةُ

والإسلامُ هو الرِّسالةُ الخاتمةُ، والحَلْقةُ الأخيرةُ في سِلسِلةِ الرِّسالاتِ الَّتي نزَلَت مِن السَّماءِ، ورسولُه هو خاتمُ المُرسَلينَ، ونُبوَّتُه ﷺ هي النُّبوَّةُ الأخيرةُ أو النُّبوَّةُ الخاتمةُ.

وللنُّبوَّةِ الخاتمةِ مدلولانِ:

- **المدلولُ الأوَّلُ**: سلبيٌّ؛ وهو عدمُ ظُهورِ نُبوَّةٍ أخرى أو أنبياءَ آخَرِينَ.

- **والمدلولُ الثَّاني**: إيجابيٌّ؛ وهو استمرارُ النُّبوَّةِ وامتدادُها مع الزَّمنِ.

والمدلولُ الأوَّلُ يُصدِّقُه التَّاريخُ، ويُؤكِّدُه الواقعُ، فقد مضى على ظُهورِ الإسلامِ أربعةَ عشَرَ قرنًا لم يَظهَر فيها نبيٌّ جاءَ برسالةٍ، أوِ ادَّعى النُّبوَّةَ وكَوَّنَ أُمَّةً ونجَحَ في دَعواهُ، أو صَدَّقَه النَّاسُ.

وهذا ما قرَّرَه القرآنُ منذُ البِدايةِ في قولِه تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وفي قولِه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

www.alimamaltayeb.com

بل هو عَينُ ما أخبرَ به النَّبيُّ ﷺ بقولِه: «**لي خَمسَةُ أَسماءٍ: أَنا مُحَمَّدٌ، وأحمدُ، وأنا الماحِي الَّذي يَمحُو اللَّهُ بِيَ الكُفرَ، وأنا الحاشرُ الَّذي يُحشَرُ النَّاسُ على قَدَمِي، وأنا العاقِبُ**»(١).

أمَّا المدلولُ الثَّاني لخاتمةِ الرِّسالةِ المحمَّديةِ فيَعني عُمومَ هذه الرِّسالةِ واستمرارَها مع الزَّمنِ، وأنَّ الإسلامَ هو الحَلْقةُ الأخيرةُ في سِلسِلةِ الأديانِ السَّماويةِ.

فلِلرِّسالةِ الإسلاميَّةِ -بهذا الاعتبارِ- وُجوهٌ ثلاثةٌ، فهي رسالةٌ خاتمةٌ، ورسالةٌ عامَّةٌ، ورسالةٌ مُستمِرَّةٌ، والوَصفُ الأوَّلُ يَقتضي الوَصفَينِ الآخَرَينِ ويَستلزِمُهما؛ ذلك أنَّ الرِّسالةَ المحمَّديَّةَ إذا كانت:

١- رسالةً خاتمةً؛ فإنَّ ذلك يَقتضي أن تكونَ رسالةً عامَّةً للنَّاسِ جميعًا، ولا يَصِحُّ أن يختَصَّ بها البعضُ دون البعضِ الآخَرِ، وإلَّا جاءَ الهَديُ الإلهيُّ ناقصًا يُفيدُ منه قومٌ، ويُحرَمُ منه آخرون، والقرآنُ الكريمُ في غيرِ ما موضوعٍ يُقرِّرُ هذه الحقيقةَ في نُصوصٍ صريحةٍ واضحةٍ:

- ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

- ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الحج: ٤٩].

---

(١) أخرَجه البخاريُّ (٣٥٣٢) ومسلمٌ (٢٣٥٤) بنحوِه، من حديثِ جُبيرِ بنِ مُطعِمٍ رضي الله عنه.

www.alimamaltayeb.com

- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

إلى آياتٍ أخرى خاطَبَ فيها القرآنُ النَّاسَ جميعًا بكلماتٍ مِن قَبيلِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، وذلك في نفسِ الوَقتِ الَّذي وصَفَ فيه القرآنُ الكريمُ الرِّسالاتِ السَّابقةَ بأنَّها رسالاتٌ خاصَّةٌ بأقوامٍ مُعيَّنِينَ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ﴾، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ﴾، ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾، وقالَ في شأنِ عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

٢- وخاتميَّةُ الرِّسالةِ المحمَّديَّةِ تَقتضي أيضًا أن تكونَ رسالةً مُستمرَّةً، وإلَّا لَزِمَ انقطاعُ الهَديِ السَّماويِّ، وتَوَقُّفُ اللُّطفِ الإلهيِّ عن الخَلقِ والعبادِ، وهذا نقصٌ يستحيلُ أن يتَّصِفَ به اللَّطيفُ الخبيرُ، والقرآنُ الكريمُ، وهو يُوجِّهُ خطابَه لجميعِ الأُمَمِ والمِللِ والأديانِ؛ يوجِّهُه مُطلقًا مِن أيِّ قَيدٍ زمانيٍّ؛ ممَّا يدُلُّ على أنَّ هذه الرِّسالةَ ليست خاصَّةً بِزَمَنٍ مُعيَّنٍ أو فترةٍ محدودةٍ، فعن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عُمرَ؛ أنَّ عُمرَ بنَ عبدِ العزيزِ خطَبَ، فقالَ: يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ لم يَبعَث بعدَ نبيِّكُم نَبيًّا، ولم يُنزِل بعدَ هذا الكتابِ الَّذي أنزَلَه عليه كِتابًا، فما أحَلَّ اللَّهُ على لِسانِ نَبيِّه فهو حلالٌ إلى يومِ القيامةِ، وما

www.alimamaltayeb.com

حرَّمَ على لِسانِ نَبِيِّه فهو حَرامٌ إلى يومِ القيامةِ(١).

ونستطيعُ أن نَرجِعَ بأسبابِ خَتمِ الرِّسالةِ المحمَّديَّةِ وعُمومِها واستمرارِها إلى سَبَبَينِ أساسيَّينِ:

السَّببُ الأوَّلُ: أنَّ الرِّسالةَ الإسلاميَّةَ بَقِيَت سليمةً ومحفوظةً ضِمنَ النَّصِّ القرآنيِّ، ولم تتعرَّض لأيِّ نَوعٍ مِن أنواعِ الحذفِ والإضافةِ والتَّأليفِ، وهذه خاصَّةٌ تَفرَّدَ بها القرآنُ الكريمُ(٢). وقَد وعَدَ اللَّهُ بحفظِه مِن لَدُنه، وذلك في آياتٍ عدَّةٍ، مِنها:

- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

- ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

السَّببُ الثَّاني: أنَّ شريعةَ الإسلامِ تتسعُ لكلِّ الاحتياجاتِ الَّتي تتطلَّبُها المُجتمعاتُ الرَّاهنةُ والمُجتمَعاتُ المُستقبليَّةُ، فهي مَبنيَّةٌ على أصولٍ إنسانيَّةٍ رُوعِيَت فيها حاجاتُ البَشَرِ المُستجِدَّةُ والمُستحدَثةُ، ومُتضمِّنةٌ لكلِّ المطالبِ الضَّروريَّةِ والكماليَّةِ الَّتي

(١) أخرَجه الدَّارِميُّ في مُسنَدِه (٤٤٧) ومن طريقه ابنُ عساكرَ في «تاريخ مدينة دمشق»: ٤٥/ ١٧٢.

وأخرَجه أسلمُ بنُ سهلٍ في «تاريخ واسط»: ١٨٧، ومن طريقه ابنُ عساكرَ في «تاريخ مدينة دمشق»: ٢٣/ ٢٦٤؛ من طريقِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، عن شيبةَ بنِ مساورٍ، قال: حضرتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ على المنبرِ...، بنحوِه.

(٢) «موجز في أصول الدِّين» لمحمد باقر الصدر: ٩٤.

www.alimamaltayeb.com

تَجعَلُ مِن حياةِ النَّاسِ حياةً مَيسورةً وحياةً فاضلةً كريمةً، ومُشتمِلةً على كلِّ الضَّماناتِ التي تَكفُلُ للحياةِ بقاءَها واستمرارَها وصيانتَها عن الفسادِ والانحرافِ.

وقد وصَفَ القرآنُ الكريمُ هذه الشَّريعةَ السَّمحةَ مِن خلالِ وصفِه للنَّبيِّ الخاتمِ ﷺ فقالَ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، كما قرَّرَ استمرارَ هذا الدِّين في الآياتِ الكريمةِ التَّاليةِ:

- ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].
- ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].
- ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

ومعَ شريعةٍ بهذه الصِّفاتِ والخصائصِ الجامعةِ لا يَجِدُ العَقلُ مُسوِّغًا لظُهورِ شريعةٍ أخرى ومَجيءِ رسولٍ آخرَ(١).

* * *

---

(١) «النبي الخاتم» لأبي الحسن الندوي، و«عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية»، دراسة لأصولها الدينية وأدلتها، لعثمان عبد المنعم عيش.

www.alimamaltayeb.com

مَبَاحِثُ الغَيْبِيَّاتِ

الغَيْبِيَّاتُ

- الإيمانُ بالملائكةِ[1]:

الملائكةُ كائناتٌ غيبيَّةٌ، دلَّ على وُجودِها القرآنُ والسُّنَّةُ الصَّحيحةُ، ويُعتبَرُ الإيمانُ بالملائكةِ العقيدةَ الثَّانيةَ -بعد الإيمانِ باللَّهِ تعالى- ومِن ثَمَّ يُمثِّلُ الإيمانُ بالملائكةِ أصلًا مِن أُصولِ العقيدةِ في الإسلامِ، وقد جاءَ ترتيبُ هذا الأصلِ في القرآنِ والسُّنَّةِ بعد الإيمانِ باللَّهِ تعالى مُباشرةً، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

---

(١) منهجُ الإيمانِ بالملائكةِ منهجٌ سمعيٌّ، والمنهجُ السَّمعيُّ هو الذي يعتمد في الاستدلالِ على الدَّليلِ النقليِّ مِن القرآنِ الكريمِ أو الحديثِ النبويِّ الصحيحِ أو منهما معًا، والعقلُ يُسارعُ إلى تصديقِه انطلاقًا مِن استحالةِ الكذبِ في أخبارِ المعصومِ، وكان يُمكِنُ دراسةُ هذا الموضوعِ بعد النُّبوَّاتِ وقبل السَّمعيَّاتِ -الَّتي تَتعلَّقُ مباحثُها باليوم الآخِرِ- وقد آثَرنا دراسةَ «الإيمانِ بالملائكةِ» تحت قِسمٍ مُستقلٍّ، بعُنوان: «الغيبيَّات» كما يفعلُ كثيرٌ من الباحثين.

www.alimamaltayeb.com

وقال ﷺ لجبريلَ عليه السلام حينَ سأَلَه عن الإيمانِ: «**أن تُؤمِنَ باللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ، وتُؤمِنَ بِالبَعثِ**»(١).

وفي ضَوءِ هذه النُّصوصِ القاطعةِ يُصبِحُ الإيمانُ بالملائكةِ جُزءًا أساسًا في العقيدةِ الإسلاميَّةِ، ويُصبِحُ إنكارُهم أو جَحدُهم كُفرًا يُخرِجُ مِن المِلَّةِ والدِّين بإجماعِ المسلمين(٢).

هذا والإيمانُ بأصلِ النُّبوَّةِ يَستلزِمُ الإيمانَ بالملائكةِ، كما يَستلزِمُ الإيمانَ بالكُتُبِ السَّماويةِ؛ لأنَّ الوَحيَ الَّذي هو كلامُ اللَّهِ إنَّما تَتنزَّلُ به الملائكةُ على قلوبِ الأنبياءِ؛ فَهُمُ الواسطةُ بين النَّبيِّ وبين عالَمِ الغَيبِ، وإنكارُهم يُعادِلُ إنكارَ النُّبوَّةِ وإنكارَ القرآنِ معًا(٣).

- الملائكةُ عِبادُ اللَّهِ:

وقد نَزلَ القرآنُ مُصحِّحًا لِعَقائدِ المِلَلِ والنِّحَلِ السَّابقةِ في موضوعِ الملائكةِ؛ فقد كانتِ الوثنيَّةُ البَرْهَميَّةُ والبوذيَّةُ والصَّابئةُ وبعضُ قبائلِ العربِ الوثنيِّين يَصفِونَ الملائكةَ بالأُنوثةِ، ويَزعُمونَ أنَّهم بناتُ اللَّهِ(٤)، وبعضُ هؤلاءِ يتَّخِذونَ مِن الملائكةِ آلهةً أو شُفعاءَ

(١) تقدم تخريجه: ٧٥.

(٢) انظر: «مراتب الإجماع» لابن حزم: ١٧٣، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان: ١/ ٣٤.

(٣) «كبرى اليقينيات الكونية» للبوطي: ٢٢٣.

(٤) انظر: «مفاتيح الغيب» للفخر الرَّازيِّ: ٢٦/ ١٦٧.

www.alimamaltayeb.com

عِندَ اللَّهِ؛ فجاءَ القرآنُ لِيُصحِّحَ هذه الانحرافاتِ، ولِيُقرِّرَ أنَّ الملائكةَ عِبادُ اللَّهِ، وليسوا أمرًا آخَرَ وراءَ ذلك، وأنَّ تسمِيَتَهم إناثًا افتراءٌ وكَذِبٌ، لا يَشهَدُ له دليلٌ مِن المُشاهَدةِ، ولا دليلٌ مِن العَقلِ.

- ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩-١٥٥].

- ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ١٩، ٢٠].

- صفاتُ الملائكةِ:

وما ذكَرَه القرآنُ الكريمُ والأحاديثُ الصَّحيحةُ عنِ الملائكةِ يُمكِنُ أن نُوجِزَه فيما يلي:

١- الملائكةُ موجوداتٌ نُورانيَّةٌ، أي: مخلوقةٌ مِن نُورٍ؛ ويترتَّبُ على ذلك أنَّها ليست مِن الكائناتِ المادِّيَّةِ في شيءٍ؛ بحيثُ يُمكِنُ للإنسانِ أن يُبصِرَها أو يَسمَعَها، أو يُشاهِدَها بقُواهُ ومَدارِكِه الحِسِّيَّةِ، يدُلُّ على ذلك قولُه ﷺ: «**خُلِقَتِ الملائكةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِن مارِجٍ مِن نارٍ، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لكُم**»(١).

(١) أخرَجه مسلمٌ (٢٩٩٦) من حديثِ أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها.

www.alimamaltayeb.com

لكنَّ القرآنَ لم يتحدَّثْ عنِ الأصلِ الَّذي خُلِقَت منه الملائكةُ(١)، وإنَّما وصَفَهم بأنَّهم أُولُو أجنحةٍ، فقالَ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١].

وقد جاء في «الصَّحيحِ»(٢) عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ رَأى جبريلَ عليه السلام: «**لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَناحٍ**»، وفي روايةِ أمِّ المؤمنين عائشةَ بزيادةِ: «**سَادٌّ**(٣) **ما بينَ الأُفُقِ**»(٤).

وقد ذكَرَ لنا القرآنُ مِن أسماءِ الملائكةِ: جبريلَ، ومِيكالَ، في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وذَكرَ غيرَهم ببيانِ وظائفِهم، مِثلَ:

«**مَلَكِ الموتِ**» في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

و«**الكِرامِ الكاتبِينَ**» في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١].

---

(١) راجع: «دراسات في الفكر الإسلامي» لعدنان زرزور: ٢٠١.

(٢) للبخاريِّ (٣٢٣٢) ومسلم (١٧٤).

(٣) أي: جبريل عليه السلام.

(٤) أخرَجه البخاريُّ (٣٢٣٤) ومسلمٌ (١٧٧).

www.alimamaltayeb.com

و«**السَّفَرةِ البَررةِ**» في قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥، ١٦].

و«**الرَّقيبِ**» و«**العَتيدِ**» في قولِه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

و«**المعقِّبات الحَفَظة**» في قولِه تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

٢- ورُغمَ أنَّ الملائكةَ موجوداتٌ غيبيَّةٌ لا مادِّيَّةٌ فهم قادرونَ على التَّمثُّلِ والظُّهورِ في صورةٍ جُسمانيَّةٍ كصُورةِ الإنسانِ مَثَلًا، وكثيرًا ما كان جبريلُ عليه السلام يتمثَّلُ للنَّبيِّ ﷺ في صُورةِ إنسانٍ، كما ورد في «**صحيح مسلم**» في الحديثِ المشهورِ(١).

وقد تمثَّلَ لِمَريمَ عليها السلام في صورةِ بَشَرٍ سَويِّ الخِلْقةِ، يُبشِّرُها بعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٦ - ١٩].

وكذلك تمثَّلَتِ الملائكةُ في صُورةِ ضُيوفٍ لإبراهيمَ عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ

---

(١) الحديث (٨) عن عمرَ بنِ الخطَّابِ.

www.alimamaltayeb.com

مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤- ٢٨](١).

٣- والملائكةُ عِبادٌ مُكرَمونَ، وهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]؛ وهذا يَعني: أنَّ الملائكةَ لا يَخرُجُون في إرادتِهم وتوجُّهاتِهم عن أوامرِ اللَّهِ تعالى، وأنَّ جَوهرَ إرادتِهم وأعمالِهم وحرَكاتِهم هو تنفيذُ ما يُؤمَرون به.

٤- أنَّهم يَتميَّزونَ عن الإنسانِ والجِنِّ بالصِّفاتِ الآتيةِ:

(أ) لا يأكُلونَ ولا يشرَبونَ.

(ب) لا يتزوَّجونَ ولا يَتناسَلُون.

(ج) لا يُوصَفونَ بذُكورةٍ ولا أُنوثةٍ.

- وظائفُ الملائكةِ:

لا نستطيعُ أن نَعرِفَ بالتَّفصيلِ وظيفةَ كلِّ مَلَكٍ؛ لأنَّ ذلك يَتوَقَّفُ على وُرودِ الدَّليلِ السَّمعيِّ مِن القرآنِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ، وكلُّ ما يُمكِنُ أن نَعرِفَه هنا هو بعضُ وظائفَ ملائكيَّةٍ تَحدَّثَ عنها القرآنُ الكريمُ، مِن هذه الوظائفِ:

---

(١) انظر: «دراسات في الفكر الإسلامي» لعدنان زرزور: **٢٠٢**.

www.alimamaltayeb.com

١- تَبليغُ الوحيِ والرِّسالاتِ الإلهيَّةِ إلى الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام، واختَصَّ جبريلُ عليه السلام بهذه المَهمَّةِ.

٢- حَملُ العَرشِ، ويَقومُ بها يومَ القيامةِ ثمانيةُ صُفوفٍ مِن الملائكةِ: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

٣- حِراسةُ الإنسانِ والمُحافظةُ عليه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

٤- قَبضُ الأرواحِ والتَّوَفِّي: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

٥- تَبشيرُ الصَّالحين بالجنَّةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

* * *

www.alimamaltayeb.com

الإيمانُ بالجنِّ

الجنُّ طائفةٌ مِن الموجوداتِ الخَفيَّةِ وهي -بطبيعتِها- مَستورةٌ عن حَواسِّنا؛ فلا نَراها ولا نَسمعُها، ولها شعورٌ وإدراكٌ وتَصرُّفاتٌ تَخُصُّها، ومعظمُ أحوالِ الجنِّ وأفعالِهم لا نَعرِفُ عنها شيئًا.

ورَدَ ذِكرُهم في القرآنِ الكريمِ، ومِن هنا وجَبَ الإيمانُ بوُجودِهم حسَبَ القَدْرِ الَّذي بيَّنَه القرآنُ وأَوضحَتْه السُّنَّةُ النَّبويَّةُ الصَّحيحةُ، وفيما وراءَ هذينِ المصدَرينِ تُصبحُ مَعلوماتُنا عن الجنِّ عاريةً عن أيِّ دليلٍ مِن أنواعِ الأدلَّةِ الحِسِّيَّةِ أو العقليَّةِ.

وفي القرآنِ سورةٌ سُمِّيتْ بِاسمِهم؛ وهي «سورةُ الجنِّ»، وقد وقعَ الإجماعُ بين المسلمين على أنَّ عالَمَ الجنِّ حقيقةٌ موجودةٌ[1]؛ فإنكارُه يُعارِضُ ظَواهرَ الكتابِ والسُّنَّةِ، ويُقرِّرُ إمامُ الحرمَيْنِ الجوينيُّ أنَّ: «التَّمسُّكَ بالظَّواهرِ والآحادِ تكلُّفٌ منَّا مع إجماعِ كافَّةِ العلماءِ في عصرِ الصَّحابةِ والتَّابعِينَ على وُجودِ الجنِّ

---

(١) حكى هذا الإجماعَ ابنُ القطَّانِ الفاسيُّ في «الإقناع في مسائل الإجماع»: ١/٣٦، نقلًا عن أبي عُمر الطَّلَمنكيِّ (ت. ٤٢٩هـ) في كتابِه: «الوصول إلى معرفة الأصول».

www.alimamaltayeb.com

والشَّياطينِ والاستعاذةِ باللَّهِ مِن شُرورِهم، ولا يُراغِمُ مِثلَ هذا الاتِّفاقِ مُتديِّنٌ مُتَشبِّثٌ بمُسكَةٍ مِن الدِّين»[١].

ويقولُ تقيُّ الدِّين ابنُ تَيميَّةَ: «لم يُخالِف أحدٌ مِن طَوائفِ المسلمينَ في وُجودِ الجنِّ»[٢].

وإذا كانَ الإنسانُ مَخلوقًا مِن طِينٍ، والملائكةُ مِن نورٍ، فالجنُّ مخلوقٌ مِن النَّارِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧]، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٥].

ولا يَعني خَلقُ الجنِّ مِن النَّارِ في هاتينِ الآيتَينِ أنَّ ذواتِ الجنِّ وأجسامَهم نِيرانٌ مُلتهِبةٌ، بل المقصودُ أنَّ أصلَ الجنِّ مِن النَّارِ، مَثَلُه في ذلك مَثَلُ الإنسانِ؛ فإنَّ أَصلَه مِن طِينٍ، لكنَّ ذاتَ الإنسانِ بعدَ صَيرورتِها إنسانًا لم تَعُد طِينًا أو تُرابًا.

---

(١) نقلًا عن: «آكام المرجان في أحكام الجان» لبدر الدين الشبلي: ٨، و«أساسيات العقيدة الإسلاميَّة» ليحيى هاشم: ٩٥، والظاهرُ أنَّ قولَ الجُوينيِّ ورَدَ في كتابه: «الشامل في أصول الدين»، ومن أَسَفٍ لم يَصِلنا هذا الكتابُ كاملًا، انظر: «الكامل في اختصار الشامل» لابن الأمير: ٢/ ٧٧٩، و«الإرشاد»: ٣٢٣.

(٢) «مجموع الفتاوى»: ١٩/ ١٠، وانظر: «آكام المرجان»: ١٠، و«أساسيات العقيدة»: ٩٥.

www.alimamaltayeb.com

وهذا ما يُشيرُ إليه أبو الوفاء بنُ عَقِيلٍ (ت. ٥١٣هـ) في كتابه «**الفنون**» بقولِه: «اعلمْ أنَّ اللَّهَ تعالى أضافَ الشَّياطِينَ والجنَّ إلى النَّارِ حسَبَ ما أضافَ الإنسانَ إلى التُّرابِ والطِّينِ والفَخَّار، والمرادُ به في حقِّ الإنسانِ أنَّ أصلَه الطِّينُ، وليس الآدميُّ طِينًا حقيقةً، لكنَّه كان طِينًا، كذلك الجانُّ كان نارًا في الأصلِ . . . ولولا أنَّهم على أشكالٍ ليسَت نارًا؛ لما ذكَرَ الصُّوَرَ وترَكَ الالتهابَ والشَّرَرَ»[1].

والجنُّ يعيشُ ويموتُ ويُبعَثُ؛ كالإنسانِ سواءً بسواءٍ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأحقاف: ١٨].

والجنُّ مِثلُ الإنسانِ؛ يَتزوَّجُ ويَتناسَلُ، ومنهمُ الذُّكورُ ومنهمُ الإناثُ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [الجن: ٦].

وللجنِّ شُعورٌ وإرادةٌ، ولهم قُدراتٌ خارقةٌ على الأفعالِ العجيبةِ والحرَكاتِ السَّريعةِ والأفعالِ الشَّاقَّةِ، كما ورَدَ في قَصَصِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقِصَّةِ مَلِكةِ سَبأٍ.

---

(١) نقلًا عن: «آكام المرجان في أحكام الجان»: ٣٤، ٣٥، وانظر: «دراسات في الفكر الإسلامي»: ١٩٣.

www.alimamaltayeb.com

والجنُّ مُكلَّفٌ بالأوامرِ والنَّواهي الشَّرعيَّةِ، ومُكلَّفٌ بالعِبادةِ كالإنسانِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢].

ومنهمُ المسلمُ ومنهمُ الكافرُ، ومنهمُ الصَّالحُ ومنهمُ الفَاسقُ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ﴾ [الجن: ١٤]، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ [الجن: ١١].

والذي يَظهرُ مِن كلامِه تعالى أنَّ «إبليسَ» مِن الجنِّ وأنَّ له ذرِّيَّةً وقَبيلًا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠][1].

وحديثُ القرآنِ عن الملائكةِ يَختلِفُ عن حَديثِه عَن الجنِّ؛ فبينما يَصِفُ القرآنُ الملائكةَ بأنَّهم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾، وأنَّهم ذواتٌ كلُّها خيرٌ وطاعةٌ، يَصِفُ الجنَّ بأنَّه قد يكونُ صالحًا وقد يكونُ فاسدًا، وفي بعضِ المواضعِ أضافَ إلى الجنِّ مَهمَّةَ الوَسوَسةِ بالشَّرِّ وتزيينِه للنَّاسِ، شَأنُهم في ذلك شأنُ المُنحرِفينَ مِن بني آدمَ.

(١) راجع: «الميزان في تفسير القرآن»: ٢٠ - ٢٩.

www.alimamaltayeb.com

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥، ٦]، «وممَّا ينبغي التَّنبُّهُ له أنَّ القرآنَ مع كثرةِ ما تَحدَّثَ به عنِ الجنِّ لم يَجعَلِ الإيمانَ بهم عقيدةً من عقائدِ الإسلامِ كما جعَلَ الملائكةَ، وإنَّما تَحدَّثَ عنهم فقط كما يَتحدَّثُ عنِ الإنسانِ وعن كلِّ شيءٍ، وإذًا فالتَّصديقُ بوُجودِهم مِن مُقتَضياتِ التَّصديقِ بالقرآنِ في كلِّ ما حَدَّثَ عنهم»(١).

* * *

(١) «الإسلام عقيدة وشريعة» لمحمود شلتوت: ٣٢.

www.alimamaltayeb.com

مَبَاحِثُ السَّمْعِيَّاتِ

مَباحِثُ السَّمعيَّاتِ

- منهجُ الاستدلالِ في السَّمعيَّاتِ:

سبَقَ أن بيَّنَّا في بدايةِ قِسمِ «الإلٰهيَّاتِ» مِن «العقيدةِ الإسلاميَّةِ» أنَّ العَقلَ البَشريَّ يستطيعُ أن يَصِلَ إلى الإيمانِ بوُجودِ اللَّهِ تعالى وبصِفاتِه الكماليَّةِ إجمالًا، وأنَّ علماءَ العقيدةِ رغمَ اعتمادِهم على دَورِ «الفِطرةِ» في تَنبيهِ الإنسانِ إلى وُجودِ خالقِه، إلَّا أنَّهم أَفسَحُوا مجالًا هامًّا لِدَورِ العَقلِ واستدلالاتِه وبَراهينِه في إثباتِ وُجودِ الصَّانعِ، واشتَهرَتِ الأدلَّةُ العَقليَّةُ في هذا البابِ، واختلَفَت مناهجُها باختلافِ مناهجِ الباحثين مِن أهلِ الحديثِ والمتكلِّمين والفلاسفةِ . . ورأيْنا كيف أنَّ قضيَّةَ وُجودِ اللَّهِ تعالى قضيَّةٌ سهلةُ المَنالِ، وقريبةُ المأخذِ مِن حركةِ العَقلِ في سَعيِه الدَّءوبِ نحوَ رَبطِ المُسبَّباتِ بأسبابِها الجُزئيَّةِ، وأنَّ هذا المبدأَ البسيطَ لو طرَدَه العَقلُ في الكونِ كمَعلولٍ ومُسبَّبٍ فإنَّه سينتهي به حتمًا إلى ضرورةِ إثباتِ وُجودِ صانعٍ لهذا الكونِ.

ونريدُ أن نُسجِّلَ هنا أنَّ قضيَّةَ وُجودِ اللَّهِ تعالى قضيَّةٌ عقليَّةٌ في المَقامِ الأوَّلِ[(١)]؛ أي: ليست قضيَّةً يَتلقَّاها المؤمنُ مِن الكتابِ

---

(١) يرى المعتزلةُ أنَّ وُجودَ اللَّهِ وتوحيدَه وما يجبُ له من صِفَةِ العَدلِ -وهو =

www.alimamaltayeb.com

أو السُّنَّةِ، ويَقِفُ عَقلُه إزاءَها موقفَ الحِيادِ؛ فلا يستطيعُ إثباتَها، كما لا يستطيعُ إنكارَها، فقد عَرفنا مِن قبلُ أنَّ العَقلَ حاكمٌ في قضيَّةِ الوُجودِ الإلهيِّ، ومِن هنا قرَّرَ علماءُ العقيدةِ أنَّ قضيَّةَ وُجودِ اللَّهِ تعالى قضيَّةٌ تثبُتُ بالدَّليلِ العَقليِّ، أو هي ثَمرةُ النَّظَرِ العَقليِّ الَّذي يَنتهي بعدَ التَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ إلى الحُكمِ بضَرورةِ وُجودِ الخالقِ.

أمَّا السَّمعيَّاتُ -أو «القضايا السَّمعيَّةُ»- فلها نَهجٌ خاصٌّ في إثباتِها، واعتقادِها، والإيمانِ بها .

وقبلَ أن نُعرِّفَ بمنهجِ الاستدلالِ في السَّمعيَّاتِ يَحسُنُ أن نَستعرِضَ بعضًا مِن هذه المُعتقَداتِ الَّتي تُسمَّى بهذا الاسمِ، ومُعظمُها ممَّا يَتعلَّقُ باليومِ الآخِرِ ومراحلِه، مِثلُ:

- البَرزَخِ والقبرِ.
- البعثِ.
- الحسابِ.
- المِيزانِ.

= ما يُعبِّرونَ عنه بأصلِ التَّوحيدِ وأصلِ العدلِ- لا يَثبُتُ إلَّا من طريقِ العَقلِ وَحدَه، والشرعُ يُعضِّدُ ذلك ويُقوِّيهِ، لكنَّه لا يستقلُّ بإثباتِه أو تحصيلِه؛ وذلك لأنَّ ثبوتَ صِدقِ النَّصِّ فرعٌ عن ثُبوتِ وجودِ اللهِ تعالى، واستحالةِ صدورِ الكَذِبِ عنه؛ أي: إنَّ الإيمانَ باللَّه وعَدلِه أصلٌ سابقٌ على الإيمانِ بصِدقِ النَّصِّ.

www.alimamaltayeb.com

- الصِّراطِ.
- الجنَّةِ.
- النَّارِ.
- الشَّفاعةِ.

والمُسلمُ مُطالَبٌ باعتقادِ هذه الحقائقِ والإيمانِ بها على وَجهِ الإجمالِ، ولكن ما هو الطَّريقُ الَّذي يَسلُكُه المسلمُ للإيمانِ بهذه الأمورِ؟ هل هو العَقلُ ؟ أو أمرٌ آخرُ؟

إنَّ العَقلَ يَعجِزُ عَجزًا تامًّا عن إثباتِ شيءٍ مِن هذه الحقائقِ الَّتي ذَكَرناها[1]، فلا البَرزَخُ ولا اليومُ الآخِرُ -بكلِّ مراحلِه- قضيَّةٌ عقليَّةٌ مِثلُ قضيَّةِ وُجودِ اللَّهِ تعالى، ولا معرفتُها مركوزةٌ في فِطرةِ الإنسانِ، ولا هي أمورٌ محسوسةٌ تَقَعُ عليها الحَوَاسُّ فتتأدَّى معرفتُها إلى العَقلِ المُدرِكِ .. إنَّها أمورٌ غَيبيَّةٌ تَقَعُ وراءَ المعرفةِ الإنسانيَّةِ بكلِّ وسائلِها المعروفةِ مِن الحسِّ والعَقلِ والفِطرةِ.

والدَّليلُ العَقليُّ لا يجدي شيئًا في إثباتِ أيٍّ مِن هذه الحقائقِ الغَيبيَّةِ، والطَّريقُ الوحيدُ الَّذي يَتلَقَّى منه العَقلُ معلوماتٍ يقينيَّةً عن هذه الأمورِ هو الوَحيُ أوِ الشَّرعُ، بعبارةٍ أُخرى ليس الدَّليلُ العَقليُّ هو طريقَ معرفةِ الإنسانِ المؤمنِ للإيمانِ بهذه الحقائقِ، بل طريقُه

(١) فيما عدا قضيَّة البَعْثِ فإنَّها يُستَدَلُّ عليها -أحيانًا- بدليلٍ عقليٍّ.

www.alimamaltayeb.com

لذلك هو ما يَسمَعُه مِن النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ ومِن كلامِ الأنبياءِ، فسَماعُه لِما يُلقَى عليه هو دليلُه الوحيدُ الذى يَستدِلُّ به على وُجودِ هذه الأمورِ وُجودًا حقيقيًّا لا يَتمارى فيه .. فالدَّليلُ هنا دليلٌ سمعيٌّ، وهو خبرُ النَّبيِّ فيما يُبلِّغُه عنِ اللَّهِ تعالى.

والإيمانُ بالسَّمعيَّاتِ فرعُ الإيمانِ باللَّهِ ورسُلِه؛ لأنَّ التَّصديقَ باللَّهِ وبرسولِه يَستلزِمُ التَّصديقَ بكلِّ ما يُخبِرُ به الرَّسولُ ويُبلِّغُ به من وَحيِ اللَّهِ تعالى، فإذا آمنَّا بالنبيِّ وصدَّقنا به، ثمَّ سَمِعنا مِن النَّبيِّ أنَّ هناك ملائكةً أو بَعثًا أو جِنًّا أو جَنَّةً أو نارًا ... فيجبُ الإيمانُ بما يقولُه، والتَّصديقُ بما نسمعُه منه، ومِن أجلِ أنَّ الإيمانَ بهذه الأمورِ مُتوقِّفٌ على سماعِ كلامِ الأنبياءِ؛ سُمِّيَت القضايا المُتعلِّقةُ بهذه الأمورِ: «**السَّمعيَّاتِ**».

ولا تظُنَّ أنَّ هذه السَّمعيَّاتِ إذا كانت تَثبُتُ بالدَّليلِ السَّمعيِّ الَّذي هو الشَّرعُ أو النَّصُّ أو النَّقلُ، فإنَّها تُعارِضُ العَقلَ أو تَتناقَضُ مع أصولِ النَّظَرِ العَقليِّ ومَناهجِه؛ لأنَّ العَقلَ لا يجدُ أيةَ صعوبةٍ منطقيَّةٍ في أن يؤمنَ بحياةٍ تكونُ بعدَ الموتِ، أوِ الاعتقاد في حسابٍ ومُحاكمةٍ وجزاءٍ وثوابٍ وعقابٍ وجنَّةٍ ونارٍ، وكلُّ ما نَسمَعُه مِن الأنبياءِ في هذا المجالِ إنَّما يَقَعُ في دائرةِ الإمكانِ العَقليِّ، وإذا كان العَقلُ لا يستطيعُ أن يَتوصَّلَ إليه مُستقِلًّا، فإنَّه

www.alimamaltayeb.com

لا يستطيعُ أيضًا أن يُنكِرَه أو يُعارِضَه، بل لا يستطيعُ المُنكِرُ للسَّمعيَّاتِ أن يُقدِّمَ دليلًا عقليًّا واحدًا على استحالتِها أو عَدَمِ إمكانِها ووُقوعِها؛ فالسَّمعيَّاتُ أمورٌ مُمكِنةٌ يَقبلُها العَقلُ ويُصدِّقُ بوُقوعِها إذا أخبَرَه بذلك معصومٌ يَستحيلُ عليه الكذبُ.

* * *

١- الإيمانُ بالحياةِ في القبرِ:

للإنسانِ حياتانِ: حياةٌ في دارِ الدُّنيا؛ وهي الحياةُ الَّتي تَبدَأُ مِن مَولِدِ الإنسانِ وتَنتهي بخُروجِ الرُّوحِ مِن الجسدِ، وحياةٌ في الدَّارِ الآخِرةِ، تَبدَأُ مِن بَعثِه مِن قَبرِه وتَستمِرُّ إلى أَبَدِ الآبِدينَ في الجنَّةِ أو في النَّارِ.

وبينَ هاتينِ الحياتينِ حياةٌ في قبرِه تَقَعُ بين الحياةِ الأُولى والثَّانيةِ، وتُسمَّى هذه الحياةُ: الحياةَ البَرْزَخيَّةَ(١)، والبَرزَخُ هو الحاجزُ بين شيئينِ، يقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وتَتعلَّقُ بحياةِ القبرِ مِن السَّمعيَّاتِ مسألتانِ اتَّفقَ عليهما المسلمون جميعًا:

---

(١) انظر: «العقيدة الإسلاميَّة خصائصها وآثارها» لعبد الحليم أحمدي: ٢١٤.

www.alimamaltayeb.com

- الأُولى: سؤالُ المَلَكَينِ في القبرِ:

ودليلُه قولُه ﷺ: «إنَّ العَبدَ إذا وُضِعَ في قَبرِه، وتَولَّى عنه أصحابُه، وإنَّه لَيسمَعُ قَرعَ نِعالِهم، أَتاهُ مَلَكانِ، فيُقعِدانِه فيقولانِ: ما كُنْتَ تقولُ في هذا الرَّجُلِ -لمحمَّدٍ ﷺ- فأمَّا المؤمنُ فيقولُ: أشهدُ أنَّه عبدُ اللَّهِ ورسولُه، فيُقالُ له: انظُرْ إلى مَقعَدِك مِن النَّارِ، قد أَبدَلَك اللَّهُ به مَقعَدًا مِن الجنَّةِ، فَيَراهما جميعًا ... وأمَّا المُنافقُ والكافرُ فيُقالُ له: ما كُنْتَ تَقولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فيقولُ: لا أَدري، كنتُ أقولُ ما يَقولُ النَّاسُ، فيُقالُ: لا دَريْتَ ولا تَليْتَ، ويُضرَبُ بمَطارِقَ مِن حديدٍ ضَربةً، فيَصِيحُ صَيْحةً يَسمَعُها مَن يَلِيهِ غَيرَ الثَّقَلَينِ»[(١)].

- الثَّانيةُ: عذابُ القبرِ ونعيمُه:

دليلُه قولُه تعالى في آلِ فِرعونَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

ففي هذه الآيةِ نوعانِ مِن العذابِ:

النَّوعُ الأوَّلُ: قبلَ يومِ القيامةِ؛ وهو النَّارُ الَّتي تُوقَدُ في الغُدُوِّ والعَشِيِّ.

النَّوعُ الثَّاني: بعدَ يومِ القيامةِ؛ وهو العذابُ الأكبرُ.

---

(١) أخرَجه البخاريُّ (١٣٧٤) ومسلمٌ (٢٨٧٠) بنحوِه، من حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه.

www.alimamaltayeb.com

وواضحٌ مِن الآيةِ أنَّ النَّوعَ الأوَّلَ يَقَعُ في القبرِ؛ لأنَّه يَحدُثُ بعدَ الموتِ وقبلَ قيامِ السَّاعةِ.

وممَّا يَدُلُّ على عذابِ القبرِ قولُه ﷺ وقد مرَّ بقبرَينِ: «**إنَّهما لَيُعذَّبانِ، وما يُعذَّبانِ في كَبيرٍ؛ أمَّا أحدُهما فكانَ لا يَستَتِرُ مِن البَوْلِ، وأمَّا الآخَرُ فكانَ يَمشي بالنَّميمةِ...**»(١).

وقولُه ﷺ: «**إنَّما القَبرُ رَوضةٌ مِن رِياضِ الجنَّةِ، أو حُفرةٌ مِن حُفَرِ النَّارِ**»(٢).

يَقولُ القاضي عَضُدُ الدِّين الإيجيُّ (ت. ٧٥٦هـ) في عذابِ القبرِ: «هذا والأحاديثُ الصَّحيحةُ الدَّالَّةُ عليه أكثرُ مِن أن تُحصَى بحيثُ تواتَرَ القدرُ المشتركُ»(٣).

ويقولُ في موضعٍ سابقٍ: «إحياءُ الموتى في قُبورِهم ومسألَةُ مُنكَرٍ ونَكيرٍ لهم وعذابُ القبرِ للكافرِ والفاسقِ -كلُّها حقٌّ عندنا، واتَّفَقَ عليه سَلفُ الأمَّةِ»(٤).

* * *

(١) أخرَجه البخاريُّ (٢١٦) ومسلمٌ (٢٩٢) من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

(٢) أخرَجه التِّرمذيُّ (٢٤٦٠) من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه، في حديثٍ طويلٍ، وقال: «هذا حديثٌ غريبٌ، لا نعرفُه إلَّا من هذا الوجهِ».

(٣) راجع: «المواقف» بشرح الجرجاني: ٢/ ٤٥٠.

(٤) م.ن: ٢/ ٤٥١.

www.alimamaltayeb.com

٢- الإيمانُ بالبَعثِ:

والبعثُ هو إحياءُ المَوتى وإعادةُ أرواحِهم إلى أجسادِهم كما كانت في الدُّنيا؛ لمحاسبتِهم وجَزائِهم.

ويَعني البَعثُ: إعادةَ الْتِئامِ ذرَّاتِ الجسمِ واجتماعَها بعد أن تفَرَّقَت واختلَطَت بالتُّرابِ، ثُمَّ رجوعَ الرُّوحِ إلى الجسمِ مرَّةً ثانيةً؛ فالبَعثُ عبارةٌ عن مجموعِ أمرَينِ:

الأمرُ الأوَّلُ: عودةُ الأجسامِ إلى ما كانَت عليه قبلَ الموتِ.

الأمرُ الثَّاني: دخولُ الأرواحِ في الأجسامِ مِثلَما كان عليه الأمرُ في الحياةِ الدُّنيا.

ومجموعُ هذينِ الأمرَينِ هو المرادُ بالبَعثِ الَّذي هو إحياءُ الموتى في قُبورِهم.

- مُنكرو البَعثِ:

أنكرَ البَعثَ طائفةٌ مِن المادِّيِّينَ والدَّهريِّينَ قديمًا وحديثًا، واستَبعَدوا -على اختلافِ أزمنتِهم وأَمكنتِهم- إحياءَ المَوتى، وبَعثَهم مِن قُبورِهم، ومُحاسبتَهم على ما قدَّمَت أيدِيهم في الحياةِ الدُّنيا.

وإنكارُ البَعثِ نوعٌ مِن الإلحادِ، أو فرعٌ مِن إنكارِ وُجودِ اللَّهِ وإنكارِ قدرتِه الشَّاملةِ، وهو أيضًا نوعٌ مِن قِصَرِ النَّظَرِ واضطرابِ التَّفكيرِ في مُعالَجةِ الحقائقِ الكُبرى، وليس في أيدي المادِّيِّين

www.alimamaltayeb.com

المُنكِرينَ للبَعثِ أيُّ دليلٍ يَطرحونَه بين يَدَي إنكارِهم هذا، اللَّهمَّ إلَّا مُجرَّدَ استبعادِ أن تكونَ هناك «قدرةٌ» تستطيعُ إعادةَ الحياةِ إلى أجسادٍ تحَلَّلت ذرَّاتُها واختلَطَت بالتُّرابِ.

وتَتلَخَّصُ شُبُهاتُ المادِّيِّينَ المُنكِرينَ للبَعثِ فيما يلي:

١- استبعادُ أن تَتحوَّلَ ذرَّاتُ الجَسَدِ -بعدَ أن صارَت تُرابًا- إلى إنسانٍ سَوِيٍّ يَسمَعُ ويُبصِرُ ويَعِي ويَعقِلُ كما كان في الحياةِ الدُّنيا، وبعبارةٍ مُوجَزةٍ: استبعادُ أن تَتَحوَّلَ المادَّةُ التُّرابيَّةُ إلى كائنٍ حيٍّ.

٢- استبعادُ إيجادِ الشَّيءِ بعدَ عدمِه؛ فالشَّيءُ إذا عُدِمَت ذاتُه وفَنِيَت فَمِنَ المُستحيلِ -في نظرِهم- أن يُوجَدَ مرَّةً ثانيةً.

ويَعتقِدُ المادِّيُّونَ أنَّ النَّفسَ الإنسانيَّةَ تَفنَى بالموتِ، مِثلُها في ذلك مِثلُ الجسدِ، فلا فرقَ -فيما يَرَونَ- بين النَّفسِ وبين الجسَدِ في أنَّ كلًّا منهما يَفنى ويَنعدِمُ بالموتِ، وهذه الشُّبهةُ مُترتِّبةٌ على أصلٍ مَغلوطٍ في فلسفةِ المادِّيِّينَ؛ مؤدَّاهُ أنَّ الإنسانَ عبارةٌ عن البدنِ المُركَّبِ مِن الأعضاءِ المادِّيَّةِ وليس أمرًا آخَرَ وراءَ ذلك، فإذا انعدَمَتِ الأعضاءُ انعَدَمَ الإنسانُ بكلِّ أبعادِه، ولم يَبقَ هناك شيءٌ يُبعَثُ أو يُخلَقُ خَلقًا جديدًا بعدَ الموتِ:

- ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥].
- ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣].

www.alimamaltayeb.com

- ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١٠، ١١].

- ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

- ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝٣٥ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٥- ٣٧].

- ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩].

- أدلَّةُ القرآنِ الكريمِ وردُّه على مُنكِري البَعثِ:

وأوّلُ ما نُلاحِظُه مِنِ استقراءِ آياتِ القرآنِ الكريمِ في تقريرِ حقيقةِ البعثِ أنَّه -وهو يُصوِّرُ شُبُهاتِ المادِّيِّينَ المُنكرينَ- يَنعَى عليهم نَظرتَهمُ الضَّيِّقةَ وأَحكامَهمُ المُتسرِّعةَ في التَّفكيرِ، وأنَّهم لم يُنكِروا البَعثَ إلَّا لأنَّهم حَصَروا عُقولَهم ومَدارِكَهم في ظواهرِ المحسوساتِ وظَواهِرِ الأسبابِ والمُسبِّباتِ، وأنَّهم لو تَخَطَّوا بعُقولِهم هذا المجالَ الحِسِّيَّ الضَّيِّقَ لما وَسِعَهم إلَّا الإيمانُ باللَّهِ والاعترافُ بقُدرتِه الشَّاملةِ.

وكلُّ مَا يقولُه المادِّيُّون ويَحتجُّونَ به في تكذيبِ البَعثِ ليس في نَظَرِ القرآنِ إلَّا ظَنًّا وتخييلًا، وليس مِن العِلمِ لا في قليلٍ ولا في كثيرٍ، وإنَّما هو خَلطٌ نشَأَ مِن قِياسٍ فاسدٍ قاسُوا فيه الحياةَ الأُخرى

www.alimamaltayeb.com

على الحياةِ الدُّنيا برَغمِ اختلافِ الحياتَينِ اختلافًا جَذرِيًّا في كلِّ مظاهرِهما.

- ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٣، ٢٤].

- ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد: ٥](١).

والقرآنُ الكريمُ إذ يُثبِتُ حقيقةَ البَعثِ يعدُّها مِن أوضَحِ الحَقائقِ الَّتي تَثبُتُ بالوحيِ وبالعقلِ معًا، وقد وصَفَه القرآنُ الكريمُ أكثرَ مِن مرَّةٍ بأنَّه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وأنَّ المُنكِرينَ لا يَستطيعونَ أن يُقدِّموا حُجَّةً واحدةً على إنكارِه.

---

(١) تأمَّل قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ﴾؛ فإنه إشارةٌ -فيما يرى بعضُ المفسِّرين- إلى كُفرهم؛ أي: إنَّ الكُفرَ قَيدٌ وغُلٌّ يحولُ بين الإنسانِ وبين معرفةِ الحقيقةِ على وجهِها الصحيحِ، ومن أغلالِ الكُفرِ الإخلادُ إلى الأرضِ، وعبادةُ المادَّةِ، واتباعُ الهوى، ونسيانُ اللَّه تعالى، وكلُّها أغلالٌ تُؤدِّي إلى الجحدِ والإنكارِ.

راجع: «مفاتيح الغيب» للفخر الرَّازيِّ: ١٩/١٠، و«الميزان»: ١١/٣٠٠.

www.alimamaltayeb.com

وهكذا يُثبِتُ القرآنُ حقيقةَ البَعثِ مِن جانبَينِ:

(أ) **جانبٍ سلبيٍّ**: تولَّى فيه القرآنُ بيانَ إفلاسِ المُكذِّبينَ للبَعثِ وعجزِهم عن إقامةِ الدَّليلِ على إنكارِه.

(ب) **جانبٍ إيجابيٍّ**: تولَّى فيه القرآنُ إيرادَ الأدلَّةِ الواضحةِ الَّتي تَرُدُّ على المُنكِرينَ، وتُثبِتُ البَعثَ في ذاتِ الوقتِ.

هذا ونُلاحِظُ أنَّ القرآنَ الكريمَ كانَ يُوَاجِهُ طائفتَينِ مِن مُنكِري البَعثِ:

- طائفةً آمَنَت باللَّهِ، لكنَّها تُنكِرُ قُدرتَه على إحياءِ الموتى وبَعثِهم مِن قُبورِهم.

- وطائفةً لم تُؤمِن باللَّهِ أصلًا، وتَرتَّبَ عليه إنكارُها للبَعثِ.

والطَّائفةُ الأُولى: برَغمِ إيمانِها باللَّهِ كانت تُكذِّبُ بالبَعثِ، وتَعتبرُه نوعًا مِن الأساطيرِ الَّتي ترَدَّدَت على أسماعِهم وأسماعِ آبائهم مِن قَبلُ، وأنَّ ما وعَدَهم به الأنبياءُ والمُرسَلون مِن بَعثِ الموتى لم يَحدُث ولا مرَّةً واحدةً.

والقرآنُ الكريمُ في ردِّه على هذه الفِرقةِ يُبيِّنُ لهمُ التَّناقُضَ الَّذي يَقَعُونَ فيه؛ حيث يؤمنون باللَّهِ ويَعترِفُون بأنَّه مالكُ الأرضِ ومَن فيها، والسَّمواتِ ومَن فيها، ويُقرُّونَ بأنَّ أمرَ كلِّ شيءٍ في يَدِه وفي قُدرتِه، ثُمَّ يَستكثرونَ على هذه القُدرةِ إحياءَ الموتى وبَعثَهم.

www.alimamaltayeb.com

إنَّ الَّذي يَعترِفُ بِصَلاحِيَةِ القُدرةِ الإلهيَّةِ لهذه العظائمِ، ثُمَّ يَنفِي صَلاحِيَتَها للبَعثِ -يُناقِضُ نَفسَه مِن حيثُ يَدري أو لا يَدري: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢-٩٠].

أمَّا الطَّائفةُ الثَّانيةُ: وهمُ المُلحِدونَ؛ فإنَّ القرآنَ كان يَرُدُّ على شُبُهاتِهم تفصيلًا، ويُمكِنُنا أن نُجمِلَ أدلَّةَ القرآنِ في هذا المَقامِ فيما يلي:

١- دليلُ النَّشأةِ الأُولى على صَيرورةِ التُّرابِ إنسانًا حيًّا مرَّةً ثانيةً:

وفيه يَرُدُّ القرآنُ على الشُّبهةِ الأُولى مِن شُبُهاتِ المُنكِرين؛ وهي استبعادُ تَحَوُّلِ الجسَدِ الَّذي صارَ تُرابًا إلى كائنٍ حيٍّ، والقرآنُ هنا يَلفِتُ نَظرَهم إلى أنَّ البَعثَ ما هُوَ إلَّا صُورةٌ أُخرى مِن النَّشأةِ الأُولى للإنسانِ، وَإذَا اعترَفَ المُنكِرُون للبَعثِ بأنَّ أَصلَهم ومَبدَأَ وُجودِهم تُرابٌ ومادَّةٌ صَمَّاءُ لا حياةَ فيها ولا رُوحَ، ثُمَّ صاروا

www.alimamaltayeb.com

كائناتٍ حيَّةً لها عَقلٌ ورُوحٌ وسَمعٌ وبصرٌ وإدراكٌ؛ بعبارةٍ مُختَصَرةٍ: إِذَا اعترَفُوا بِأَنَّ الإنسانَ في نَشأتِه الأُولى كان تُرابًا، ثُمَّ صارَ كائنًا حيًّا، لَزِمَهم الاعتِرَافُ بنفسِ الصُّورةِ بعدَ الموتِ، والتَّصدِيقُ بِعَودَةِ الذَّرَّاتِ التُّرابيَّةِ إلى كائنٍ حيٍّ؟!

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ [الحج: ٥].

- ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١].

والدَّلالةُ في هاتينِ الآيتينِ الكريمتَينِ مُتَّجِهةٌ إلى تَحطيمِ شُبهةِ المُنكِرينَ الَّتي تَستصعِبُ البَعثَ انطلاقًا من مَقُولتِهمُ السَّابقةِ: كيف يُبعَثُ الجسَدُ المُتحلّلُ إلى تُرابٍ إنسانًا حيًّا كما كان في الدُّنيا؟

٢- دليلُ النَّشأةِ الأُولى على إحياءِ الجسَدِ الفاني مرَّةً ثانيةً:

وهذا الدَّليلُ يُواجِهُ فيه القرآنُ الشُّبهةَ الثَّانيةَ للمُنكِرينَ؛ وهي شُبهةُ استبعادِ عَودةِ ما فَنِيَ وانعَدَمَ وتَلاشى إلى الحياةِ مرَّةً ثانيةً.

ووجهُ الاستدلالِ هنا هو أنَّ النَّشأةَ الأُولى للإنسانِ هي -في

www.alimamaltayeb.com

صُورتِها البسيطةِ- نشأةٌ مِن عَدَمٍ، وهذه حقيقةٌ يَعترِفُ بها النَّاسُ جميعًا، فكلُّ إنسانٍ يَعلَمُ عِلمًا يقينيًّا أنَّ لوُجودِه بِدايةً، وأنَّه قبلَ هذه البدايةِ كان عَدَمًا محضًا: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

وإذا كانَ الأمرُ كذلك: فلماذا يَقبلُ المُنكِرونَ وُجودَ الإنسانِ من عدمٍ، وَيرفُضونَ وُجُودَه مَرَّةً ثَانِيَةً مِن عَدَمٍ؟ وأيُّ فرقٍ بينَ الوُجودَينِ بَعدَ العَدَمَينِ؟

وهنا يُنبِّهُ القرآنُ إلى أنَّ الأَحرى بالعَقلِ الصَّحيحِ أن يُصدِّقَ مِن أمرِ البَعثِ أكثرَ ممَّا يُصدِّقُ مِن أمرِ النَّشأةِ الأُولى؛ لأنَّه استفادَ بالوجودِ الأوَّلِ مَلَكَةَ الاتِّصافِ بالوجودِ، ذلك لأنَّ النَّشأةَ الأُولى يُوجَدُ فيها الإنسانُ مِن عَدَمٍ تامٍّ لم يكُن للإنسانِ فيه أَدنى شائبةٍ مِن ثُبوتٍ أو وُجودٍ، أمَّا البعثُ فهو لا يَزيدُ عن إعادةِ إنسانٍ كان موجودًا مِن قبلُ، ولا شكَّ أنَّ الَّذي يَقدِرُ على إخراجِ شيءٍ مِن العَدَمِ المَحضِ يَقدِرُ -مِن بابٍ أَوْلى- على إعادةِ هذا الشَّيءِ بعدَ عدمِه؛ إذ إعادةُ الشَّيءِ بعدَ وُجودِه أيسرُ بكثيرٍ مِن إبداعِه مِن العدمِ:

- ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٦، ٦٧].

- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

www.alimamaltayeb.com

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

يقولُ الرَّازيُّ في تفسيرِ هذه الآيةِ: «إنَّ الإعادةَ أهونُ مِن الابتداءِ؛ لأنَّ مَن يَفعَلُ فِعلًا أوَّلًا يَصعُبُ عليه، ثُمَّ إذا فَعَلَ بعدَ ذلك مِثلَه يكونُ أهونَ عليه... ولأنَّ في البَدءِ خَلقَ الأجزاءِ وتأليفَها، والإعادةُ تَأليفٌ، ولا شكَّ أنَّ الأمرَ الواحدَ أهونُ مِن أمرَينِ»[(١)].

يَقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣][(٢)]، ويقولُ: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

ومعنى هذه الآياتِ: أنَّ القادرَ على الخَلقِ الأوَّلِ لا شكَّ قادرٌ على الخَلقِ الثَّاني الَّذي هو «الخلقُ الجديدُ»، فهما مِثْلانِ، وإذا قَدَرَ على أَحَدِهما قَدَرَ على الثَّاني مِن غيرِ فرقٍ، وإنَّما أمرُه إذا أرادَ شيئًا أن يقولَ له: كُن؛ فيكونُ.

---

(١) «مفاتيح الغيب» للفخر الرَّازي: ٢٥/ ١١٩ هذا وقُدرةُ اللَّه تعالى تستوي بالنِّسبةِ إليها جميعُ المقدوراتِ، ولا يُتصَوَّرُ فيها تفاوُتٌ بين فِعلٍ هَيِّنٍ وفعلٍ أهونَ، وما هو مذكورٌ في الآيةِ الكريمةِ من التَّفاوُتِ إنَّما هو بالنِّسبةِ إلى قُدرتِنا الحادثةِ الَّتي تَختلِفُ الأفعالُ بالنِّسبةِ إليها بين هَيِّنٍ وأهونَ، وصعبٍ وأصعبَ، وهكذا... راجع: «شرح المواقف»: ٢/ ٤٤١.

(٢) العِيُّ: العَجزُ وعدم القدرة على إحكام الشيء. «لسان العرب»: ١٥/ ١١١ (ع ي ي).

www.alimamaltayeb.com

٣- الإيمانُ بالحشرِ:

وهو المرحلةُ الَّتي تَلِي مرحلةَ البَعثِ مِن مَراحلِ يومِ القيامةِ، والحشرُ هو: «سَوقُ الخلائقِ جميعًا إلى الموقفِ؛ انتظارًا للحسابِ، والحُكمِ عليهم، والقضاءِ بينَهم»(١).

ودليلُه: قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]، وأيضًا قولُه تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقولُه سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨].

وكذلك قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**إنَّكُم تُحشَرُون حُفاةً عُراةً غُرلًا: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾، وإنَّ أوَّلَ الخلائقِ يُكتَسى يومَ القيامةِ إبراهيمُ الخليلُ**»(٢).

---

(١) راجع: «شرح المقاصد» للتفتازاني: (٥/ ١٠٠ - ١٠٧).

(٢) انظر: «فتح الباري»: ١١/ ٢٣٤. وقد أجمَعَ أهلُ المِلَلِ والشرائعِ كلِّها على جوازِ حشرِ الأجسادِ ووقوعِه، وأنكَرَ الفلاسفةُ إعادةَ الأجسادِ بعد فنائها بالموتِ، وهم مع إنكارِهم عودةَ الأجسادِ يقولون بالثوابِ والعقابِ، والجزاءِ والجنةِ والنارِ، ولكن للأرواحِ فقط؛ لأن الأرواحَ لا تَنعَدِمُ ولا تتحلَّلُ بالموتِ، وإنكارُ الفلاسفةِ حَشْرَ الأجسادِ مبنيٌّ على قاعدتِهمُ المذهبيةِ: «استحالة إعادةِ المعدومِ»، ومسألة: هل يُعادُ المعدومُ أو لا؟ هي المدخلُ المنطقيُّ لمُثبتي حَشْرِ الأجسادِ ومُنكِريه على السواءِ، =

www.alimamaltayeb.com

٤- الإيمانُ بالحسابِ وصُحُفِ الأعمالِ والمِيزانِ والصِّراطِ:

وهذه الأحداثُ الأربعةُ مِن أحداثِ «اليومِ الآخرِ» يَجِبُ الإيمانُ بها واعتقادُها اعتقادًا جازِمًا، والحسابُ هو: «توقيفُ اللَّهِ العبادَ على أعمالِهم بعد البَعثِ، وسؤالُهم عنها بكيفيَّةٍ يَعلمُها هو تعالى»(١).

ودليلُه: قولُه تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، وقولُه تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

ومِن الحسابِ ما يكونُ يَسيرًا، ومنه مَا يكونُ عسيرًا، ومنه ما يَقَعُ جَهرًا وعلى رءوسِ الأشهادِ، ومنه ما يكونُ سِرًّا بين العبدِ وربِّه.

وصُحفُ الأعمالِ أو «الكُتُبُ» الَّتي تُكتَبُ فيها أعمالُ الإنسانِ ممَّا يجبُ الإيمانُ به في العقيدةِ الإسلاميَّةِ، وأنَّ العبادَ يومَ القيامةِ يَأخُذونَ كُتُبَهم؛ فمنهم مَن يأخُذُها بيمينِه، ومنهم مَن يأخُذُها بشمالِه، وآخَرُون يأخُذونها مِن وراءِ ظُهورِهم.

= غير أنَّ مذهبَ الفلاسفةِ في إنكارِ حَشرِ الأجسادِ يصطدمُ مع ظَواهرِ آياتِ القرآنِ الكريمِ والأحاديثِ الصحيحةِ اصطدامًا مباشرًا، على أنَّ علماءَ الكلامِ مُختلِفون أيضًا في عودةِ الأجسامِ: هل تُعادُ بعد عدمِها وفنائها؟ أو تُعادُ بعد تحلُّلِها إلى أجزاءٍ وتَفرُّقِ هذه الأجزاءِ في الترابِ؟ .. راجع: «تهافت الفلاسفة» للإمام الغزالي: ٣٠٨، و«شرح المواقف»: ٢/ ٤٤٢.

(١) راجع: «أساسيات العقيدة الإسلاميَّة» ليحيى هاشم فرغل: ١١٧.

www.alimamaltayeb.com

يقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠- ١٢].

وكذلك يجبُ الإيمانُ بالميزانِ وبوَزنِ الأعمالِ(١)؛ لقولِه تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ولقولِه تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

ويجبُ الإيمانُ بالصِّراطِ: وهو طريقٌ أو جِسرٌ منصوبٌ على مَتنِ جهنَّمَ، وهو الجِسرُ الَّذي بين الجنَّةِ والنَّارِ، يَمُرُّ عليه الأوَّلونَ

---

(١) راجع: «مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري» لابن فُورَك: ١٧١ - ١٧٣، و«شرح عقيدة مالك الصَّغير» للقاضي عبد الوهاب: ٢١١ - ٢١٤، و«أصول الدِّين» لعبد القاهر البغدادي: ٢٤٥، و«الإرشاد إلى قواطع الأدلَّة» للجُويني: ٣٧٩، و«عقيدة أبي بكر المُراديّ»: ٣٢٦ - ٣٢٩، و«الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي: ٣٧٤ - ٣٧٥، و«المختَصَر في أصول الدِّين» لليابُري: ٢١٧، و«الكتاب المتوسِّط في الاعتقاد» لابن العربي: ٤١١ - ٤١٣، و«المُسامَرة بشرحِ المُسايَرة» لابن أبي الشَّريف: ٣٩١ - ٣٩٥، و«القول السديد في علم التوحيد» لأبي دقيقة: ٢/ ٣٥٧.

www.alimamaltayeb.com

والآخِرونَ؛ فأهلُ الجنَّةِ يَمُرُّون عليه ثمَّ يَخلُصُونَ منه إلى الجنَّةِ، وأهلُ النَّارِ يَتساقطونَ منه في جهنَّمَ(١).

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

ويَختلفُ مُرورُ النَّاسِ على الصِّراطِ باختلافِ أحوالِهم وأعمالِهم: «فمنهم مَن يَمُرُّ كلَمحِ البَصرِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالبرقِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كالفَرَسِ الجَوَادِ، ومنهم مَن يَمُرُّ كراكِبِ الإبِلِ، ومنهم مَن يَعدُو عَدوًا، ومنهم مَن يَمشي مَشيًا، ومنهم مَن يَزحَفُ زَحفًا، ومنهم مَن يُخطَفُ خَطفًا ويُلقى في جهنَّمَ؛ فإنَّ الجِسرَ عليه كلاليبُ تَخطَفُ النَّاسَ بأعمالِهم»(٢).

يقولُ ﷺ: «... **فيُضرَبُ الصِّراطُ بين ظَهرَانَيْ جَهَنَّمَ، فأَكُونُ أَوَّلَ مَن يَجُوزُ مِن الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، ولا يَتَكَلَّمُ يَومَئِذٍ أَحَدٌ مِنَ الرُّسُلِ،**

---

(١) راجع: «مُجرَّد مقالات الشَّيخ أبي الحسن الأشعري»: ١٧١، و«شرح عقيدة مالك الصَّغير» للقاضي عبد الوهاب: ٢١٤ - ٢٢٠، و«الإرشاد إلى قواطع الأدلَّة» للجُويني: ٣٧٩، و«عقيدة أبي بكر المُراديّ»: ٣٣٠، و«المختَصَر في أصول الدِّين» لليابُري: ٢٢٤، و«الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي: ٣٧٥، و«الكتاب المتوسِّط في الاعتقاد» لابن العربي: ٤٠٩، و«المُسامَرة بشرحِ المُسايَرة» لابن أبي الشَّريف: ٤٠١، و«القول السديد في علم التوحيد» لأبي دقيقة: ٢/ ٣٥٧ - ٤٠٥.

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية: ٣/ ١٤٦، ١٤٧.

www.alimamaltayeb.com

وكلامُ الرُّسُلِ يَومَئِذٍ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وفي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثلُ شَوكِ السَّعدانِ . . . غَيرَ أنَّه لا يَعلَمُ قَدرَ عِظَمِها إلَّا اللَّهُ، تَخطَفُ النَّاسَ بأعمالِهم»[١].

* * *

٥- الإيمانُ بالشَّفاعةِ:

الشَّفاعةُ: هي سؤالُ فِعلِ الخيرِ وتَركِ الضُّرِّ عن الغيرِ على سَبيلِ الضَّراعةِ[٢]، وهي نوعٌ مِن أنواعِ الدُّعاءِ، وهي في يومِ القِيامةِ: السُّؤالُ في التَّخليصِ من موقفِ القِيامة وأهوالِه[٣]، وقد تحدَّثَ عنها القرآنُ الكريمُ في مواضعَ عِدَّةٍ فقالَ:

(١) الحديثُ أخرَجه البخاريُّ (٨٠٦)، ومسلمٌ (١٨٢) من حديثِ أبي هريرةَ ﵁، في حديثٍ طويلٍ. وانظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض: ١/ ٥٥٠، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعَينيِّ: ٦/ ٨٢.

(٢) «الكُلِّيَّات» للكَفَوِيِّ: ٣/ ١٤٦.

(٣) راجع: «الإبانة» للأشعري: ٢٤١، و«التَّمهيد» للباقلَّاني: ٣٦٥ - ٣٧٧ (ط. مكارثي)، و«مُجرَّد مقالات الشَّيخ أبي الحسن الأشعري»: ١٦٧ - ١٧٠، ١٩٣ - ١٩٤، و«شرح عقيدة مالك الصَّغير» للقاضي عبد الوهاب: ١٨٥ - ١٨٨، و«أصول الدين» للبغدادي: ٢٤٤، و«عقيدة أبي بكر المُراديّ»: ٣٣٦، و«المختَصَر في أصول الدِّين» لليابُري: ١٩١ - ١٩١، و«الكتاب المتوسِّط في الاعتقاد» لابن العربي: ٤١٦، و«القول السَّديد في عِلم التَّوحيد» لأبي دقيقة: ٢/ ٣٦٣ - ٣٦٥.

www.alimamaltayeb.com

- ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
- ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].
- ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وفي هذه الآياتِ دَلالةٌ على ثُبوتِ الشَّفاعةِ؛ لأنَّ نَفيَ الشَّفاعةِ بلا إذنٍ يَعني ثُبوتَ شَفاعةٍ بإذنٍ؛ فالشَّفاعةُ ثابتةٌ بالقرآنِ الكريمِ، وهي مشروطةٌ بشَرطَينِ:

الشَّرطُ الأوَّلُ: إذنُ اللَّهِ تعالى للشَّافعِ في الشَّفاعةِ؛ فلا يستطيعُ أحدٌ كائنًا مَن كان أن يَشفَعَ إلَّا بإذنِ اللَّهِ.

الشَّرطُ الثَّاني: أن يَرتضيَ اللَّهُ قولَ المشفوعِ له وفعلَه، وبعبارةٍ أُخرى: أن يكونَ المشفوعُ له مؤمنًا، فلا تُقبَلُ الشَّفاعةُ في كافرٍ أو في مُشركٍ؛ فقد ردَّ اللَّهُ استغفارَ إبراهيمَ لأبيه، وردَّ استغفارَ نُوحٍ لابنِه، وقالَ لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

والشَّفاعةُ تكونُ للأنبياءِ في أقوامِهم، وتكونُ للصَّالحينَ الَّذين يَشفَعونَ في العُصاةِ، وتكونُ للإخوانِ في اللَّهِ يَشفَعُ بعضُهم في بعضٍ، وقد ثبت في «**الصَّحِيحَينِ**» أنَّ الخلائقَ وهم يَمُرُّونَ على الصِّراطِ، يَعبُرُ الصَّالحونَ، ويَسقُطُ بعضُ العُصاةِ في جهنَّمَ، يقولُ

www.alimamaltayeb.com

المؤمنونَ الصَّالحونَ: «**ربَّنا، إخوانُنا كانوا يُصلُّون معَنا، ويَصُومونَ معَنا، ويَعمَلُونَ معَنا؛ فيقولُ اللَّهُ تعالى: اذهَبُوا فمَنْ وَجَدتُم في قلبِه مِثقالَ دِينارٍ مِن إيمانٍ فأَخرِجُوه**»[1].

- **شفاعةُ النَّبيِّ ﷺ لأمَّتِه:**

وما يَجبُ اعتقادُه في أمرِ الشَّفاعةِ هو أنَّ النَّبيَّ ﷺ يَشفَعُ في أمَّتِه؛ لقولِه: «**أنا أَوَّلُ النَّاسِ يَشفَعُ في الجَنَّةِ، وأنا أَكثَرُ الأنبياءِ تَبعًا**»[2]، وأنَّ له شفاعاتٍ عديدةً منها:

١- الشَّفاعةُ الكُبرى:

وهي شفاعتُه ﷺ في الحشرِ يومَ القيامةِ، حيث يَشتَدُّ البلاءُ على النَّاسِ، ويَشُقُّ عليهمُ الانتظارُ، ويَذهبونَ إلى الأنبياءِ يَستشفِعُونَ بهم عندَ اللَّهِ لكي يَصرِفَهم عن هذا الموقفِ الصَّعبِ، ويَقضيَ بينَهم ليَستريحوا مِن الكَرْبِ ومِن العَناءِ، وكلُّ نبيٍّ مِن الأنبياءِ يَعتذِرُ ويَتراجَعُ حياءً وخَجَلًا مِن اللَّهِ، ثمَّ يَذهبونَ إلى النَّبيِّ ﷺ؛ فيَشفَعُ لهم، ويَقبَلُ اللَّهُ شفاعتَه في الخَلْقِ، ويَصرِفُهم عن هذا الموقفِ.

هذه الشَّفاعةُ ليست خاصَّةً بأُمَّةِ النَّبيِّ ﷺ وَحدَها، وإنَّما هي

(١) أخرَجه البخاريُّ (٧٤٣٩)، ومسلمٌ (١٨٣) بنحوِه، من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه، في حديثٍ طويلٍ.

(٢) أخرجه مسلمٌ (١٩٦) عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه.

www.alimamaltayeb.com

شفاعةٌ عامَّةٌ يَصرِفُ اللَّهُ بها الكَربَ عن أهلِ الموقفِ جميعًا، لا فَرقَ بين مُؤمنِهم وكافرِهم؛ فالكلُّ مُستفيدٌ مِن هذه الشَّفاعةِ، وآخِذٌ حَظَّه منها؛ ولذا سُمِّيت: الشَّفاعةَ الكُبرى أو العُظمى، وهي المقامُ المحمودُ[1] الَّذي أمَرَنا النَّبيُّ ﷺ إذا سَمِعنا النِّداءَ للصَّلاةِ أن نَقولَه بعدَ الصَّلاةِ عليه: «**وابعَثْهُ مَقامًا محمُودًا الَّذي وَعَدتَهُ**»[2] .. وهذا مقامٌ خاصٌّ به ﷺ، لا يَنبغي لأحدٍ غيرِه، فقد وعَدَه اللَّهُ أن يبعَثَه إيَّاه في قولِه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

٢- الشَّفاعةُ لأهلِ الجنَّةِ في دخولِهمُ الجنَّةَ[3]:

وهاتان الشَّفاعتانِ خاصَّتانِ به ﷺ.

٣- الشَّفاعةُ في أهلِ الكبائرِ:

وهمُ الَّذين استحقُّوا دخولَ النَّارِ، فيَشفَعُ لهم؛ فلا يَدخُلونها، أو يَخرُجونَ منها إن كانوا قد دخَلُوها، وهذه الشَّفاعةُ ليست خاصَّةً بالنَّبيِّ ﷺ، بل يُشاركُه فيها الأنبياءُ والشُّهداءُ والمؤمنونَ

---

(١) انظر: «الشِّفَا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض: ٢٦٩ - ٢٧٩، و«إثبات الشَّفاعة» للذَّهبي: ٢٠، ٥١.

(٢) جزءٌ من حديثٍ أخرجه البخاريُّ (٦١٤) عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما.

(٣) حيث لا يُؤذَنُ لهم بدخولِها إلَّا بعد أن يَدخُلَها النَّبيُّ ﷺ. راجع: «شرح العقيدة الواسطية»: ١٢٩، وأيضًا: «العقيدة الإسلاميَّة» لعبد الحليم أحمدي: ٢٤٥.

www.alimamaltayeb.com

والصَّالحونَ، يقولُ ابنُ تَيميَّةَ: «وله ﷺ في القيامةِ ثلاثُ شفاعاتٍ؛ أمَّا الشَّفاعةُ الأُولى فيَشفَعُ في أهلِ الموقفِ حتَّى يُقضَى بينهم بعد أن يَتَراجعَ الأنبياءُ: آدمُ ونوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى بنُ مريمَ عنِ الشَّفاعةِ حتى تَنتهيَ إليه، وأمَّا الشَّفاعةُ الثَّانيةُ فيَشفعُ في أهلِ الجنَّةِ أن يدخُلوا الجَنَّةَ، وهاتان الشَّفاعتانِ خاصَّتانِ له، وأمَّا الشَّفاعةُ الثَّالثةُ فيَشفَعُ فيمَنِ استَحَقَّ النَّارَ، وهذه الشَّفاعةُ له ولسائرِ النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ وغيرِهم، فيَشفَعُ فِيمَنِ استَحَقَّ النَّارَ ألَّا يَدخُلَها، ويَشفَعُ فيمَن دخَلَها أن يَخرُجَ منها»(١).

(١) «شرح العقيدة الواسطيَّة»: ١٢٧، ١٢٨. ليس هناك خلافٌ بين علماءِ الكلامِ في الشَّفاعةِ بالمعنى الأوَّلِ والثَّاني، أمَّا الشَّفاعةُ بالمعنى الثالثِ وهي الشَّفاعةُ في أهلِ الكبائرِ لإخراجِهم مِنَ النَّارِ أو لعدمِ دخولِها بدايةً -فيُنكِرُها بَعضُهم، ويَرَى أَنَّ الشَّفاعةَ تكونُ في صغائرِ الذُّنوبِ وليس في الكبائرِ. وإنكارُ المعتزلةِ للشَّفاعةِ بهذا المعنى فرعُ قولِهم بوجوبِ الوَعدِ والوعيدِ -وهو أصلٌ مِن أُصولِهمُ الخمسةِ- وهم يَستَدِلُّون على إنكارِهمُ الشَّفاعةَ بالآياتِ التَّاليةِ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وقد بيَّنَ أهلُ السُّنَّةِ أن هذه الآياتِ واردةٌ في حقِّ الكُفَّارِ، ولا خلافَ أن الشَّفاعةَ في الكافرِ لا تنفعُ، كما بيَّنُوا أيضًا أن الشَّفاعةَ تكونُ في أهل الكبائرِ من الذُّنوبِ، ويَستَدِلُّون عليها بقوله ﷺ: «شَفاعتي لأهلِ الكبائرِ مِن أُمَّتي». انظر: «تعليق على شرح الأصول الخمسة» لمانكديم: ٦٨٨ وما بعدها، و«البيان عن أصول الإيمان» للسِّمناني: ٥٣٤ - ٥٥٦، و«الإرشاد إلى قواطع الأدلَّة» للجُوَينيّ: ٣٩٣ - ٣٩٥، و«المباحث العقليَّة في شرح معاني العقيدة =

www.alimamaltayeb.com

٦- الإيمانُ بالجنَّةِ والنَّارِ:

ويجبُ الإيمانُ بالجَنَّةِ والنَّارِ، وهما العاقبتانِ اللَّتانِ تَنتظرانِ خَلقَ اللَّهِ مِن الإنسِ والجنِّ، فحياةُ كلٍّ منهما لابدَّ مُنتهيةٌ -في آخِرِ الأمرِ- إمَّا إلى الجنَّةِ، وإمَّا إلى النَّارِ، وفي الجنَّةِ والنَّارِ تَبدَأُ حياةُ النَّعيمِ الأبديِّ أو رحلةُ الشَّقاءِ الأبديِّ، وقد استفاضَت آياتُ القرآنِ الكريمِ في وَصفِ الجنَّةِ ونعيمِها، ووصفِ جهنَّمَ وعذابِها(١).

والَّذي يجبُ على المسلمِ أن يَعتقِدَه حِيالَ الجنَّةِ والنَّارِ:

١- أنَّ الجنَّةَ والنَّارَ حقيقتانِ مادِّيَّتانِ، وأنَّ النَّعيمَ والعذابَ كما يكونُ للرُّوحِ يكونُ للجَسَدِ أيضًا، وهذا ما تَقتضيهِ الأوصافُ الواردةُ في القرآنِ حِيالَ كلٍّ منهما؛ فقد ورَدَ في وَصفِ الجنَّةِ:

= البرهانيَّة» لليَفْرَنِيّ: ٣/ ١١٦٢ - ١١٦٥.

وحديثُ: «شَفاعتي لأهلِ الكبائرِ مِن أُمَّتِي» أخرَجه أبو داود (٤٧٣٩) والتِّرمذيُّ (٢٤٣٥) من طريقينِ عن أنسِ بنِ مالكٍ ﵁، وقال التِّرمذيُّ: «هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجهِ».

(١) راجع: «شرح عقيدة مالك الصَّغير»: ١٨٨ - ٢٠١، و«أصول الدِّين» لعبد القاهر البغدادي: ٢٣٧ - ٢٣٩، و«الإرشاد إلى قواطع الأدلَّة» للجُويني: ٣٧٧، ٣٧٨، و«عقيدة أبي بكر المُراديّ»: ٣٣١ - ٣٣٥، و«المختَصَر في أصول الدِّين» للبابُري: ٢٢١ - ٢٢٣، و«الكتاب المتوسِّط في الاعتقاد» لابن العربي: ٣٩٣ - ٤٠٨، و«المختصر الكلامي» لابن عَرَفَة: ٩٨٥ - ٩٩١.

www.alimamaltayeb.com

- ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية ١٢-١٥]

- ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة ٣٠ -٣٤].

ووَرَدَ في وَصفِ النَّارِ:

- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٢-٧].

فهذه الأوصافُ القرآنيَّةُ لا تَدَعُ مجالًا للشَّكِّ في أنَّ كُلًّا مِن الجنَّةِ والنَّارِ دارٌ حقيقةٌ، والحياةُ فيها حياةٌ محسوسةٌ، والإدراكُ فيها إدراكٌ حِسِّيٌّ، والجسدُ يَنالُ نصيبَه مِن النَّعيمِ أو العذابِ جَنبًا إلى جَنبٍ مع الرُّوحِ الَّتي تَتنعَّمُ أو تَتعَذَّبُ معه(١).

---

(١) من المعروفِ في هذا الموضوعِ أنَّ ابنَ سِينا يقولُ بالنَّعيمِ والعذابِ الرُّوحانِيَّينِ لا المادِّيَّينِ، ويَحكِي عنه الإمامُ الغزاليُّ أنه يُنكِرُ النارَ الجُسمانيَّةَ والجنَّةَ الجُسمانيَّةَ، ويُؤوِّلُ كلَّ الأوصافِ الماديَّةِ الَّتي جاءت في القرآنِ بأنَّها أمثالٌ ضُرِبَت لتقريبِ النَّعيمِ الرُّوحانيِّ والعذابِ الرُّوحانيِّ لعوامِّ الخَلْقِ.

ويقولُ الإمامُ الغزاليُّ -بحقٍّ-: «إنَّ هذا الاتجاهَ مخالفٌ لاعتقادِ المسلمين كافَّةً» . . وقد فَنَّدَ الإمامُ الغزاليُّ اتجاهَ الفلاسفةِ هذا ونَقَضَهُ من الأساسِ. راجع: «تهافت الفلاسفة»: **٢٨٣** وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

٢- إجماعُ العلماءِ المسلمين عن آخِرِهم على أبَديَّةِ نَعيمِ الجنَّةِ، وأنَّه دائمٌ باقٍ لا يَنقطِعُ ولا يَفنى أبدًا[١]، أمَّا دوامُ جهنمَ وعذابُها بدَوامِ النَّارِ وعذابِها أو فناؤُها بمَن فيها وصيرورتُها عَدَمًا في وقتٍ ما مِن الأوقاتِ؛ فالجمهورُ يرى أنَّ النَّارَ خالدةٌ ومُؤبَّدةٌ، مِثلُها في ذلك مِثلُ الجنَّةِ، وبعضُ العلماءِ يرى أنَّه لم يَرِد في القرآنِ «نَصٌّ قطعيٌّ صريحٌ في دوامِ النَّارِ، وإنَّما فيه التَّصريحُ بخُلودِ الكفَّارِ فيها، وهو يَتحَقَّقُ بأنَّهم لا يخرُجون منها ما دامَت موجودةً، أمَّا أنَّها تَنقطِعُ أو تَدُومُ فهذا شيءٌ آخَرُ ليس في القرآنِ ما يَقطعُ به»[٢].

* * *

(١) حَكَى هذا الإجماع والاتِّفاق ابنُ حَزْم في «مراتب الإجماع»: ١٧٣، و«الدُّرَّة فيما يجبُ اعتقادُه»: ٣١١، وابن تيميَّة في «مجموع الفتاوى»: ١٨/ ٣٠٧.

(٢) «الإسلام عقيدة وشريعة» لمحمود شلتوت: ٤٤، وممن رجَّحَ هذا الرأيَ ابنُ تيميَّةَ وتلميذُه ابنُ القَيِّمِ وسَبَقَهما إلى هذا القولِ الشيخُ الأكبرُ محيي الدينِ ابن عربيّ. راجع هذا الاختلافَ في: «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني: خصوصًا كلام المحقِّق، وراجع أيضًا: «كبرى اليقينيات الكونية» للبوطي: ٢٩١-٢٩٤، و«عقيدة فناء النار بين ابن عربي وابن تيمية وابن القيم» لعائشة بنت يوسف المناعي، جامعة قطر، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة (٢٠٠٤م): ٨٦ - ١٤١.

www.alimamaltayeb.com

الفصل الثاني

العبادة

معنى العبادة

حاجة الإنسان إلى العبادة

العبادة غاية لا وسيلة

أقسام العبادة

أنواع العبادة

خصائص العبادة في الإسلام

www.alimamaltayeb.com

مَعْنَى العِبَادَةِ

العبادةُ في اللُّغةِ لها معانٍ عِدَّةٌ؛ مِن أهمِّها: الطَّاعةُ، والخضوعُ، والتَّذلُّلُ[1].

أمَّا في اصطلاحِ الشَّرعِ[2] فمِن أفضلِ ما قِيلَ في تعريفِها: إنَّها عِبارةٌ عن مجموعِ أمرَينِ: الذُّلِّ والحبِّ، ومِن اجتماعِ هذينِ الأمرَينِ يَتحقَّقُ مَفهومُ «العبوديَّةِ للَّهِ تعالى» ويَتمُّ مَعناها، بحيثُ لو فُقِدَ أحدُ هذينِ العُنصرَينِ فإنَّ العبادةَ تَفقِدُ مَفهومَها، وتُصبحُ أيَّ شيءٍ آخَرَ، إلَّا أن تكونَ عبادةً بالاصطلاحِ الشَّرعيِّ؛ لأنَّ الذُّلَّ أوِ الخضوعَ قد يَتحقَّقُ بدونِ عنصرِ الحبِّ، بل كثيرًا ما يكونُ مع كراهةِ المخضوعِ له وبُغضِه، فلا يُسمَّى هذا النَّوعُ مِن العَلاقةِ بينَ الخاضعِ والمخضوعِ له عِبادةً.

وكذلك قد يَتحقَّقُ معنى الحبِّ بدونِ الخُضوعِ والتَّذلُّلِ؛ كما يُحِبُّ الإنسانُ صديقَه أو وَلَدَه، وأحدُ هذينِ الأمرينِ بمُفردِه لا يَكفي

---

(١) انظر: «المخصَّص» لابن سِيدَه: ١٣/ ٩٦، و«لسان العرب»: ٣/ ٢٧١، ٢٧٣، و«تاج العروس»: ٨/ ٣٣٠، ٣٣١.

(٢) انظر: «مفردات القرآن» للرَّاغب الأصفهانيِّ: ٥٤٢، و«الكلِّيَّات» لأبي البقاء الكفوي: ٥٩٧ - ٦٥٠.

www.alimamaltayeb.com

في قيامِ عَلاقةِ «العبوديَّةِ» بين العبدِ وبين اللَّهِ سبحانه وتعالى، ومِن هنا يُعرِّفُ ابنُ تيميَّةَ العبوديَّةَ بأنَّها: غايةُ الذُّلِّ للَّهِ بغايةِ المحبَّةِ له، ثُمّ قالَ: «ولهذا لا يَكفي أحدُهما في عبادةِ اللَّهِ، بل يَجبُ أن يكونَ اللَّهُ أحبَّ إلى العبدِ مِن كلِّ شيءٍ، وأن يكونَ اللَّهُ عندَه أعظمَ مِن كلِّ شيءٍ، بل لا يَستحِقُّ المحبَّةَ والخضوعَ التَّامَّ إلَّا اللَّهُ»[1].

وهذا التَّعريفُ الجامِعُ المانِعُ لمعنى «العبوديَّةِ» يُعتَبرُ حدًّا فاصلًا بين العبوديَّةِ بالمعنى الإسلاميِّ الصَّحيحِ وبين العبوديَّةِ التي يدَّعيها بعضُ الزَّنادقةِ الَّذين يَكتفون «بالحبِّ» فقط كتعبيرٍ عن العَلاقةِ بينهم وبين اللَّهِ تعالى، بينما في مجالِ الخُضوعِ للأوامرِ والنَّواهي الإلهيَّةِ يُعفُون أنفُسَهم مِن التَّقيُّدِ بقُيودِهما؛ فيَتحلَّلونَ مِن التَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ ويُسقِطُونها عن أنفُسِهم، ويُطلِقون العِنانَ لشَهَواتِهم وغرائزِهمُ الدُّنيا في كلِّ مَا حَرَّمَه اللَّهُ، مُدَّعِينَ أنَّهم قد وصَلُوا إلى حالةٍ مِن الحُبِّ ومن القُربِ لا يُطالَبون فيها بشيءٍ مِن تكاليفِ الشَّرعِ، وقد بيَّنَ أئمَّةُ المسلمين أنَّ هؤلاء ليسُوا مِن الإسلامِ في قليلٍ أو كثيرٍ[2].

* * *

(١) «العبوديَّة» لابن تيميَّة: ٤٩.

(٢) راجع: كتاب «اللُّمَع» بابُ ذِكر مَن غَلطَ في الأصول وأدَّاهُ ذلك إلى الضَّلالةِ: ٥٨٧، ٥٨٨، و«فيصل التَّفرقة بين الإسلام والزَّندقة» للغزالي: ١٩٧، و«الموافقات» للشاطبي: ٣/ ١٤٧ - ١٥٦.

www.alimamaltayeb.com

حَاجَةُ الإِنْسَانِ إِلَى العِبَادَةِ

تَتَميَّزُ «العبادةُ» وأحكامُها -في الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ- بمَيْزةِ الثَّباتِ والاستقرارِ؛ فهي لا تتأثَّرُ بتطوُّرِ الحياةِ، ولا تَخضَعُ لعواملِ التَّغيُّرِ ولا مُستجِدَّاتِ الأحداثِ، وهي بذلك تُخالفُ تَشريعاتٍ عديدةً تَتَّصِفُ بالمُرونةِ والتَّكيُّفِ مع بعضِ النُّظُمِ المُتغيِّرةِ في حياةِ الإنسانِ؛ فنظامُ الصَّلاةِ والصِّيامِ والحَجِّ مَثَلًا هو بعَينِه لا يَختلِفُ منذُ عصرِ النَّبيِّ ﷺ وحتَّى أيَّامِنا هذه، وسوف يَبقى ثابتًا مَا بَقِيَ مُسلِمٌ يَتعبَّدُ للَّهِ في هذا الكونِ.

وثَباتُ العبادةِ يَعني أنَّها تُلبِّي مطلبًا ثابتًا في أعماقِ الإنسانِ، وأنَّها تُعالِجُ فيه حاجةً مُستمِرَّةً ثابِتَةً لا تُفارِقُه، رغمَ تطوُّرِ حياتِهِ الصاعدةِ دَومًا في مَدارجِ التَّقدُّمِ الحضاريِّ والرُّقيِّ العِلميِّ.

هذه الحاجةُ المُستمِرَّةُ في بناءِ الإنسانِ الفرديِّ والاجتماعيِّ والحضاريِّ يُترجِمُها شُعورٌ جارِفٌ بِمواصَلَةِ البَحثِ عن «قُوَّةٍ» خارِقَةٍ مُتعالِيَةٍ يحتَمِي بها، ويَتَشبَّثُ بعَونِها، ويَفِرُّ إليها مِن واقعِه المادِّيِّ الضَّيِّقِ المحصورِ، لِيَرتَبِطَ بآفاقِها الأزَلِيَّةِ والأبَدِيَّةِ، وقد أشَرنا في موضعٍ سابقٍ إلى أنَّ هذا الشعورَ القويَّ فِطرةٌ فطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عليها.

وأشواقُ الإنسانِ إلى خالقِه لا تُشبِعُها الفَلسَفاتُ المادِّيَّةُ، ولا المذاهبُ الوَثنيَّةُ؛ فكلُّ هذه قيودٌ وعوائقُ تَزيدُ مِن حَيرتِه، وتُثقِلُ خُطَى بَصيرتِه وفِطرتِه، وتَقعُدُ به عن أداءِ دَورِه في هذه الحياةِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

والإيمانُ باللَّهِ هو «الحقيقةُ الوحيدةُ» الَّتي تَستوعِبُ كلَّ طاقاتِ الإنسانِ وأشواقِه في هذا الاتِّجاهِ، وهو «النَّبعُ الوحيدُ» لطُمأنينةِ الإنسانِ وسعادتِه، فهو ضرورةٌ إنسانيَّةٌ، في ضوئِها يَعرِفُ الإنسانُ مكانَه الصَّحيحَ في هذا الوُجودِ، ويُباشِرُ مسئوليَّةَ «خِلافتِه» عنِ اللَّهِ في الأرضِ، ولقد أجمَعَ أهلُ المِلَلِ والشَّرائعِ على أنَّ المَيْلَ إلى الإيمانِ باللَّهِ نَزعةٌ أصِيلةٌ في الإنسانِ، وشعورٌ فِطريٌّ في ذاتِه.

والعباداتُ هي التَّعبيرُ العَمَليُّ أوِ التَّطبيقيُّ لغريزةِ الإيمانِ هذه، فهي الزَّادُ المُستمِرُّ الَّذي يَحفَظُ «للإيمانِ» حَيَويَّتَه وفعَّاليَّتَه، وهي وِقايةٌ للمؤمنِ مِن الانحرافِ عن صِراطِ اللَّهِ المستقيمِ، ومن التَّردِّي في أوحالِ المادَّةِ، والإخلادِ إلى مَضايِقِها وسُجونِها، وهي علاجٌ لأَوضارِ النَّفسِ وأمراضِها وانحرافاتِها عن المنهجِ الإلهيِّ، ثُمَّ هي نَوعٌ مِن التَّوازُنِ النَّفسِيِّ يَستقيمُ به المرءُ وهو يَعيشُ في حياتِه بين النهايةِ واللَّانهايةِ، وبين المحدودِ والمُطلَقِ، وبين مُتطلَّباتِ حياةٍ قصيرةٍ زائلةٍ ومُتَطلَّباتِ حياةٍ أبديَّةٍ خالدةٍ.

***

www.alimamaltayeb.com

العِبَادَةُ غَايَةٌ لَا وَسِيلَة

والعبادةُ في الإسلامِ غايةٌ تُقصَدُ لِذَاتِها، وليسَت وسيلةً يُتَوصَّلُ بها إلى هدفٍ مُعيَّنٍ، حتَّى إذا تحقَّقَ هذا الهدفُ فقَدَتِ العبادةُ مُسوِّغاتِ وُجودِها، وأمكَنَ الاستغناءُ عنها.

ومِن هذا المبدأِ الثَّابتِ للعِبادةِ في الإسلامِ يَتَّضِحُ بُطلانُ المقولةِ التي يُردِّدُها طائفةٌ مِن المُستَكبِرينَ عن عبادةِ اللَّهِ؛ مِن أنَّ المقصودَ مِن العباداتِ في الأديانِ إنَّما هو إصلاحُ النَّفسِ، وتهذيبُ الخُلُقِ، وتَزكيةُ القلبِ والضَّميرِ؛ فإذا ما استطاعَ الإنسانُ أن يَصِلَ بالتَّربيةِ أو بالحضارةِ إلى هذا المستوى فلا داعيَ حينئذٍ للعِبادةِ.

وهذا الزَّعمُ الباطلُ يُمكِنُ أن تكونَ له وِجهةٌ ما لو كانتِ العباداتُ في الإسلامِ مقصودةً لهدفِ تزكيةِ النَّفسِ فقط، لكنَّ القرآنَ الكريمَ يُقرِّرُ في صراحةٍ تامَّةٍ أنَّ العبادةَ هي هدفٌ مقصودٌ في حَدِّ ذاتِهِ، وهي هدَفٌ أعلى، مِن أجلِه خلَقَ اللَّهُ الإنسَ والجنَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وفي هذه الآيةِ دَلالةٌ قاطعةٌ على أنَّ العبادةَ مقصودةٌ لِذَاتِها، بِقَطعِ النَّظرِ عمَّا تُحدِثُه مِن آثارِ التَّزكيةِ في نُفوسِ العابدين وضمائرِهم، وأنَّه ليس صحيحًا أنَّ «العِبادةَ» في الإسلامِ مُجرَّدُ

www.alimamaltayeb.com

وسيلةٍ لاكتسابِ الفضائلِ، وأنَّ الإنسانَ إذا ما استطاعَ أن يَتَزكَّى بطريقةٍ أو بأُخرى فلا عليه مِن العبادةِ، وحقيقةُ الأمرِ أنَّ أداءَ حقِّ اللَّهِ الَّذي أمَرَنا به هو المقصدُ الأوَّلُ للعبادةِ، إذِ الغرضُ مِن العبادةِ في الإسلامِ هو امتثالُ أمرِ اللَّهِ؛ بإظهارِ عبوديَّتِنا له -سبحانه- بالوسيلةِ التي بيَّنَها ﷻ في شَرعِه المُنزلِ على أنبيائِه.

ولكن هل يَعني ذلك انتفاءَ دَورِ العبادةِ في التَّهذيبِ الخُلُقيِّ، وانتفاءَ أَثَرِها في تربيةِ الضَّميرِ؟!

كلَّا؛ فإنَّ العبادةَ وإن كانت مقصودةً لِذَاتِها، إلَّا أنَّ مِن طبيعتِها أن تُثمِرَ في العابدِ ثَمَراتٍ مُتنوِّعةً؛ كالتَّربيةِ والتَّهذيبِ، والمحاسبةِ والالتزامِ، وقوَّةِ النَّفسِ والصَّبرِ على المَكارِهِ، وفضائلَ أُخرى كثيرةٍ.

فهُناك فَرقٌ بين أن يُقالَ: إنَّ تهذيبَ النَّفسِ هو العِلَّةُ والغايةُ مِن العِبادةِ، وبين أن يُقالَ: إنَّ تهذيبَ النَّفسِ مِن ثَمَراتِ العِبادةِ.

فالقولُ الأوَّلُ يَعني أنَّ العبادةَ وسيلةٌ إلى تهذيبِ الأخلاقِ، وأنَّ تهذيبَ الأخلاقِ غايةٌ للعبادةِ، وتُصبحُ العَلاقةُ بينهما عَلاقةَ وسيلةٍ بغايةٍ، فإذا ما تَحقَّقتِ الغايةُ لم تَعُد هناك حاجةٌ لوُجودِ الوسيلةِ.

بينما يعني القولُ الثَّاني أنَّ العبادةَ هي في ذاتِها «غايةٌ»، وأنَّها لمَّا كانت صِلةً تُقرِّبُ بين اللَّهِ والعبدِ؛ كان مِن الضَّروريِّ إذا ما

www.alimamaltayeb.com

أُدِّيَت على وَجهِها الصَّحيحِ أن تُثمِرَ في قلبِ العابدِ تَقوَى اللَّهِ؛ لأنَّ الاتِّصالَ باللَّهِ أوِ القُربَ منه لا شكَّ يُزَكِّي النَّفسَ ويَهدي لأحسنِ الأخلاقِ وأَقومِها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

* * *

www.alimamaltayeb.com

أَقسَامُ العِبَادَةِ

تنقسمُ العبادةُ -في الإسلامِ- مِن حيثُ تَعلُّقُها بالعبدِ إلى ما يلي:

أوَّلًا: عبادةٌ بَدَنيَّةٌ.

ثانيًا: عِبادةٌ ماليَّةٌ.

ثالثًا: عبادةٌ بَدنيَّةٌ وماليَّةٌ.

١- العباداتُ البَدَنيَّةُ: وهي نوعان:

أ- ما يَتعلَّقُ بقلبِ العبدِ: مِثلُ الإيمانِ باللَّهِ، والإخلاصِ له، ومَحبَّتِه، والمحبَّةِ مِن أجلِه، والرَّغبةِ فيه، والرَّهبةِ منه، ويَندرجُ تحتَ هذا النَّوعِ مِن العبادةِ كلُّ عباداتِ القلبِ وأنواعِها؛ مِن التَّفكُّرِ والنَّظرِ في مخلوقاتِ اللَّهِ وعجائبِه، وتَزكيةِ النَّفسِ وتَربيةِ الضَّميرِ وطهارةِ القلبِ، إلى آخرِ ما يُعرَفُ للقَلبِ مِن أعمالٍ باطنيَّةٍ تدورُ على التَّحلِّي بالفضائلِ، والتَّخلِّي عن الرَّذائلِ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

www.alimamaltayeb.com

ب- ما يَتعلَّقُ ببَدنِ العبدِ وجوارِحِه وأعضائِه:

- **فالعباداتُ المتعلِّقةُ باللِّسانِ** هي مِثلُ النُّطقِ بالشَّهادتينِ، وتلاوةِ القرآنِ، وذكرِ اللَّهِ تعالى، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ، واللُّطفِ في مُخاطَبةِ الغَيرِ، والصَّمتِ عنِ الغِيبةِ والكَذبِ وشهادةِ الزُّورِ وإيذاءِ النَّاسِ وذِكرِهم بما يَكرهونَ.

- **والعباداتُ التي تَتعلَّقُ باليَدينِ والرِّجلَينِ**: مِثلُ حركاتِ الصَّلاةِ، وتَقديمِ المعونةِ للغَيرِ، ودَفعِ الصَّدقاتِ للفقراءِ، والمشيِ إلى المساجدِ وأماكنِ العَمَلِ، والسَّعيِ في الخيرِ.

- **وعبادةُ السَّمعِ**: الاستماعُ للقرآنِ الكريمِ والإنصاتُ له، والكَفُّ عن سَماعِ الغِيبةِ، وعن كلِّ ما حرَّمَه اللَّهُ تعالى.

- **وعبادةُ البَصَرِ**: النَّظَرُ إلى المُصحَفِ وإلى الكَعبةِ، وغَضُّ البَصرِ عن المُحرَّماتِ، وعَدَمُ تَتَبُّعِ عَوْراتِ النَّاسِ(١).

٢- العباداتُ الماليَّةُ:

ويَتَعلَّقُ هذا النَّوعُ مِن العباداتِ بأموالِ المسلمِ مِن حيثُ الاكتسابُ والإنفاقُ، ومِن هذه العباداتِ: الزَّكاةُ الواجبةُ، والقَرضُ، والصَّدقةُ، واجتنابُ الرِّبا، وتَجنُّبُ استغلالِ النَّاسِ، وتَجنُّبُ الجَشَعِ وتكديسِ الثَّرَواتِ، والتَّوسعةُ على الأهلِ وعلى

---

(١) راجع: «العبادة» لمحمد أبي الفتح البيانوني: ٤٩، ٥٠.

www.alimamaltayeb.com

الغَيرِ مِن المُحتاجِينَ والمَحرومينَ، ويَندَرِجُ تحتَ العباداتِ الماليَّةِ كلُّ أحكامِ البَيعِ والشِّراءِ وأصنافِ المُعاملاتِ التِّجاريَّةِ الأُخرى الَّتي تَكفَّل الفقهُ ببيانِها في بابِ «البيوعِ».

٣- العباداتُ البَدنيَّةُ والماليَّةُ:

وهي عباداتٌ جامعةٌ، تَتَعلَّقُ بالبَدنِ وبالمالِ معًا، ومِن أمثلتِها: الحجُّ والجهادُ.

فالحجُّ مِن حيثُ النِّيَّةُ وتجريدُ القَصدِ للَّهِ تعالى عبادةٌ بدنيَّةٌ تَتَعلَّقُ بالقلبِ، ومِن حيثُ الأعمالُ والمشاعرُ والمناسكُ -كالطَّوافِ والسَّعيِ والرَّميِ والوُقوفِ بعَرَفةَ- عبادةٌ بَدَنيَّةٌ تَتعلَّقُ بالجسدِ والأعضاءِ، ومِن حيثُ نَفقةُ الحجِّ ونفقةُ الهَدْيِ والصَّدَقاتُ -عبادةٌ ماليَّةٌ.

والجهادُ أيضًا عبادةٌ يتعلَّقُ جزءٌ منها بالقلبِ والبدنِ؛ كالنِّيَّةِ والمُقاتَلةِ والسَّفرِ، ويَتَعلَّقُ الجزءُ الآخَرُ -وهو جُزءُ الإنفاقِ- بالمالِ[1].

* * *

(١) راجع: «العبادة» لمحمد أبي الفتح البيانوني: ٤٩، ٥٠.

www.alimamaltayeb.com

أنْوَاعُ العِبَادَةِ

أوَّلًا: العبادةُ العامَّةُ:

كلُّ عَمَلٍ مِن أعمالِ الإنسانِ المسلمِ يُمكِنُ أن يكونَ عبادةً - بالمعنى العامِّ- إذا قصَدَ به صاحبُه وجهَ اللَّهِ تعالى، وابتَغَى مِن عملِه تحقيقَ غاياتِه ومقاصدِه المشروعةِ، وباستطاعةِ كلِّ مسلمٍ أن يُحوِّلَ جميعَ حرَكاتِه وسَكَناتِه في هذه الحياةِ إلى أنماطٍ لا حَصرَ لها مِن عبادةِ اللَّهِ تعالى وطَلَبِ مَرضاتِه والقُربِ منه.

والإسلامُ لم يَفصِل في معنى «العبادةِ» بين الأعمالِ الدِّينيَّةِ؛ كالصَّلاةِ والصِّيامِ والحجِّ والزَّكاةِ، وبين الأعمالِ الدُّنيويَّةِ إذا اقتَرَنَت بالنِّيَّةِ الحَسنةِ وقُصِدَ منها النَّفعُ وإفادةُ النَّفسِ والغَيرِ.

وفي هذا الإطارِ تَتحوَّلُ الأعمالُ المُباحةُ كلُّها -وعلى المُستوياتِ كافَّةً- إلى عباداتٍ يُستَحقُّ عليها الثَّوابُ والأجرُ مِن عندِ اللَّهِ تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟

www.alimamaltayeb.com

وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقالَ ﷺ: «**كلُّ سُلَامَى**(١) **مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقةٌ كلَّ يومٍ تطلُعُ فيه الشَّمسُ: تَعدِلُ بينَ الاثنينِ صَدَقةٌ، وتُعينُ الرَّجُلَ في دابَّتِهِ فتَحمِلُهُ عليها أو تَرفَعُ له عليها مَتاعَهُ صَدَقةٌ، والكَلِمةُ الطَّيِّبةُ صَدَقةٌ، وبكلِّ خُطوةٍ تَمشِيها إلى الصَّلاةِ صَدَقةٌ، وتُميطُ الأذى عنِ الطَّريقِ صَدَقةٌ**»(٢).

وقال ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمرِ المؤمنِ! إنَّ أَمرَهُ كلَّه خَيرٌ، وليس ذاكَ لِأَحَدٍ إلَّا للمُؤمِنِ؛ إنْ أَصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ؛ فكانَ خيرًا له، وإنْ أَصابَتْه ضَرَّاءُ صَبرَ؛ فكانَ خيرًا له**»(٣).

- **ثانيًا: العبادةُ الخاصَّةُ:**

وهي ما «شُرِعَت بِقَصدِ العبادةِ المَحضةِ؛ أي: إظهارِ الخضوعِ للَّهِ، والصَّدعِ بأمرِه، وهذا النَّوعُ مِن العبادةِ هو المعروفُ الشَّائعُ بين النَّاسِ، وهو المعروفُ بهذا الاسمِ في الأديانِ الأُخرى»(٤)،

---

(١) «السُّلَامَى»: جَمْعُ سُلَامِيَة وَهِيَ الأُنْمُلَة مِنْ أَنَامِلِ الْأَصَابعِ. «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير: ٥/ ١٩٩٠.

(٢) أخرَجه البخاريُّ (٢٨٩١)، ومسلمٌ (١٠٠٩) من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه.

(٣) أخرَجه مسلمٌ (٢٩٩٩) من حديثِ صُهَيبٍ الرُّوميِّ رضي الله عنه.

(٤) «نظام الإسلام: العقيدة والعبادة» لمحمد المبارك: ١٧١.

www.alimamaltayeb.com

وللعبادةِ الخاصَّةِ أنواعٌ كثيرةٌ جاءَ بها القرآنُ الكريمُ، وبيَّنَتها السُّنَّةُ المُطهَّرةُ، منها:

١- ذِكرُ اللَّهِ تعالى والتَّفكُّرُ في مخلوقاتِه:

يقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

- ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

- ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

- ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والذِّكرُ مِن أقوى العباداتِ التي تَربِطُ الإنسانَ باللَّهِ؛ لأنَّه لا يَختَصُّ بوقتٍ مُعيَّنٍ، ولا بمكانٍ محدودٍ، ولا بهيئةٍ خاصَّةٍ، ويستطيعُ الإنسانُ أن يَذكُرَ اللَّهَ بلسانِه وبقلبِه وبهما معًا في جميعِ أحوالِه.

وقد شُرِعَت عبادةُ الذِّكرِ عِلاجًا لِما يَتعرَّضُ له المسلمُ مِن نِسيانٍ

www.alimamaltayeb.com

للَّهِ بسببِ شَواغلِ الحياةِ وصَوارِفِها، وقد ورَدَت أذكارٌ عديدةٌ للتَّذكيرِ باللَّهِ تعالى، تأتي في مُقدِّمتِها أربع كلمات: «لا إلهَ إلَّا اللَّهُ»، و«سبحانَ اللَّهِ»، و«الحمدُ للَّهِ»، و«اللَّه أكبر»، وهناك أدعيةٌ وأذكارٌ أُخرى كثيرةٌ تَختَصُّ بالأعمالِ وبالأوقاتِ المختلفةِ لحياةِ المسلمِ اليوميَّةِ(١).

٢- تلاوةُ القرآنِ الكريمِ:

وهي مِن أجلِّ العباداتِ، وأعلاها قَدرًا ومنزلةً عندَ اللَّهِ تعالى، وقد أُمِرنا بتلاوةِ القرآنِ في أكثرَ مِن آيةٍ مِن آياتِه الكريمةِ:

- ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠].

- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

- ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

ومِن الأحاديثِ التي تَحُضُّ على تلاوةِ القرآنِ قولُه ﷺ: «**اقرَءُوا القرآنَ؛ فإنَّه يَأتي يومَ القِيامَةِ شَفيعًا لأصحابِه...**» الحديثَ(٢).

---

(١) راجع في هذا البابِ: «الأذكار» للنَّوويِّ، و«سلاح المؤمن في الدُّعاء والذِّكْر» لابنِ الإمامِ، و«الحِصن الحصين من كلام سيِّد المرسَلِين» لابنِ الجَزَريِّ، وأيضًا: «العَقيدة والعبادة والسُّلوك» لأبي الحسن النَّدويِّ: ١١١- ١٢٥، و«فَنُّ الذِّكْر والدُّعاء عند خاتم الأنبياء» لمحمد الغزالي (ط. دار الشروق).

(٢) أخرَجه مسلمٌ (٨٠٤) من حديثِ أبي أُمامةَ الباهِلِيِّ ﷺ.

www.alimamaltayeb.com

وتلاوةُ القرآنِ عبادةٌ، سواءٌ فَهِمَ القارئُ معانيَ الآياتِ التي يَقرَؤُها أو لم يَفهَمْ، غيرَ أنَّ التَّدبُّرَ في الآياتِ مطلوبٌ في التِّلاوةِ، ومِن هنا كَرِهَ العلماءُ أن يَتعجَّلَ الإنسانُ في التِّلاوةِ ويَنتَهيَ مِن إتمامِ القرآنِ في فَترةٍ تَقِلُّ عن ثلاثةِ أيَّامٍ؛ فمِثلُ هذه العَجَلةِ لا يَتحقَّقُ معَها التَّدبُّرُ أو التَّفكُّرُ، وقد أشارَ النَّبيُّ ﷺ إلى ذلك بقولِه في الحديثِ الشَّريفِ: «**لَمْ يَفْقَهْ مَن قَرَأَ القُرآنَ في أَقَلَّ مِن ثَلاثٍ**»[١]، وكانت وصِيَّتُه ﷺ لعبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ألَّا يَقرَأَ القرآنَ في أقلَّ من سَبْعٍ، ولا يَزِيدَ على ذلكَ[٢].

٣- الدُّعاءُ:

وحقيقةُ الدُّعاءِ: طلبُ العبدِ مِن اللَّهِ العنايةَ والمعونةَ[٣]، والدُّعاءُ مِن أهمِّ مَقاماتِ العبوديَّةِ[٤]، وهو يُورِثُ القُربَ مِن اللَّهِ تعالى، ويَعتبرُه العلماءُ أفضلَ أنواعِ العباداتِ، لِما تُشيرُ إليه الآيةُ

---

(١) أخرَجه أبو داود (١٣٩٠) والتِّرمذيُّ (٢٩٤٩) والنَّسائيُّ في «السُّنن الكبرى» (٨٠١٣) وابنُ ماجه (١٣٤٧) من حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو رضي الله عنهما، وقال التِّرمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ». وانظر: «شرح السُّنَّة» للبَغويِّ: ٤/ ٤٩٨.

(٢) أخرَجه البخاريُّ (٥٠٥٤) ومسلمٌ (١١٥٩) من حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو رضي الله عنهما، وانظر: «نظام الإسلام» لمحمَّد المبارك: ١٧٤.

(٣) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للرَّاغب: ٣١٥، و«الكُلِّيَّات» لأبي البقاء الكفوي: ٤٤٦.

(٤) راجِعْ -إن شئتَ-: «كتاب الدُّعاء» للمَحامِليِّ، و«كتاب الدُّعاء» للطَّبرانيِّ.

www.alimamaltayeb.com

الكريمةُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] مِن تَحقُّقِ قُربِ اللَّهِ تعالى مِن العبدِ إذا تَوجَّهَ إليه بالدُّعاءِ(١).

ولَمْ يَقتصِرِ القرآنُ الكريمُ في فَضلِ الدُّعاءِ على ما ورَدَ في الآيةِ السَّابقةِ، بل بَيَّنَ في مَوضِعٍ آخَرَ أنَّ اللَّهَ تعالى يَغضَبُ إذا لم يُسألْ:

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

وفي آيةٍ أُخرى نَقرأُ قولَه تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] .

حيثُ تَتضمَّنُ هذه الآيةُ الكريمةُ أمرًا مِن اللَّهِ بدُعائِه، ووَعدًا مِنه تعالى بإجابةِ الدَّاعي، وتَضمَّنَت تَسميةً للدُّعاءِ بالعبادةِ، فهو سبحانه ﴿سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾، وهو: ﴿قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾، وهو: ﴿ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾.

ولم يُشترَط في استجابةِ الدَّاعي -في هذه الآيةِ- أيُّ شرطٍ إلَّا تَحقُّقَ الدُّعاءِ والتَّوجُّهَ به إليه لا إلى غيرِه، ومِن الآياتِ الَّتي تتضمَّنُ

(١) راجع: «تفسير القرآن» لأبي المظفَّر السَّمعانيِّ: ١/ ١٨٥، و«مفاتيح الغيب» للفخر الرَّازيِّ: ٥/ ١٠٦.

www.alimamaltayeb.com

أمرًا صريحًا بالدُّعاءِ قولُه تعالى:

- ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

- ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

- ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ومِن أَدبِ الدُّعاءِ:

- أنْ يَدعُوَ المرءُ بالمأثورِ مِن دُعائِه ﷺ(١).
- وأن يَستجمِعَ فِكرَه وشُعورَه وهو يَدعو ربَّه.
- وأن يَمزُجَ دُعاءَه بالتَّذَلُّلِ والتَّضرُّعِ إلى اللَّهِ تعالى.
- وأن يكونَ على طهارةٍ.
- وألَّا يَدعُوَ بأمرٍ مُستحيلٍ(٢).

٤- الصَّلاةُ:

ومعناها في اللُّغةِ: الدُّعاءُ(٣)، قالَ تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ

(١) راجع في ذلك: كتاب «الكلم الطيب» لابن تيميَّةَ (ط. دار الفكر اللبناني - بيروت: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، وشرحَه لتلميذِه ابنِ قيِّم الجوزيَّةِ بعنوان: «الوابل الصَّيِّب من الكَلِم الطَّيِّب» (ط. مجمع الفقه - جدَّة: ١٤٢٥هـ).

(٢) انظر: «الدُّعاء بالمأثور وآدابه» لأبي بكر الطُّرطُوشي.

(٣) انظر: «المخصَّص» لابن سِيدَه: ٤/ ٥٥.

www.alimamaltayeb.com

صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وتَعني الصَّلاةُ في الشَّرعِ: «الهيئةُ المعلومةُ المُفتتَحةُ بالتَّكبيرِ المُختتَمةُ بالتَّسليمِ، وإذا ورَدَ في نصوصِ الشَّريعةِ لفظُ «الصَّلاةِ» انصرَفَ إلى الصَّلاةِ الشَّرعيَّةِ عندَ الإطلاقِ»[١].

وقد عرَضَ القرآنُ الكريمُ في كثيرٍ مِن آياتِه لموضوعِ الصَّلاةِ مِن نَواحٍ عِدَّةٍ، فأمَرَ بإقامتِها والمُحافظةِ عليها والاستعانةِ بها، وبيَّنَ أنَّها كتابٌ موقوتٌ على المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وأوضَحَ أنَّ إقامتَها أوَّلُ عملٍ بعدَ الإيمانِ باللَّهِ تعالى، وأنَّ أثرَها في تربيةِ النُّفوسِ أثرٌ كبيرٌ لِما تَنهى عنه مِن الفحشاءِ والمُنكَرِ، كما جعَلَ الغفلةَ عنها نوعًا مِن التَّكذيبِ بالدِّين[٢].

- ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣ فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ١- ٥].

ودليلُ فرضيَّتِها قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

---

(١) «العبادات الإسلاميَّة» لبدران أبو العينين بدران: ٥٩، وانظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للرَّاغبِ: ٤٩١، و«الكليات» لأبي البقاء الكفوي: ٥٤٣.
(٢) «العبادات الإسلامية»: ٥٩.

www.alimamaltayeb.com

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

وآياتٌ أُخرى ورَدَت في مَواضِعَ عِدَّةٍ مِن القرآنِ الكريمِ(١).

ومِن الأحاديثِ الدَّالَّةِ على فرضيَّةِ الصَّلاةِ وأهميَّتِها القُصوى في الإسلامِ قولُه ﷺ: «**خَمسُ صَلَواتٍ افتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تعالى، مَن أَحسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقتِهِنَّ وأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وخُشُوعَهُنَّ؛ كان له على اللَّهِ عَهدٌ أن يَغفِرَ له، ومَن لم يَفعَلْ فَلَيسَ له على اللَّهِ عَهدٌ، إن شاءَ غَفَرَ له، وإن شاءَ عَذَّبهُ**»(٢)، وقولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وبينَ الشِّركِ والكُفرِ تَرْكُ الصَّلاةِ**»(٣).

ولا تَتوَقَّفُ الصَّلاةُ في الإسلامِ على طُقوسٍ أو شَكليَّاتٍ مِثلَما نَجِدُه في الأديانِ الأُخرى، بل تَتِمُّ الصَّلاةُ في مَظهَرٍ بسيطٍ تَسبِقُه طَهارةُ أعضاءِ الوُضوءِ، وغَسلُها بالماءِ؛ كرمزٍ للتَّطهيرِ مِن الشَّرِّ والإثمِ، وإذا لم يَتوفَّرِ الماءُ يُكتَفى بالتَّطهيرِ الرَّمزيِّ مِن تُرابِ الأرضِ الطَّاهرِ.

---

(١) انظر: «تفصيل آيات القرآن» Jules La Beaume، تعريب: محمَّد فؤاد عبد الباقي: ٤٨٥، وما بعدها.

(٢) أخرَجه أبو داود (٤٢٥) والنَّسائيُّ (٤٦١) وابنُ ماجه (١٤٠١) من حديثِ عُبادةَ بنِ الصَّامتِ ﵁.

(٣) أخرَجه مسلمٌ (٨٢) من حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ﵄، وراجع: «نظام الإسلام: العقيدة والعبادة» لمحمد المبارك: ١٥٥ (ط. الشروق).

www.alimamaltayeb.com

ومِن أهمِّ ما تَتَميَّزُ به الصَّلاةُ في الإسلامِ عنِ الصَّلاةِ في الأديانِ الأُخرى:

(أ) أنَّها لا تَتوقَّفُ على مكانٍ مُعيَّنٍ؛ فأيُّ مكانٍ نظيفٍ طاهرٍ يَصلُحُ لإقامةِ فريضةِ الصَّلاةِ، وفي الحديثِ الشَّريفِ: «...**وجُعِلَتْ ليَ الأرضُ مَسجِدًا وطَهورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أَدركَتهُ الصَّلاةُ فليُصَلِّ**»(١).

ولا يُشَكِّلُ المسجدُ -كَبِناءٍ- شرطًا ضروريًّا لصحَّةِ الصَّلاةِ، وإنَّما هو مكانٌ يَتجمَّعُ فيه المسلمون لأداءِ صلاةِ الجماعةِ.

(ب) لا تَحتاجُ الصَّلاةُ في الإسلامِ إلى وسيطٍ تُؤدَّى الصَّلاةُ مِن خلالِه وبواسطتِه، بل يَستطيعُ المسلمُ -أيُّ مسلمٍ- أن يُصَلِّيَ مُنفرِدًا، وأن يَؤُمَّ المسلمين في الصَّلاةِ، ولا يُشترَطُ فيه إلَّا أن يكونَ على إلمامٍ يسيرٍ بقواعدِ الصَّلاةِ ومعرفةِ أحكامِها(٢)؛ فليسَ في الإسلامِ وسيطٌ بين اللَّهِ وبين العبدِ، كما هو الحالُ في بعضِ الأديانِ الأُخرى.

(ج) ليس للصَّلاةِ في الإسلامِ طُقوسٌ أو شكليَّاتٌ لاهوتيَّةٌ معيَّنةٌ؛ كحَرْقِ البَخورِ وما إلى ذلك(٣)، ولا يُطلَبُ فيها إلَّا خشوعُ

---

(١) أخرَجه البخاريُّ (٣٣٥) ومسلمٌ (٥٢١) من حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «كتاب الصلاة» لأبي نُعيم الفضلِ بنُ دُكَينٍ: ٦٣ - ١٥٢.

(٣) انظر: «الأركان الأربعة» للنَّدْويِّ: ٦٦ - ٨٠.

www.alimamaltayeb.com

القلبِ للهِ، وهدوءُ النَّفسِ، وانصِرافُ الخاطرِ عنِ الحياةِ الدُّنيا وزُخرُفِها وضَوضائِها، والتَّذلُّلُ والخُضوعُ لعظمةِ اللَّهِ وجلالِه وجَمالِه(١).

٥- الزَّكاةُ:

وهي مِن العباداتِ الماليَّةِ، وتَعني تقديمَ يَدِ المعونةِ إلى الفقيرِ بما يُساعِدُه على سدِّ حاجتِه، وإلى المصالِحِ العامَّةِ بما يُساعِدُ على تَحقُّقِها وإنجازِها، وهي عبادةٌ مفروضةٌ على الغنيِّ فيما فضَلَ عن حاجتِه وحاجةِ أولادِه.

وتجبُ الزَّكاةُ في المالِ النَّقديِّ وقيمةِ الأعيانِ التِّجاريَّةِ، والمواشي وثِمارِ الزُّروعِ بمقاديرَ مُحدَّدةٍ بيَّنَها الفقهاءُ.. وتُؤَدَّى زكاةُ المالِ مرَّةً واحدةً كلَّ عامٍ، أمَّا الزَّرعُ فتُؤدَّى زكاتُه في كلِّ زَرعةٍ(٢).

وعبادةُ الزَّكاةِ فرضُ عَينٍ على القادرِ، وقد أجمَعَ المسلمون على وُجوبِها، واتَّفَقَ الصَّحابةُ رِضوانُ اللَّهِ عليهم على قِتالِ مانِعيها(٣).

---

(١) انظر: «نظام الإسلام» لمحمد المبارك: ١٨٠، وراجع -إن شئت-: «تعظيم قدْر الصلاة» للمروزي، و«مراصد الصِّلات في مقاصد الصَّلات» لقُطبِ الدِّين القَسطلَّانيِّ: ٢٥ - ١٠٣.

(٢) راجع: «الإسلام عقيدة وشريعة» لمحمود شلتوت: ٩٢، و«أحكام الزكاة» لأبي بكر بن الجد: ٧٧ - ١٧٢.

(٣) انظر: «الإقناع في مسائل الإجماع» لابنِ القطَّان الفاسيِّ: ٢/ ٦١٥.

www.alimamaltayeb.com

ولَيسَتِ الزَّكاةُ ضريبةً تُؤخَذُ غَصبًا، ومَن أخرَجَ زكاةَ مالِه مُكرَهًا أو مُرائِيًا أو مُكاثِرًا مُمتَنًّا فلا عبادةَ له، ولا قِيمةَ لِعَمَلِه؛ فالزَّكاةُ قُربةٌ تَعتمِدُ على حُسنِ النِّيَّةِ، ويُطلَبُ بها أوَّلًا وآخِرًا وَجهُ اللَّهِ وَحدَه، فهي قرينةُ الصَّلاةِ والتَّقوى والاستغفارِ، وهي جُزءٌ مِن الفضائلِ، ورُكنٌ من الإيمانِ(١).

وقد تدَرَّجَ تشريعُ الإسلامِ في الزَّكاةِ بين الإطلاقِ والتَّحديدِ؛ ففي أوَّلِ الأمرِ وفي المُجتَمعِ المكِّيِّ ظَلَّ القرآنُ يُشَجِّعُ المؤمنين - بأساليبَ مُتعدِّدةٍ- على الإنفاقِ في سبيلِ اللَّهِ، دون أن يُحدِّدَ لهم مِقدارًا مُعيَّنًا للإنفاقِ، أو أنواعًا مُعيَّنةً يُنفقون منها، ثُمَّ لمَّا استقرَّ الأمرُ بالمسلمين في المدينةِ المنوَّرةِ، وكوَّنوا دولةً مُحدَّدةَ الملامحِ والسِّماتِ؛ فُرِضَتِ الزَّكاةُ رُكنًا مِن أركانِ الدِّين، وعِبادةً مِن عباداتِه المخصوصةِ التي يُعاقَبُ تاركُها، وقُرِنَت بفريضةِ التَّوحيدِ وفريضةِ الصَّلاةِ، وصارَت هذه الفرائضُ الثَّلاثُ عُنوانًا للأُخُوَّةِ في الدِّين:

- ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

- ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

---

(١) «هذا ديننا» لمحمد الغزالي: ١٢٠.

www.alimamaltayeb.com

وعبادةُ الزَّكاةِ تُطهِّرُ المسلمَ مِن داءِ البُخلِ، وأمراضِ الشُّحِّ وعبادةِ الأموالِ، وتُعوِّدُه على إيثارِ محبَّةِ اللَّهِ ورِضاهُ، وتقديمِها على محبَّةِ المالِ وشهوةِ تكديسِه، وإنفاقِه على الملذَّاتِ الشَّخصيَّةِ والرَّغَباتِ الخاصَّةِ.

ولعبادةِ الزَّكاةِ أثَرٌ فعَّالٌ في تربيةِ شُعورِ العَطفِ على الفقراءِ والمُحتاجين، ومُشاركَتِهم، ودَرءِ خطرِ الفاقةِ والجُوعِ والحِرمانِ عنهم وعن أُسَرِهم، وفي هذا الشُّعورِ علاجٌ لقلوبِ الأغنياءِ مِن القسوةِ والحرصِ والشَّرَهِ، وعِلاجٌ لقلوبِ الفُقراءِ بتطهيرِها مِن شُعورِ الحقدِ والحسدِ، والتَّطلُّعِ لِما في أيدي الأغنياءِ.

ولعبادةِ الزَّكاةِ أثَرٌ لا يُستَهانُ به في مُحارَبةِ الفقرِ في المُجتمعِ، وتَخفيفِ وَيلاتِ البُؤسِ والشَّقاءِ، وفي الزَّكاةِ شُكرٌ للَّهِ تعالى على ما تفضَّلَ به مِن نِعمةِ المالِ على عبدِه، وإذا كانتِ العباداتُ البَدنيَّةُ شُكرًا للَّهِ على نِعمةِ الصِّحَّةِ والعافيةِ؛ فالعباداتُ الماليَّةُ شُكرٌ للَّهِ على نِعمةِ الغِنَى واليُسرِ.

٦- الصَّومُ:

ويَعني الصَّومُ -أو الصِّيامُ- في اللُّغةِ: الامتناعَ والكَفَّ عن الفِعلِ، سواءٌ كان الفِعلُ أكلًا أو شُربًا أو كلامًا أو مَشْيًا أو غيرَ ذلك، ثُمَّ غلَبَ استعمالُ الصَّومِ -في الشَّرعِ- في الكفِّ عن أمورٍ

www.alimamaltayeb.com

مُعيَّنةٍ مِن طُلوعِ الفجرِ إلى غُروبِ الشَّمسِ بنيَّةٍ؛ احتسابًا للَّهِ تعالى وطَلبًا للتَّحقُّقِ بوصفِ التَّقوى[1].

ودليلُ فرضِ الصَّومِ مِن القرآنِ قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومِن السُّنَّةِ قولُه ﷺ: «**بُنِيَ الإسلامُ على خَمسَةٍ**[2]: **على أن يُوَحَّدَ اللَّهُ، وإِقامِ الصَّلاةِ، وإِيتاءِ الزَّكاةِ، وصِيامِ رَمَضانَ، والحَجِّ**»[3].

وقد فُرِضَ الصَّومُ في شعبانَ مِن السَّنةِ الثَّانيةِ مِن الهجرةِ[4].

وقد كان الصَّومُ فريضةً في الأُممِ السَّابقةِ، وهو ما يُفهَمُ مِن قولِه تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

---

(١) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للرَّاغبِ الأصفهانيِّ: ٥٠٠، و«الكليات» لأبي البقاء: ٥٦٣، ٥٦٤.

(٢) هكذا في هذه الرِّوايةِ «خمسة» بالهاء، وفي رواياتٍ أخرى «خمس» وكلاهما صحيحٌ، والمرادُ بروايتِنا: خمسةُ أركانٍ، أو أشياءَ، أو نحوِ ذلك، وبروايةِ حذفِ الهاءِ: خمسُ خصالٍ، أو دعائمَ، أو قواعدَ، أو نحو ذلك. انظر: «المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج»: ١/ ١٧٨.

(٣) أخرَجه البخاريُّ (٨) ومسلمٌ (١٦) واللفظ له، من حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما.

(٤) راجع: «العبادات الإسلاميَّة» لبدران أبو العينين بدران: ١٢١.

www.alimamaltayeb.com

ولم يُعيِّن لنا القرآنُ الكريمُ الأُمَمَ الَّتي كُتِبَ عليها الصِّيامُ قبلَ الأُمَّةِ المُحمديَّةِ، و«ليس في أَسفارِ التَّوراةِ الَّتي بينَ أَيدِينا ما يَدُلُّ على فَرضِيَّةِ الصِّيامِ، وإِنَّما فيها مَدحُهُ ومَدحُ الصَّائِمِينَ. . . وأَمَّا النَّصارَى (المسيحيون) فليس في أَناجِيلِهِمُ المَعرُوفَةِ نَصٌّ في فَرِيضَةِ الصَّومِ، وإِنَّما فِيها ذِكرُهُ ومَدحُهُ واعْتِبارُهُ عِبادَةً»(١).

واليهودُ يصُومون أُسبوعًا في شهرِ «آب»(٢)؛ إحياءً لذِكرى خَرابِ أورشليم وأَخذِها، ولهم أيَّامٌ أُخرى غيرُ هذا الأسبوعِ يصومون فيها، وما في الأناجيلِ المسيحيَّةِ ممَّا يَتعلَّقُ بالصَّومِ لا يدُلُّ على فَرضِه كما سَبَقَ، غيرَ أنَّه يُطلَبُ مِن الصَّائمِ إظهارُ الكآبةِ في مُدَّةِ الصَّومِ، ويُطلَبُ منه دَهنُ رَأسِه وغَسلُ وجهِه؛ إخفاءً لآثارِ الصِّيامِ حتَّى لا يَتسرَّبَ الرِّياءُ إلى قلبِه، وأَشهرُ صومِ النَّصارى وأَقدمُه «الصَّومُ الكبيرُ الذي قَبلَ عِيدِ الفِصحِ، وهو الَّذي صامَه موسى، وكان يصومُه عيسى عليه السلام والحواريُّونَ، ثُمَّ وضَعَ رؤساءُ الكنيسةِ ضُروبًا أُخرى مِن الصِّيامِ . . . ومِنها صومٌ عنِ اللَّحمِ، وصومٌ عن السَّمكِ، وصومٌ عن البَيضِ واللَّبَنِ، وكلِّ ذي رُوحٍ»(٣).

---

(١) «تفسير المنار»: ٢/ ١١٦.

(٢) وهو الشَّهرُ الثَّامِنُ مِن شهورِ السَّنةِ الشَّمسيَّةِ، ويقابِلُهُ «أغسطس» مِن شهورِ السَّنةِ الميلاديَّةِ.

(٣) «العبادات الإسلاميَّة» لبدران أبو العينين: ١٢٢، وانظر: «الأركان =

www.alimamaltayeb.com

وتَقوى اللَّهِ تعالى هي الغايةُ مِن الصِّيامِ في الإسلامِ، ولا شكَّ أنَّ الارتباطَ باللَّهِ والاتِّصالَ بعالَمِ الطُّهرِ يقتضي التَّنزُّهَ عنِ الاسترسالِ في إشباعِ الغرائزِ المادِّيَّةِ حتَّى ولو كان إشباعُها ممَّا أحلَّه اللَّهُ تعالى؛ كالأكلِ والشُّربِ.

ومَن لم يَتدرَّب على تَركِ الشَّهَواتِ المُباحةِ لا تحصُلُ له القُدرةُ على تَركِ المُحرَّماتِ واجتنابِها، ولا تَترَبَّى إرادتُه في الكفِّ عن المعاصي، والَّذي يستجيبُ لأمرِ اللَّهِ في تَركِ الشَّهَواتِ المُباحةِ، فهو في تَركِ المُحرَّماتِ -لا شكَّ- أكثرُ استجابةً وأكثرُ سَمعًا وطاعةً.

إذًا فالصومُ بابٌ من أَبوابِ التَّقوى، أو هو المدخَلُ الصَّحيحُ للاتِّصافِ بهذا الوصفِ.

وإذا كانَتِ التَّقوى هي «الغايةَ» -الوحيدةَ- مِنَ الصِّيامِ؛ فإنَّ ثَمَّةَ مَزايا عديدةً ليسَت عِلَلًا في فريضةِ الصَّومِ، ولكنَّها فوائدُ تَحصُلُ وتَترتَّبُ عليه، مِنها:

- أنَّ الصَّومَ يُربِّي في الإنسانِ خُلُقَ «الصَّبرِ» على الطَّاعةِ، ويَمُدُّه بطاقةٍ رُوحِيَّةٍ يَتَحمَّلُ معَها المشاقَّ، سواءٌ مَشقَّةُ الحِرمانِ ممَّا أَلِفَه وتَعوَّدَ عليه، أو مَشقَّةُ «التَّكاليفِ» والعِباداتِ، ولعلَّ هذه المَيْزةَ هي

= الأربعة» للنَّدْويِّ: ١٨٦، ١٨٧.

www.alimamaltayeb.com

المقصودةُ مِن الحديثِ الشَّريفِ: «**الصَّومُ نِصفُ الصَّبرِ**»[١].

- يُذَكِّرُ الصَّومُ بالفقراءِ والمُحتاجينَ، ويُؤتي ثِمارَه في الصَّائمِ الحقيقيِّ؛ رأفةً وعطفًا على البائسين والمحرومين.

- مُعالَجةُ الصَّومِ لكثيرٍ مِن الأمراضِ التي تَنتِجُ عن الإفراطِ في الأكلِ، وفي هذا المجالِ كلامٌ كثيرٌ للأطبَّاءِ[٢]، وللطِّبِّ الحديثِ نصائحُ عديدةٌ يُشادُ فيه بالصَّومِ، وبدَورِه في القضاءِ على بعضِ الأمراضِ.

- يُحدِثُ الصَّومُ حالةً مِن الصَّفاءِ النَّفسيِّ وذكاءِ القريحةِ في الشَّخصِ المُلتَزِمِ بنظامِ الصَّومِ وآدابِه، وبالتَّوجيهاتِ النَّبويَّةِ التي صاحَبَت هذه الفريضةَ[٣].

٧- الحَجُّ:

والحَجُّ هو «العِبادةُ» المعروفةُ بين المسلمين، وقد شرَعَه في الأصلِ سيِّدُنا إبراهيمُ الخليلُ ﷺ، وكان العربُ يُمارسونَه مِن

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٣٥١٩) من طريقِ جُرَيٍّ النَّهدِيِّ، عن رجلٍ من بني سُلَيمٍ، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ».

(٢) راجع: كتاب «الصَّوم بين الطِّبِّ والفقه» لمحمد عليّ بار، الدَّار السَّعوديَّة للنَّشر والتَّوزيع (جُدَّة: ١٩٩٩م).

(٣) راجع: «الأركان الأربعة» للنَّدْويِّ: ٢٠٩ - ٢١٩.

www.alimamaltayeb.com

بَعدِه، فلمَّا جاءَ الإسلامُ أقرَّه وأمضاهُ شريعةً باقيةً إلى يومِ القيامةِ، بعد أن نقَّاهُ مِن أَوضارِ الشِّركِ.

وتَبتدِئُ مَناسكُه بالإحرامِ، وتَستمِرُّ معَ الوقوفِ بعرَفاتٍ، ثُمَّ المَشعَرِ الحرامِ، والتَّضحيَةِ بمِنًى، ورَميِ الجَمَراتِ الثَّلاثِ، وطَوافِ الإفاضةِ، والسَّعيِ بين الصَّفا والمروةِ.. وللحَجِّ أحكامٌ وقواعدُ تكفَّلَت بتفصيلِها كُتُبُ الفقهِ[1].

وعبادةُ الحَجِّ تَتجلَّى في أنَّها رِحلةٌ يَترُكُ فيها الحاجُّ أهلَه ووطنَه ومالَه وولدَه، ويَتحمَّلُ فيها مَرارةَ الفُرقةِ ومَشاقَّ السَّفَرِ ومُعاناةَ التَّنقُّلِ؛ ابتغاءَ وَجهِ اللَّهِ، وطلبًا لرحمتِه ومَرضاتِه.

كما تَتجلَّى هذه العبادةُ أيضًا في الحِرمانِ والخروجِ مِن كثيرٍ ممَّا تَعوَّدَه الإنسانُ وأَلِفَه مِن أنواعِ الملابسِ والزِّينةِ والطِّيبِ، يَدَعُ كُلَّ ذلك إلى «لباسٍ» بسيطٍ يَستُرُ به بعضَ جَسَدِه، ويَنتَظِمُ مع عامَّةِ المسلمين وخاصَّتِهم في صَعيدٍ واحدٍ، تُسوِّي بينهمُ العبوديَّةُ للَّهِ سبحانه، وتَذوبُ مِن بينِهم فوارقُ الجنسِ والمالِ والجاهِ.

ثُمَّ تَتجَلَّى عبادةُ الحَجِّ -أخيرًا- في المعنى «التَّعبُّديِّ» الَّذي

---

(١) انظر: «حجَّة الوداع» لابن حزم: ١٣٣ - ٧٨٨، و«إرشاد السالك إلى أفعال المناسك» لابن فرحون المالكيِّ: ١/ ٢١٥-٤٧٨، و«البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت اللَّه العتيق» لأبي البقاء الحنفي: ١/ ٢٨٧ وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

تَدُورُ عليه مُعظمُ مَناسِكِ الحَجِّ مِن طوافٍ، وسعيٍ، وتَقبيلٍ للحجرِ الأسودِ ووقوفٍ بعرفةَ .. إلخ؛ ممَّا يَعني الإذعانَ والخُضوعَ المُطلَقَ لأوامرِ اللَّهِ تعالى وتَوجيهاتِه، والخروجَ عن كلِّ حظٍّ مِن حُظوظِ العَقلِ والنَّفْسِ؛ فالتَّجرُّدُ «لمَعنى العِبادةِ الخالصةِ واضحٌ في الحجِّ، بالإضافةِ إلى المعنى الاجتماعيِّ الرَّائعِ؛ فهو مُؤتمَرٌ عالَمِيٌّ يجتمعُ المُشترِكون فيه على صعيدٍ واحدٍ لعبادةِ إلهٍ واحدٍ . . .»[1].

* * *

(١) «نظام الإسلام» لمحمد المبارك: ١٨٢.

www.alimamaltayeb.com

خصائص العبادة في الإسلام

١- لا تكونُ العبادةُ إلَّا للَّهِ:

إذا كانتِ العبادةُ هي نِهايةَ التَّعظيمِ وغايةَ الخُضوعِ؛ فإنَّها -مِن هذا المُنطلَقِ- لا تليقُ إلَّا باللَّهِ تعالى، ولا تُستحَقُّ إلَّا له وَحدَه:

- ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

- ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وانحِصارُ العبادةِ في تَوجُّهِها إلى اللَّهِ تعالى هو الوجهُ الآخَرُ لتَحريمِ «الشِّركِ» في الإسلامِ، واعتبارِه أعظمَ أنواعِ الظُّلمِ، وأفدحَ ضُروبِ الضَّلالِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

والذُّنوبُ -مهما عظُمَت- يُمكِنُ أن تنالَها مغفرةُ اللَّهِ وعفوُه، إلَّا «الشِّركَ»؛ فإنَّ اللَّهَ لا يغفِرُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

واللَّهُ تعالى لا يَقبَلُ مِن المُشرِكِ عملًا ولا طاعةً: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]؛ ولذلك

www.alimamaltayeb.com

منَعَ الإسلامُ أيَّ مَظهَرٍ مِن مظاهرِ عبادةِ البَشَرِ، أو أيَّ أسلوبٍ يُؤَدِّي إلى شائبةِ الالتِباسِ بين عبادةِ اللَّهِ وعبادةِ غيره.

ولكن ينبغي ألَّا نَخلِطَ بين المُصطَلَحاتِ الَّتي تَتعَلَّقُ بالعِبادةِ؛ مِثل: التَّوَكُّلِ على اللَّهِ، والدُّعاءِ وغُفرانِ الذُّنوبِ، وبين مُصطَلَحاتٍ أُخرى؛ كالمحبَّةِ والطَّاعةِ والاستجابةِ، قال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وكذلك الاستغفارُ؛ وهو طلبُ الغُفرانِ، «وكثيرًا ما يَلتبِسُ على بعضِ العَوامِّ الفَرقُ بين غفَرَ واستغفَرَ؛ فغفَرَ ويَغفِرُ لا يكونُ فاعلُه إلَّا اللَّهَ، وأمَّا الاستغفارُ فمعناهُ طلبُ المَغفِرةِ مِن اللَّهِ، وكلُّ إنسانٍ يُمكِنُ أن يَستغفِرَ اللَّهَ لِنَفسِه ولغيرِه مِن النَّاسِ . . . ويُمكِنُ أن تَطلُبَ مِن رَجُلٍ صالحٍ أن يدعُوَ اللَّهَ لك ويَستغفِرَه لك، وهذا معنى قولِه تعالى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧]، وقولِه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ . . .﴾ [النساء: ٦٤][(١)].

٢- لا يُعبَدُ اللَّهُ إلَّا بما شرَعَ:

ومِن خصائصِ العبادةِ في الإسلامِ أنَّها أمرٌ إلهيٌّ وتَعبُّديٌّ، وهي

(١) «نظام الإسلام: العقيدة والعبادة» لمحمد المبارك: ١٨٤.

www.alimamaltayeb.com

موقوفةٌ في نِظامِها وصُوَرِها وكيفيَّاتِها على الوضعِ الذي بَلَّغَه النَّبيُّ ﷺ عن ربِّه، فقد قال في شأنِ الصَّلاةِ: «. . . **وصَلُّوا كما رَأيْتُمُوني أُصَلِّي**»(١)، وقال في حجَّةِ الوداعِ: «**لِتَأخُذُوا مَناسِكَكُم؛ فإنِّي لا أَدرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعدَ حَجَّتي هذهِ**»(٢)، كما حذَّرَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مِن التَّغييرِ والابتداعِ بالزِّيادةِ أوِ النُّقصانِ في أمرِ العبادةِ فقالَ: «**مَن أَحدَثَ في أَمرِنا هذا ما لَيسَ مِنهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(٣).

وإذًا فالابتداعُ في العِبادةِ بأيِّ صورةٍ مِن صُوَرِه ممنوعٌ في الإسلامِ ومذمومٌ؛ لِما يَترتَّبُ عليه -معَ مُرورِ الزَّمنِ- مِن اختلافِ أنظمةِ العِبادةِ بين المسلمين، ثُمَّ اختلافِ المسلمين على أنفسِهم؛ ومِن هنا كَرِهَ بعضُ الفقهاءِ فِعلَ بعضِ الأمورِ الحسنةِ بصُورةٍ مُطَّرِدةٍ ومُستمِرَّةٍ؛ كمُتابعةِ صِيامِ ستٍّ مِن شوَّالٍ، واتِّصالِها برمضانَ بعدَ يومِ العيدِ؛ وذلك حتَّى لا يُظَنَّ مع مُضِيِّ الوقتِ أنَّها فرضٌ وأنَّها جزءٌ مِن رمضان، وكذلك المُداومةُ على قراءةِ «سورةِ السَّجدةِ» في فجرِ يومِ الجُمُعةِ لِنَفسِ السَّببِ.

وإذا كانتِ العبادةُ توقيفيَّةً؛ فهي إذًا ليسَت مُعلَّلةً بعِلَلٍ أو بأغراضٍ مُحَدَّدةٍ؛ «فلا يُعلَّلُ الوُضوءُ بأنَّه مِن أجلِ النَّظافةِ، ولا الصَّلاةُ بأنَّها

---

(١) أخرَجه البخاريُّ (٦٣١) من حديثِ مالكِ بنِ الحُوَيرِثِ رضي الله عنه.

(٢) أخرَجه مسلمٌ (١٢٩٧) من حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما.

(٣) أخرَجه البخاريُّ (٢٦٩٧) ومسلمٌ (١٧١٨) من حديثِ أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها.

www.alimamaltayeb.com

رياضةٌ جِسميَّةٌ، ولا يُعلَّلُ الصَّومُ بفوائدِه الصِّحِّيَّةِ، فهذه الفوائدُ كلُّها -وإن كانت حاصلةً- ليست هي العِلَّةَ في تشريعِ العبادةِ . . . وإنَّما قيامُنا بالعبادةِ ائتمارٌ بأمرِ اللَّهِ، وخُضوعٌ له، وتَنفيذٌ لأمرِه؛ إشعارًا بعبوديَّتِنا له؛ فهو الحاكمُ الآمِرُ»[1].

٣- لا واسطةَ في العِبادةِ:

لا يوجدُ في الإسلامِ نِظامُ كَهَنوتٍ، وهو الطَّبقةُ المعروفةُ في تاريخِ الحضاراتِ، والَّتي تَزعُمُ لنفسِها حقَّ الوَساطةِ بين اللَّهِ وبين الإنسانِ في نظامِ العِبادةِ، وليس في الإسلامِ رِجالُ دِينٍ بالمعنى الذي تَعرِفُه الأديانُ الأُخرى، وإنَّما يَعرِفُ الإسلامُ العلماءَ والفقهاءَ، وهي طبقةٌ تَكتسِبُ مكانتَها واحترامَها مِن انتمائِها إلى «العِلمِ»، والإسلامُ يَعرِفُ قيمةَ العلماءِ، ويَقْدُرُهم قَدْرَهم، ولكن لا يُضفي عليهم أيَّ مَعنًى مِن مَعاني القَداسةِ، ولا يجعَلُ منهم طبقةً خاصَّةً تتمتَّعُ بسُلُطاتٍ رُوحِيَّةٍ أو إلهيَّةٍ، بل ينظُرُ إليهم في إطارِ العِلمِ والتَّعليمِ لأحكامِ الشَّريعةِ، وهم خاضعون لِما يخضَعُ له عامَّةُ النَّاسِ مِن مقاييسِ الصَّوابِ والخطأِ في الرَّأيِ وفي الاجتهادِ.

بل إنَّ وظيفةَ الأنبياءِ والرُّسُلِ في الإسلامِ هي -أيضًا- وظيفةُ تبليغِ النَّاسِ وتعليمِهم ما أَوحاهُ اللَّهُ إليهم، وأمَرَهم بتبليغِه مِن

(١) «نظام الإسلام» لمحمد المبارك: ١٨٧، ١٨٨.

www.alimamaltayeb.com

الشَّرائعِ؛ ولم يُعرَف عنهم أنَّهم كانوا يَحتفِظون لأنفُسِهم بأدوارٍ خاصَّةٍ يقومون مِن خلالِها بِمَهمَّةِ الوَساطةِ أوِ التَّوسُّطِ بين العبدِ وربِّه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وفي إطارِ هذه النَّظرةِ يتوَجَّهُ المسلمُ بعبادتِه إلى ربِّه مباشرةً، دون أن يتوَسَّطَ بينه وبين اللَّهِ وسيطٌ مِن البَشَرِ، مهما بلَغَت دَرَجةُ هذا الوسيطِ ومكانتُه في درَجاتِ التَّقوى والطَّاعةِ والقُربِ مِن اللَّهِ تعالى.

٤- العِبرةُ في العبادةِ بالقَصدِ والنِّيَّةِ الباطنةِ:

لا يَكفي مظهَرُ العبادةِ وشكلُها الخارجيُّ في تحقيقِ معنى العبادةِ، بل لا بُدَّ مِن استواءِ ظاهرِ العباداتِ معَ باطنِها(١)، وبدونِ ذلك تُصبحُ العبادةُ شَبَحًا خاليًا لا رُوحَ فيه، وصحيحٌ أنَّها لو أُدِّيَت شكلًا فسوفَ يسقُطُ ما كان واجبًا منها على المرءِ، ولكن لا تُؤتي العبادةُ ثِمارَها المرجُوَّةَ منها إلَّا إذا صدَرَت مِن قلبِ المُتعبِّدِ وباطنِه، وصاحَبَتها يَقَظتُه الدَّاخليَّةُ، وأوَّلُ وَصفٍ ذكَرَه القرآنُ الكريمُ وامتدَحَ به المؤمنين هو أنَّهم: ﴿فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، والمعنى نفْسُه أشارَ

(١) انظر: «الأُمنيَّة في إدراك النِّيَّة» للقَرافيِّ: ١٠٩ - ١٥٥.

www.alimamaltayeb.com

إليه القرآنُ الكريمُ في شأنِ الأُضحيةِ فقالَ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ﴾ [الحج: ٣٧].

وللقصدِ والنِّيَّةِ وحُضورِ القلبِ في العباداتِ الإسلاميَّةِ شأنٌ خطيرٌ، وفُقدانُها يُحيلُ العملَ إلى حركاتٍ ميتةٍ لا فائدةَ منها؛ فالصَّلاةُ، بدونِ خُشوعٍ وحُضورٍ، حرَكاتٌ جوفاءُ لا يُرجَى منها أيُّ أَثَرٍ في التَّهذيبِ أوِ التَّربيةِ، وكذلك الذِّكرُ إذا كان حرَكاتٍ لسانيَّةً بَحتةً، فإنَّه يستحيلُ إلى هَمهَمةٍ لا فائدةَ مِن ورائِها، وكذلك سائرُ أنواعِ العباداتِ والقُرُباتِ، لا تحصُلُ آثارُها المُترَتِّبةُ عليها إلَّا إذا صاحبَها القَصدُ وحُضورُ القلبِ.

٥- التَّيسيرُ ورَفعُ الحَرَجِ:

ممَّا تتميَّزُ به العبادةُ في الإسلامِ التَّيسيرُ على المُكلَّفِ ورفعُ الحَرَجِ عنه[١]، والقرآنُ الكريمُ صريحٌ في أنَّ اللَّهَ تعالى لم يُكلِّفِ النَّاسَ إلَّا بما في وُسعِهم وطاقتِهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وأنَّه يُريدُ بهمُ التَّيسيرَ والتَّخفيفَ، ويُعفِيهم ممَّا فيه عُسرٌ وحَرَجٌ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

(١) راجع: «رفع الحرج في الشَّريعة الإسلامية» ليعقوب الباحسين: ٥٩ - ٢٤٠.

www.alimamaltayeb.com

وكان مِن أَبرَزِ صفاتِ الرَّسولِ ﷺ أنَّه مَا خُيِّرَ بين أمرَينِ إلَّا أخَذَ أيسَرَهُما ما لم يكُن إثمًا(١).

وكان ﷺ يقولُ: «**إنَّ الدِّين يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ؛ فسَدِّدُوا، وقارِبُوا، وأَبشِرُوا...**»(٢).

وقد نَعَى ﷺ على المُتشدِّدين ودَعا عليهم بالهلاكِ ثلاثًا، لأنَّهم يَخرُجُونَ بالإسلامِ عن أخَصِّ أَوصافِه وصِفاتِه، ويَنحرِفون به عنِ المَنهَجِ الَّذي أرادَه اللَّهُ له، وهو اليُسرُ والتَّخفيفُ؛ عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**»، قالها ثلاثًا(٣).

ويقولُ ﷺ: «**اكْلَفُوا مِنَ الأَعمالِ ما تُطِيقُونَ**»(٤).

ومِن مَظاهِرِ تَيسيرِ العبادةِ على المسلمين: الرُّخَصُ الشَّرعيَّةُ، والبدائلُ المُتاحةُ المُناسِبةُ لاختلافِ الأحوالِ والظُّروفِ؛ فالمسافرُ له أن يُفطِرَ، وأن يَقصُرَ من الصَّلاةِ، وأن يجمَعَها، والحاملُ تُفطِرُ، والمُرضِعُ كذلك، وللعاجزِ عنِ الوُقوفِ في الصَّلاةِ أن يُصلِّيَ

(١) فيما رَوَته أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضي الله عنها، كما في «البخاريِّ» (٣٥٦٠) و«مسلمٍ» (٢٣٢٧).

(٢) أخرَجه البخاريُّ (٣٩) ومسلمٌ (٢٨١٦) من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه.

(٣) أخرَجه مسلمٌ (٢٦٧٠).

(٤) أخرَجه البخاريُّ (١٩٦٦) ومسلمٌ (١١٠٣)، من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه.

www.alimamaltayeb.com

جالسًا، ولمَن خافَ المرَضَ إنِ استعمَلَ الماءَ أن يَنتقِلَ إلى التَّيمُّمِ، ورُخَصٌ أُخرى كثيرةٌ غيرُ ذلك فصَّلَتها المذاهبُ، وبيَّنَتها كُتُبُ الفقهِ[1].

* * *

(١) انظر: «دليل المسافر» لأحمد بك الحسيني: ٧ - ٥٢.

www.alimamaltayeb.com

الفَصْلُ الثَّالِثُ

التَّشْرِيعُ

الشَّرِيعَةُ التَّشْرِيعُ

أَطْوَارُ التَّشْرِيعِ الإِسْلَامِيِّ

أُصُولُ التَّشْرِيعِ الإِسْلَامِيِّ

أُسُسُ التَّشْرِيعِ العَامَّةُ

المَقَاصِدُ العَامَّةُ لِلتَّشْرِيعِ

www.alimamaltayeb.com

الشَّرِيعَةُ التَّشْرِيعُ

الشَّريعةُ: هي النُّظُمُ الَّتي شرَعَها اللَّهُ أو شرَعَ أصولَها؛ ليأخُذَ الإنسانُ بها نفْسَه في عَلاقتِه بربِّه، وعَلاقتِه بأخيه المسلمِ، وعَلاقتِه بأخيه الإنسانِ، وعَلاقتِه بالكونِ، وعَلاقتِه بالحياةِ، ويُعبِّرُ عنها القرآنُ بـ: «العملِ الصَّالحِ»، كما يُعبِّرُ عنِ العقيدةِ بالإيمانِ.

ويَعتبِرُ القرآنُ العقيدةَ أصلًا تنبني عليه الشَّريعةُ، وقد درَجَ العلماءُ على تسميةِ العقيدةِ بالأصولِ أو أصولِ الدِّين، وتسميةِ الشَّريعةِ بالفروعِ.

والإسلامُ هو مجموعُ هذينِ الأمرينِ: العقيدةِ والشَّريعةِ، والَّذي يؤمنُ بالعقيدةِ ويُلغِي الشَّريعةَ أو يَتقيَّدُ بأوامرِ الشَّريعةِ ولكن لا يُؤمِنُ بالعقيدةِ -لا يَنطبِقُ عليه وَصفُ الإسلامِ[1].

ويَعنى التَّشريعُ: استخراجَ القوانينِ الَّتي تتضمَّنُ أحكامًا مُعيَّنةً يُعرَفُ في ضوئِها عملُ المكلَّفِ وموقفُه تجاهَ ما يَعرِضُ له من أَقضِيَةٍ وحوادثَ.. ويُسمَّى التَّشريعُ تشريعًا إلهيًّا إن كان مصدرُه هو: «اللَّهَ» سبحانه، وتشريعًا وضعيًّا إن كان مصدرُه الإنسانَ، سواءٌ كان فردًا أو جماعةً.

---

(١) «الإسلام عقيدة وشريعة» لمحمود شلتوت: ١٠، ١١.

www.alimamaltayeb.com

وفيما يتعلَّقُ بالإسلامِ فإنَّنا نجدُ فيه: التَّشريعَ الإلهيَّ؛ وهو القوانينُ الَّتي أنزلَها اللَّهُ سبحانه في القرآنِ الكريمِ، أو أَوحاها إلى رسولِه ﷺ، أو أقرَّه عليها.. وهذا الصِّنفُ مِن التَّشريعِ تشريعٌ إلهيٌّ محضٌ في أصولِه وفروعِه، وإلى جِوارِه نجدُ نوعًا آخَرَ مِن التَّشريعِ؛ وهو القوانينُ الَّتي استخرجَها مجتهدو الأمَّةِ الإسلاميَّةِ وأئمَّتُها استنباطًا مِن نصوصِ التَّشريعِ الإلهيِّ، وهذا النَّوعُ الثَّاني يُسمَّى تشريعًا وضعيًّا باعتبارِ أنَّ مَن قامَ باستنباطِه واستخراجِه بشَرٌ همُ الأئمَّةُ والمجتهدون، كما يُسمَّى تشريعًا إلهيًّا باعتبارِ أنَّ مَرجِعَ الاستنباطِ وأصولَه ومصادرَه تشريعاتٌ إلهيَّةٌ محضةٌ(١).

والتَّشريعُ الَّذي نتحدَّثُ عنه في هذا القِسمِ هو التَّشريعُ الإسلاميُّ بالمعنى الإلهيِّ والمعنى الوضعيِّ، وهو: المصادرُ أو الأصولُ الإلهيَّةُ مُضافًا إليها ما استخرجَه المجتهدون مِن علماء الفقهِ اعتمادًا على هذه المصادرِ والأصولِ.

***

---

(١) راجع: «خُلاصة تاريخ التَّشريع الإسلامي» لعبد الوهَّاب خلاف: ٧، وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

أطوار التشريع الإسلامي

هذا التَّشريعُ الَّذي حدَّدنا معناه في الفِقرةِ السَّابقةِ مرَّ في نشأتِه وتدرُّجِه بأربعةِ عُهودٍ:

١- عهدُ النَّبيِّ ﷺ:

وهو العهدُ الَّذي امتَدَّ مع حياةِ النَّبيِّ ﷺ منذُ بِعثتِه إلى أن لَحِقَ بالرَّفيقِ الأعلى، وتبلُغُ هذه الفترةُ اثنتَينِ وعشرين سنةً وبضعةَ أَشهُرٍ، هي مُدَّةُ حياتِه ﷺ بعد بَعثَتِه، وكانت حجَّةُ الوداعِ في أُخرَياتِ هذه الفترةِ، وفيها نزَلَ قولُه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولم يَنزِل بعدَها شيءٌ مِن آياتِ الأحكامِ فيما يرى كثيرٌ مِن المفسِّرين(١).

وقد مرَّ التَّشريعُ في هذا العهدِ الكريمِ بفترتَينِ متكاملتَينِ:

الفَترةِ المكِّيَّةِ: ومدَّتُها اثنتا عشْرةَ سنةً وبضعةُ أَشهُرٍ، تمتدُّ مِن بَعثَتِه ﷺ إلى هجرتِه للمدينةِ، ويتميَّزُ التَّشريعُ فيها بالتَّركيزِ على الجانبِ الاعتقاديِّ؛ ببيانِ التَّوحيدِ، وتثبيتِه في قلوبِ المؤمنين، ومحاربةِ الشِّركِ، وتوجيهِ مفاهيمِ العبادةِ والأخلاقِ وِجهَتَها الصَّحيحةَ.

---

(١) راجع: «التَّشريع الإسلامي وأثرُه في الفقه الغربي» لمحمد يوسف موسى: ٨.

www.alimamaltayeb.com

أمَّا الأحكامُ العمليَّةُ فلم تكُن مِن هموم التَّشريع وأهدافِه في هذه الفترةِ الَّتي لم يكُن للمسلمين فيها دولةٌ تقومُ على نُظُمٍ اجتماعيَّةٍ خاصَّةٍ.

الفترةِ المدنيَّةِ: ومُدَّتُها عشْرُ سَنَواتٍ تقريبًا، وتبدأُ بتاريخِ هجرتِه ﷺ، وتنتهي بتاريخِ وفاتِه، وتتميَّزُ هذه الفترةُ بنزولِ التَّشريعاتِ العمليَّةِ: الاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ والسِّياسيَّةِ، فشُرِعَت أحكامُ الزَّواجِ والطَّلاقِ والإرثِ والحدودِ، كما شُرِعَ نظامُ البيعِ والشِّراءِ والمُدايَنةِ والحدودِ، وكذلك شُرِعَت أحكامُ الجهادِ والحربِ وعَلاقةِ المسلمين بغيرِ المسلمين ممَّن يُقيمون في المدينةِ أو في خارجِها.

وجُملةُ القَولِ: إنَّ تأسيسَ المسلمين لدَولتِهم في المدينةِ وتحديدَ نُظُمِها وقوانينِها إنَّما جاء استجابةً للتَّشريعِ الإلهيِّ والوحيِ الَّذي بلَّغَه النَّبيُّ ﷺ للمسلمين، وزادَه بيانًا وتوضيحًا وتعريفًا في أقوالِه وأفعالِه وتقريراتِه.

وقدِ استقلَّ النَّبيُّ ﷺ بالتَّشريعِ في هذا العهدِ تبليغًا وتوضيحًا؛ إذ لا يَصِحُّ لأحدٍ مِن المسلمين أن يُمارِسَ عمليَّةَ التَّشريعِ مع وُجودِه ﷺ وإمكانِ الرُّجوعِ إليه وسؤالِه عمَّا يَجِدُّ من أَقضِيَةٍ وأحداثٍ(١).

(١) هنالك حالاتٌ خاصَّةٌ اجتهدَ فيها بعضُ الصَّحابةِ برأيِهم بأمرِ النبيِّ ﷺ، أو لتعذُّرِ الرجوعِ إليه لبُعدِ المسافةِ، ولكنَّها حالاتٌ محدودةٌ لا تَقدَحُ في استقلالِ النَّبيِّ ﷺ بالتَّشريعِ في ذلك العهدِ، على أنَّ ما قضى به هذا =

www.alimamaltayeb.com

٢- عهدُ الصَّحابةِ:

ويبدأُ بوفاتِه ﷺ سنةَ إحدى عشْرةَ مِن الهجرةِ، وينتهي بنهايةِ القرنِ الأوَّلِ الهجريِّ، ويعتمدُ التَّشريعُ في هذه الفترةِ على تفسيراتِ كِبارِ الصَّحابةِ واجتهاداتِهم في المسائلِ الَّتي تحدُثُ ولا يَجِدُون فيها نصًّا مِن القرآنِ أو السُّنَّةِ النَّبويَّةِ.

ولكبارِ الصَّحابةِ في هذا العهدِ آراءٌ وفتاوَى تُعتَبرُ مصدرًا رئيسًا في تفسيرِ نصوصِ الأحكامِ مِن القرآنِ والسُّنَّةِ النَّبويَّةِ واجتهادِ الصَّحابةِ.

ويأتي في مُقدِّمةِ مُجتهدي الصَّحابةِ: الخلفاءُ الأربعةُ الرَّاشدون، ثمَّ زيدُ بنُ ثابتٍ بالمدينةِ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عبَّاسٍ بمكَّةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ بالعراقِ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ بمِصرَ[1].

٣- عهدُ التَّدوينِ والاجتهادِ:

وهو أطولُ عُهودِ التَّشريعِ زمنًا، وقدِ استمرَّ ما يقرُبُ مِن قرنَينِ ونصفِ قرنٍ مِن الزَّمانِ، وبدَأَ مع أوائلِ القرنِ الثَّاني الهجريِّ،

= البعضُ لا يكونُ تشريعًا مُلزِمًا للمسلمين إلَّا إذا أقرَّه الرَّسولُ ﷺ. راجع: «خُلاصة تاريخ التَّشريع الإسلامي» لعبد الوهَّاب خلاف: ١٣.

(١) م.ن: ٣٣.

www.alimamaltayeb.com

وانتهى في مُنتصَفِ القرنِ الرَّابعِ، وهو القرنُ الَّذي قُفِلَ فيه بابُ الاجتهادِ.

ويتميَّزُ هذا العهدُ بنشاطِ حركةِ التَّدوينِ والكتابةِ؛ فقد دُوِّنَت فيه السُّنَّةُ النَّبويَّةُ واجتهاداتُ الصَّحابةِ والتَّابعِينَ، ودُوِّنَ فيه عِلمُ الفقهِ وعِلمُ أصولِ الفِقهِ، كما ظهَرَت فيه مذاهبُ الفقهِ الكبرى المعروفةُ وهي:

مذهبُ الإمامِ أبي حنيفةَ النُّعمانِ (٨٠ - ١٥٠هـ)، ومذهبُ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ إمامِ أهلِ المدينةِ (٩٣ - ١٧٩هـ)، ومذهبُ الإمامِ الشَّافعيِّ (١٥٠ - ٢٠٤هـ)، ومذهبُ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ (١٦٤ - ٢٤١هـ).

وكذلك تميَّزَ هذا العهدُ بحُرِّيَّةِ الاجتهادِ في استنباطِ الأحكامِ، وذلك إذا كان الفقيهُ أو المفتي أهلًا للاجتهادِ ومُستَوفِيًا لشُروطِه؛ «ولهذا تعدَّدَتِ الأحكامُ في الحادثةِ الواحدةِ؛ فالمجتهدُ يَعمَلُ بحَسَبِ ما أدَّاهُ إليه اجتهادُه، وغيرُ المجتهدِ يَعمَلُ بحَسَبِ ما يَتلقَّى مِن العلماءِ، وقد كان لهذا أثرٌ عظيمٌ في نُمُوِّ الفقهِ وازدهارِه وتضخُّمِه»[1].

أمَّا مصادرُ التَّشريعِ في ذلك العهدِ فهي: القرآنُ والسُّنَّةُ

---

(١) «الشَّريعة الإسلاميَّة» لبدران أبو العينين: ١٢٧.

www.alimamaltayeb.com

والإجماعُ والاجتهادُ، سواءٌ كان اجتهادًا بطريقِ القياسِ أو اجتهادًا بأيِّ طريقٍ مِن طُرُقِ الاستنباطِ الأخرى[١].

٤- عهدُ التَّقليدِ:

وهو العهدُ الَّذي ضَعُفَت فيه رُوحُ الاجتهادِ عند العلماءِ، وافتَقَدُوا فيه القدرةَ على التَّعامُلِ المباشرِ مع المصادرِ الأصليَّةِ للشَّريعةِ الإسلاميَّةِ واكتَفَوا بالنَّقلِ وترديدِ اجتهاداتِ أئمَّةِ العهدِ الماضي.

وقدِ انحَصَرَتِ اهتماماتُ العلماءِ في ذلك العهدِ في الانتصارِ لمذهبٍ مِنَ المذاهبِ الأربعةِ السَّابقةِ، والإشادةِ بإمامِه وبأعيانِه، كما تصدَّى للفتوى كثيرٌ ممَّن لا يُحسِنُونَها ولا يُتقِنُون أدواتِها؛ فظَهَرَت فَتاوَى متناقضةٌ ومُتعارِضةٌ في المسألةِ الواحدةِ، ممَّا أَوقَعَ المُستفتِينَ في حَيرةٍ لم يَعرِفوا معَها وجهَ الحقِّ فيما يُريدون معرفتَه، وهنا «رأى أهلُ العِلمِ والبصرِ بالتَّشريعِ -في أواخرِ القرنِ الرَّابعِ- أن يَسُدُّوا بابَ الاجتهادِ، وأن يجعَلُوا القُضاةَ والمُفتِينَ مُقيَّدِينَ بأقوالِ الأئمَّةِ الأربعةِ المعروفِينَ الَّذين أَجمَعَتِ الأُمَّةُ على الرِّضا بهم»[٢].

* * *

(١) «خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي» لعبد الوهاب خلاف: ٦٥.

(٢) «التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي» لمحمد يوسف موسى: ٢٠، وانظر أيضًا: «مقدِّمة ابن خَلدُون»: ٣/ ١٠٥١.

www.alimamaltayeb.com

أُصُولُ التَّشْرِيعِ الإِسْلَامِيِّ

سبَقَ أن بيَّنَّا أنَّ التَّشريعَ الإسلاميَّ يُطلَقُ على: القوانينِ الإلهيَّةِ الَّتي جاء بها القرآنُ والسُّنَّةُ، كما يُطلَقُ على اجتهاداتِ الفقهاءِ واستنباطاتِهم لأحكامٍ جديدةٍ لم تكُن موجودةً في المصدرَينِ السابقَينِ، ونُبيِّنُ هنا أنَّ الأصولَ الَّتي كان يعتمدُ عليها علماءُ الشَّريعةِ في استنباطاتِهم واجتهاداتِهم في المقامِ الأوَّلِ هي: القرآنُ والسُّنَّةُ والإجماعُ والقياسُ:

١- القرآنُ[١]:

هو: «كلامُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، المُنزلُ على خاتمِ أنبيائِه محمَّدٍ ﷺ بلفظِه ومعناهُ، المنقولُ بالتَّواترِ المفيدِ للقطعِ واليقينِ، المكتوبُ في المصاحفِ من أوَّلِ سورةِ الفاتحةِ إلى آخرِ سورةِ النَّاسِ»[٢].

---

(١) يراجع في تعريفِ القرآنِ والكلامِ على حجِّيَّته: «القواطع» للسَّمعانيِّ: ١/ ٢٩، و«المستصفى» للغزاليِّ: ١/ ١٩٠، ١٩١، و«البحر المحيط» للزَّركشيِّ: ١/ ٤٤١، و«شرح الكوكب المنير» لابنِ النَّجَّارِ: ٢/ ٧ وما بعدها، و«مناهل العِرفان» للزُّرقانيِّ: ١/ ١٥-٢٠، و«أصول التَّشريع الإسلاميِّ» لعليِّ حسب اللَّه: ٢٥.

(٢) «المدخل لدراسة القرآن الكريم» لمحمَّد محمَّد أبو شَهبة: ٦.

www.alimamaltayeb.com

والقرآنُ الكريمُ هو أساسُ الشَّريعةِ، وأصلُ الأصولِ في التَّشريعِ، ولا خلافَ بين المسلمين في أنَّه حُجَّةٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، وقدِ اشتمَلَ على مُعظَمِ أحكامِ الشَّريعةِ، وهي مُقرَّرةٌ فيه على وجهٍ كلِّيٍّ؛ ولذلك كان لا بدَّ مِن وُجودِ «السُّنَّةِ النَّبويَّةِ» كمصدرٍ مُبيِّنٍ وشارحٍ للأدلَّةِ المُجمَلةِ في القرآنِ الكريمِ.

وكثيرٌ مِن أحكامِ الشَّريعةِ في القرآنِ جاء على نَهجِ التَّدرُّجِ تمشِّيًا مع الطَّبيعةِ الإنسانيَّةِ في استيعابِها للتَّغيُّرِ شيئًا بعدَ شيءٍ وحالًا بعدَ حالٍ، وبعضُ أحكامِ القرآنِ الكريمِ لا يَقبَلُ النَّسخَ بحالٍ مِن الأحوالِ؛ مِثلُ: وُجوبِ الإيمانِ باللَّهِ تعالى وبقيَّةِ أُصولِ العقيدةِ، ومِثلُ الأخلاقِ والآدابِ والفضائلِ؛ فكلُّ هذه مسائلُ لا تختلفُ فيها بيئةٌ عن بيئةٍ، ولا عصرٌ عن عصرٍ آخَرَ(١).

٢- السُّنَّةُ(٢):

وهي ما أُثِرَ عنِ النَّبيِّ ﷺ مِن قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، وتأتي السُّنَّةُ في المرتبةِ الثَّانيةِ بعد القرآنِ مباشرةً، ويُفرَّقُ بينها وبين القرآنِ: بأنَّ

---

(١) انظر: «التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي» لمحمد يوسف موسى: **٢٤**.

(٢) يراجع في تعريفِ السُّنَّةِ والكلامِ على حجِّيَّتِها: «قواطع الأدلَّة» للسَّمعانيِّ: ١/ ٣٠، و«المستصفى» للغزاليِّ: ١/ ٢٤٦، و«البحر المحيط» للزَّركشيِّ: ٤/ ١٦٤، و«شرح الكوكب المنير» لابنِ النَّجَّارِ: ٢/ ١٥٩ وما بعدها، و«الحديث والمحدِّثون» لمحمَّد أبو زهو: **٩** وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

القرآنَ كلامُ اللَّهِ المُنزلُ عن طريقِ الوحيِ، المُتعبَّدُ بتلاوتِه، المُعجِزُ بأسلوبِه، المحفوظُ مِن الخطأِ والنِّسيانِ.

والسُّنَّةُ: هي كلامُ النَّبيِّ ﷺ، وليس لها صفةُ الإعجازِ، برَغمِ أنَّها في قِمَّةِ البلاغةِ والفصاحةِ، ولا يُتعبَّدُ بلفظِها أو بتلاوتِها، ومَعنَى التَّعَبُّدِ بِلفظِ القُرآنِ وتِلاوَتِهِ: أَنه يحصُلُ لِقارِئِهِ ثوابٌ مثلما يحصُلُ للمُصلِّي أو الصَّائِمِ أو الحاجِّ أو المُزكِّي، كما أَنه يُتَعَبَّدُ بِهِ في فرضِ الصَّلاةِ التي لا تَصِحُّ ولا تَتِمُّ إلا بِتلاوَةِ ما تَيَسَّرَ من سورِهِ وآياتِهِ، أمَّا السُّنَّةُ فليست كذلك، لا من حيثُ ثوابُ التِّلاوةِ، ولا من حيثُ كونُ تلاوتها فرضًا لا تتمُّ الصَّلاةُ إلا بِهِ، وهناكَ فرقٌ آخرُ هو أَننا لا نستطيعُ الجزمَ بالحُكمِ على كلِّ ما أُثِرَ مِن الأحاديثِ؛ فمِنها ما هو مقطوعٌ به، ومنها ما ليس كذلك[1]، بخِلافِ القرآنِ الكريمِ فإنَّه مقطوعٌ بكُلِّ حرفٍ من حروفِه.

والسُّنَّةُ حجَّةٌ في التَّشريعِ بنصِّ القرآنِ الكريمِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وهي مُوضِّحةٌ للقرآنِ ومُبيِّنةٌ له، وبيانُها له:

- إمَّا بتفصيلِ حُكمٍ مُجمَلٍ في القرآنِ الكريمِ؛ كتَفصيلِ عددِ الرَّكَعاتِ في الصَّلاةِ وبيانِ مواقيتِها، وكذلك مناسكُ الحجِّ،

(١) راجع: «المدخل للتشريع الإسلامي» لمحمد فاروق النبهان: ٨٦.

www.alimamaltayeb.com

ومقاديرُ الزَّكاةِ وأَنصِبَتُها؛ فكلُّ ذلك ثابتٌ في القرآنِ بصُورةٍ إجماليَّةٍ، والسُّنَّةُ هي الَّتي بيَّنَته تفصيلًا.

- وإمَّا بتقييدِ حُكمٍ جاء مُطلَقًا في القرآنِ وقيَّدَتهُ السُّنَّةُ بقَيدٍ مِن القُيودِ؛ مِثلُ قولِه تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ﴾ [النساء: ١١]، فالوصيَّةُ هنا في الآيةِ مُطلَقةٌ، وقد قيَّدَتها السُّنَّةُ بألَّا تَزيدَ على الثُّلُثِ.

- وإمَّا بتخصيصِ حُكمٍ عامٍّ في القرآنِ؛ مِثلُ قولِه تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ [النساء: ٢٤]، فقد خصَّصَته السُّنَّةُ بقولِه ﷺ: «**يَحرُمُ مِنَ الرَّضاعِ ما يَحرُمُ مِنَ النَّسَبِ**»(١).

٣- الإجماعُ(٢):

وهو: اتِّفاقُ جُملةِ المجتهدين مِن الفقهاءِ المسلمين في عصرٍ مِن العصورِ على حُكمِ واقعةٍ مِن الوقائعِ أو مسألةٍ مِنَ المسائلِ(٣).

ويُؤخَذُ مِنَ التَّعريفِ أنَّ الإجماعَ المُعتَبَرَ حُجَّةً ومصدرًا مِن مصادرِ التَّشريعِ هو إجماعُ «المجتهدين» مِن فقهاءِ المسلمين،

(١) أخرَجه البخاريُّ (٢٦٤٥) ومسلمٌ (١٤٤٧) من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

(٢) يراجع الكلام على الإجماع وحُجِّيته في: «الرسالة» للشافعي: ٤٧١، و«الفصول في الأصول» للجَصَّاص: ٣/ ٢٥٧، و«العُدَّة في أصول الفقه» لأبي يعلى: ١/ ١٧٠، و«المستصفى» للغزالي: ١/ ٣٢٥، و«حُجِّية الإجماع» لعبد الغني عبد الخالق: ١٣.

(٣) «التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي» لمحمد يوسف موسى: ٢٦.

www.alimamaltayeb.com

لا إجماعُ العامَّةِ ولا غير المتخصِّصينَ في علومِ الشَّريعَةِ حتَّى لو بلَغَ هؤلاءِ أعلَى دَرَجاتِ العلومِ والفُنونِ والثَّقافاتِ البعيدةِ عن عُلومِ الدِّينِ؛ لأنَّ إجماعَهم حينئذٍ يفتقِدُ شُروطَ الإجماعِ الشَّرعيِّ: العلميَّةِ والمنهجيَّةِ، وعليه، لا يكونُ إجماعُ غيرِ المختصِّينَ مصدرًا مِن مصادرِ التَّشريعِ، وكذلك لو كان المُجمِعون على الحُكمِ عددًا قليلًا مِن مُجتهدي الأمَّةِ، فإنَّه لا يُعتَبرُ إجماعًا بالمعنى الَّذي يُؤهِّلُه لأن يكونَ حُجَّةً مُلزِمةً في تشريعِ الأحكامِ.

وجمهورُ العلماءِ متَّفِقونَ على أنَّ الإجماعَ مصدرٌ مِن مصادرِ التَّشريعِ، ويعتبرونه حُجَّةً شرعيَّةً يجبُ العملُ به، ويُخالِفُ في ذلك: الشِّيعةُ والخوارجُ وبعضٌ مِن المعتزلةِ(١).

هذا، ويجدُرُ الانتباه إلى أنَّ مصدرَ السُّلطَةِ التَّشريعيَّةِ في «الإجماعِ» لا يرجعُ إلى ذواتِ العُلماءِ المجمِعينَ على حُكمٍ تشريعيٍّ؛ لأنَّ أهلَ السُّنَّةِ والجماعَةِ لا يؤمنونَ بعِصمَةِ أحدٍ مِنَ الخطأِ خارِجَ دائرةِ النُّبوَّةِ المعصومَةِ بالوحيِ الإلهيِّ، كائنًا مَن كانَ، وإنَّما يستمِدُّ الإجماعُ سلطتَه وقُوَّتَه مِن مصدرٍ معصومٍ مِنَ الخطأِ، أخبرَ بأنَّ هذه الأُمَّةَ لا تجتمِعُ علَى ضلالَةٍ، ما دامَ المجتمِعُون هم عُلماءُ الأُمَّةِ ومَن يُمَثِّلُها مِن أهلِ الحَلِّ والعَقدِ.

---

(١) «أصول التشريع الإسلامي» لعلى حسب اللَّه: ١٢٠.

www.alimamaltayeb.com

وهذا المصدرُ المعصومُ هو قولُه ﷺ: «**إنَّ اللّٰهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلالَةٍ**»(١). فهذا الحديثُ، وأمثالُه كثيرٌ، هو: مصدرُ السُّلطَةِ التَّشريعيَّةِ في الأحكامِ التي تُسنِدُ ظهرَها إلى إجماعِ العُلماءِ الممَثِّلينَ للأُمَّةِ.

ونقولُ: إنَّ حُجِّيَّةَ الإجماعِ كمَصدرٍ مِن مَصادِرِ التَّشريعِ يمكِنُ تقريبُها بما هو مُتَّبَعٌ وسائِدٌ -اليومَ- في الأنظمَةِ الدِّيموقراطيَّةِ الحديثَةِ، مِنَ التَّشريعاتِ القانونيَّةِ التي لا سندَ لها إلَّا اتِّفاقُ الأغلبيَّةِ، بل إنَّ مجرَّدَ اتِّفاقِ «نِصفِ الأعضاءِ + ١»، أو الثُّلثَينِ فقط يمنَحُ أيَّ قانونٍ سُلطَةَ إدارةِ المجتمعاتِ والتَّحَكُّمِ في حياةِ النَّاسِ، بل سُلطَةَ مُصادَرَةِ حياتِهم بالسَّجنِ أو الإعدامِ، وقد يكونُ نِصفُ الأَعضاءِ الذين يُمَثِّلونَ مصدرَ التَّشريعِ وسُلطَتَه في هذا القانونِ أو ذاك - مِن عامَّةِ الشَّعبِ، وليسُوا مِنَ النُّخبَةِ أو العُلماءِ والمفكِّرينَ، وغيرُ بعيدٍ ما عاصَرناه في الأنظمَةِ الاشتراكيَّةِ التي كانَت تشترِطُ في البرلماناتِ التَّشريعيَّةِ أن يكونَ نِصفُ الأعضاءِ علَى الأَقَلِّ مِن طَبَقةِ العُمَّالِ والفَلاحينَ، ولك أن تُقارِنَ بينَ أنظمَةٍ تضعُ أمانةَ التَّشريعِ في أيدي الجماهيرِ وتُحَكِّمُهم في رِقابِ النَّاسِ، وبينَ النِّظامِ الإسلاميِّ الذي يرتَفِعُ بهيبَةِ التَّشريعِ وخطرِه في حياةِ النَّاسِ إلى طبقةٍ عاليةٍ مِن أهلِ العِلمِ والرَّأيِ والنَّظَرِ، ولك أن تُقارِنَ

---

(١) تقدم تخريجه: ٢٣.

www.alimamaltayeb.com

أيضًا بينَ النِّظامِ الذي يكتفي في إصدارِ تشريعِ القوانينِ بخمسين في المائةِ (+ ١) مِنَ الأعضاءِ ضاربًا عُرضَ الحائطِ بآراءِ النِّصفِ الآخَرِ، وبينَ التَّشريعِ الإسلاميِّ الذي يشترِطُ «إجماعَ» العُلماءِ المشَرِّعِينَ على هذا التَّشريعِ أو ذاك، فإذا خالَفَ واحِدٌ أو أكثرُ لم يكنِ الإجماعُ الناقِصُ حينئذٍ حُجَّةً شرعيَّةً مُلزِمَةً ، بل هو «رأيٌ للجمهورِ» يمكِنُ الخروجُ عليه.

٤- القياسُ[(١)]:

ممَّا هو مُقرَّرٌ عند جمهورِ فقهاءِ المسلمين: محدوديَّةُ النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ الواردةِ في الكتابِ والسُّنَّةِ، ويَعنُونَ بمَحدوديَّةِ النُّصوصِ قِلَّتَها العدديَّةَ بالمقارنةِ إلى قيمِها النَّوعيَّةِ، وكثرتَها العدديَّةَ أيضًا في مجالِ الأحكامِ المسكوتِ عنها؛ كالمسائلِ والقضايا الَّتي تحدُثُ للنَّاسِ كلَّما تقدَّمَ بهمُ الزَّمنُ وتطوَّرَت بهمُ العصورُ، وهذه المفارَقةُ بينَ محدوديَّةِ النُّصوصِ ولا نهائيَّةِ الوقائعِ لا تعنِي قطعَ العَلاقةِ بين الأحداثِ المُستجدَّةِ والنُّصوصِ الشَّرعيَّةِ الَّتي وصفناها بأنَّها محدودةٌ مِن حيث العددُ، فالإسلامُ في مَصدَرَيهِ -القرآنِ والسُّنَّةِ-

---

(١) يراجع من كلام الأصوليين عن القياس وحُجِّيته: «الرسالة» للشافعي: ٤٧٦، و«الأصول» للسِّرخَسي: ٢/ ١٤٣، و«المستصفى»: ٢/ ٢٣٥، و«المحصول» لابن العربي: ١٢٤، و«التمهيد» للكَلْوذاني: ٣/ ٣٥٨، و«نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الأصول» لعيسى مَنُّون: ١٤.

www.alimamaltayeb.com

صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، كما هو مُقرَّرٌ ومعروفٌ عند المسلمين كافَّةً بلا استثناءٍ، بل تَعنِي هذه المفارقةُ تغطيةَ النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ للمسائلِ المُستحدَثةِ وإنزالَها عليها بنوعٍ مِن الاجتهادِ يعتمِدُ أوَّلَ ما يعتمِدُ على «القياسِ»، فإذا ما لجأَ المجتهِدُ إلى تنظيرِ مسألةٍ جديدةٍ مِنَ المعاملاتِ لم تكُن معروفةً في عهودِ التَّشريعِ الأُولى، واستطاعَ إلحاقَها بأصلٍ معروفٍ؛ فإنَّ هذا هو المقصودُ مِنَ «القياسِ» الَّذي يُعتَبرُ مصدرًا مِن مصادرِ التَّشريعِ، وقد عرَّفَه علماءُ الأصولِ بأنَّه: «إلحاقُ فرعٍ بأصلٍ في حُكمِه بمُساواتِه له في عِلَّةِ هذا الحُكمِ الشَّرعيِّ»(١)، ويُمثِّلُون له بتحريمِ النَّبيذِ قياسًا على الخمرِ؛ فالنَّبيذُ هو الفرعُ المقيسُ أو الذي يرادُ قياسُه والخمرُ هو الأصلُ المَقِيسُ عليه، وحُكمُ الأصلِ -الَّذي هو الخمرُ- الحُرمةُ، والعلَّةُ في حُرمةِ الخَمرِ هي: الإسكارُ، والنَّبيذُ يُساوي الخمرَ في هذه العِلَّةِ؛ فيجِبُ أن يَنسَحِبَ عليه حُكمُها وهو الحُرمةُ، ويُمثِّلُون له أيضًا بكراهةِ كلِّ أنواعِ المُعامَلاتِ في وقتِ أذانِ الجُمُعةِ قياسًا على كراهةِ البيعِ المنصوصِ عليه في القرآنِ الكريمِ.

والقياسُ كأصلٍ مِن أصولِ التَّشريعِ ليس محَلَّ اتِّفاقٍ أو إجماعٍ بين الفقهاءِ كافَّةً؛ فالشِّيعةُ والظَّاهريَّةُ يُنكِرُونه، ولا يَحتجُّون به،

(١) «التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي» لمحمد يوسف موسى: ٢٨.

www.alimamaltayeb.com

ولا يعترفون به مصدرًا مِن مصادرِ التَّشريعِ، أمَّا جُمهورُ الأمَّةِ فيَحتجُّون به، ويَعُدُّونه المصدرَ التَّشريعيَّ الرَّابعَ بعدَ القرآنِ والسُّنَّةِ والإجماعِ[1].

* * *

(١) راجع هذا الموضوع بتوسُّع في: «أعلام الموقعين» لابن القيم: ١/ ١٥٥ وما بعدها.

هذا وتوجد مصادرُ أخرى أو أدلةٌ غيرُ المصادرِ الأربعةِ السابقةِ، لكنها لم تكُن موضعَ اتِّفاقٍ بين جمهورِ الفقهاءِ، بل اشتهَرَ الخلافُ فيها بين المذاهبِ الفِقهيَّة، مِثلُ: «الاستحسانِ»، و«المصالحِ المرسَلةِ»، و«سدِّ الذَّرائعِ»، و«الاستصحاب». راجع تفصيلاتِ الخلافِ حول هذه المصادرِ، ومدى حُجِّيَّتِها، في: «مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه» للشيخ عبد الوهاب خلاف: ١٠٥ وما بعدها، و«أصول الفقه الإسلامي» للأستاذ محمد مصطفى شلبي: ٢٥٥ وما بعدها، و«أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء» لمصطفى الخن: (رسالة عالِمية بالأزهر)، و«أثر الأدلة المختلف فيها في اختلاف الفقهاء» لمصطفى البغا: ٢٥ وما بعدها (رسالة عالِمية بالأزهر)، و«ضوابط المصلحة في الشَّريعة الإسلاميَّة» لمحمد سعيد رمضان البوطي: ٣٢٧ وما بعدها (رسالة عالِمية بالأزهر).

www.alimamaltayeb.com

أُسُسُ التَّشرِيعِ العَامَّةُ

وإذا كنَّا قد أشَرنا في الفِقرةِ السَّابقةِ إلى خاصِّيَّةِ التَّشريعِ؛ وهي: صلاحيتُه لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، فإنَّنا نُضيفُ هنا أنَّ الوجهَ الآخرَ لهذه الخاصة هو: أن تَجيءَ شرائعُ الإسلامِ ميسورةً للنَّاسِ جميعًا، ومحقِّقةً لمصالِحهم، على اختلافِ أجناسِهم وأزمانِهم وأوطانِهم، وهذا ما تميَّزَ به التَّشريعُ الإسلاميُّ فِعلًا وقامَ عليه مِن أُسُسٍ عامَّةٍ، راعَت ضَروراتِ الحياةِ ومتطلباتَها.. مِن هذه الأُسسِ:

١- رَفعُ الحرَجِ والمشقَّةِ:

ورَفعُ الحرَجِ والمشقَّةِ هو أوَّلُ أساسٍ يقومُ عليه التَّشريعُ الإسلاميُّ، وهو عنصرٌ سائدٌ في كلِّ أحكامِه التَّشريعيَّةِ، سواءٌ منها ما يتعلَّقُ بأحكامِ العباداتِ أو المعاملاتِ أو العقوباتِ أو غيرِها مِن أحكامِ الشَّريعةِ.. وقد أَشَرنا إلى هذا العنصرِ ونحن بصَدَدِ الحديثِ عن خصائصِ العبادةِ بما يُعفِينا عن إعادتِه هنا.. ولكن نشير هنا إلى مظهرٍ آخَرَ مِن مظاهرِ اليُسرِ في العباداتِ؛ وهو «التَّقليلُ في العباداتِ الشَّاقَّةِ»، مِثلُ رمضانَ الَّذي يُفرَضُ في العامِ مرَّةً واحدةً، والحجِّ الَّذي يُفرَضُ على المستطيعِ مرَّةً واحدةً في العُمُرِ كلِّه، والزَّكاةِ الَّتي لا تُفرَضُ إلَّا على القادرِ المالكِ لمالٍ يَفيضُ عن حاجتِه.

www.alimamaltayeb.com

ويتجلَّى أساسُ اليُسرِ في المعاملاتِ في بساطةِ العقودِ وعدمِ توقُّفِها على بعضِ الرَّسميَّاتِ والتَّعقيداتِ الَّتي وجَدناها في القانونِ الرُّومانيِّ ونجِدُها الآن في القوانينِ الحديثَةِ المعاصِرةِ، فمثلًا يكفي في الشريعةِ الإسلاميَّة، رِضا الطَّرفينِ المتعاقدَينِ لصِحَّةِ العَقدِ وإنفاذِه وبأَيَّةِ صِيغَةٍ مِنَ الصِّيغِ الدَّالَّةِ عَلَى الرِّضا.

ومِن مظاهرِ اليُسرِ في المعاملاتِ اعتمادُ كثيرٍ مِن أحكامِها على مُقتَضَياتِ العُرفِ السَّائدِ والمصلحةِ العامَّةِ، إذا كان كلٌّ منهما صحيحًا في مِيزانِ الشَّرعِ، وكذلك يسقُطُ «الحدُّ» في العقوباتِ مع أدنى شُبهةٍ يُمكِنُ أن تُشيرَ -ولو مِن بعيدٍ- إلى براءةِ المتَّهَمِ، وهنا يُطالِعُنا قولُه ﷺ في إنسانيَّةٍ لا يُعرَفُ لها مَثِيلٌ: «**ادْرَءُوا الحُدُودَ عَنِ المُسلِمِينَ مَا استَطَعتُم، فَإِن كان له مَخرَجٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ؛ فَإِنَّ الإمامَ أَن يُخطِئَ في العَفوِ خَيرٌ مِن أن يُخطِئَ في العُقُوبَةِ**»[(١)].

وممَّا يدُلُّ على مُراعاةِ اليُسرِ كأساسٍ في الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ إعفاءُ الفَردِ -في ظلِّ الإسلامِ- مِن كثيرٍ ممَّا حُرِّمَ على الأُمَمِ السَّابقةِ كاليهودِ الذين حرَّم اللَّه عليهم بعض الطيباتِ بسببِ ظُلمِ فريقٍ مِنهم وبغيهم على النَّاسِ[(٢)]:

---

(١) أخرَجه التِّرمذيُّ (١٤٢٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) «التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي» لمحمد يوسف موسى: ٤١.

www.alimamaltayeb.com

- ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

- ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

٢- رعايةُ النَّاسِ جميعًا[١]:

ومِن أُسُسِ التَّشريعِ الإسلاميِّ تحقيقُ المصالحِ المُعتَبرةِ للنَّاسِ جميعًا، مهما اختلَفَت أجناسُهم وتغايَرَت أوطانُهم، وهذه نتيجةٌ منطقيَّةٌ لعالَمِيَّةِ الإسلام -أيضًا- وشُمولِ خطابِه للنَّاسِ جميعًا، ونحن نَعرِفُ أنَّ القرآنَ الكريمَ يَعتبِرُ المسلمين على اختلافِ ألسنَتِهم وألوانِهم أمَّةً واحدةً: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وإذا كانت مصالحُ النَّاسِ -في كثيرٍ من الأحيانِ- متضاربةً ومتعارِضةً؛ فإنَّ الشَّريعةَ الإسلاميَّةَ تُقرِّرُ في مِثلِ هذه الظُّروفِ تقديمَ المصلحةِ العامَّةِ على المصلحةِ الخاصَّةِ، كما تُقرِّرُ وُجوبَ زوالِ الضَّررِ الأكبرِ بالضَّررِ الأصغرِ؛ اعتمادًا على قاعدةِ التَّشريعِ الأساسيَّةِ: «**لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ**»[٢]، وفي هذا الإطارِ تَقضي الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ:

---

(١) كَتَب الأستاذ علَّال الفاسي بحوثًا مهمة عن حقوق الإنسان في الإسلام، وذلك في كتابه: «مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة ومكارمها»: **٢٢٥**؛ فليراجع.

(٢) ينظر الكلام على هذه القاعدة بتوسع في: «الأشباه والنظائر» =

www.alimamaltayeb.com

(أ) بجوازِ نَزعِ المِلكيَّةِ مِن أجلِ المنفعةِ العامَّةِ، ووُجوبِ نفقةِ القريبِ الفقيرِ على قريبِه.

(ب) وإكراهِ المَدِينِ المُوسِرِ القادرِ على أداءِ ما عليه والوفاءِ به، ولو كان ذلك بالحبسِ.

(ج) ومنعِ الفَردِ مِن التَّصرُّفِ فيما يَملِكُ إذا ترَتَّبَ على تصرُّفِه ضررٌ بالغَيرِ.

(د) ولوليِّ الأمرِ أن يَفرِضَ ضرائبَ على النَّاسِ إذا احتاجتِ الدَّولةُ إلى ذلك.

ولتحقيقِ هذا المبدأِ جعَلَ الشَّارعُ أحكامَ المعاملاتِ تدورُ مع المصلحةِ حيثما دارَت، وأنَّ «الفِعلَ حين يكونُ مُشتمِلًا على مصلحةٍ يكونُ مشروعًا، فإذا زالت تلك المصلحةُ تغيَّرَ حُكمُه؛ فلا يكونُ مشروعًا»[1].

= لابن السبكي: ١/ ٤١، و«الأشباه والنظائر» للسيوطي: ٨٣، و«شرح القواعد الفِقهيَّة» لأحمد الزرقا: ١٦٥، و«مَعلَمة زايد للقواعد الفِقهيَّة والأصوليَّة»: ٧/ ٤٦٧.

(١) مِثلُ سَهمِ المؤلَّفةِ قلوبُهم الذي استمرَّ في عهدِه ﷺ وعهدِ أبي بكرٍ رضي الله عنه، فلمَّا وَلِيَ عمرُ رضي الله عنه أوقَفَ هذا السَّهمَ لزوالِ المصلحةِ المترتبةِ عليه بقوَّةِ الإسلامِ وكثرةِ عددِ المسلمين. راجع: «الشَّريعة الإسلاميَّة» لبدران أبو العينين: ٥٠، ٥١.

www.alimamaltayeb.com

٣- تحقيقُ العَدلِ للنَّاسِ جميعًا:

ومِن أُسُسِ التَّشريعِ في الإسلامِ تحقيقُ العدلِ ومراعاتُه والتقيُّدُ به في كلِّ أحكامِه بين النَّاسِ جميعًا، حتَّى مع الأعداءِ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة:٨]، ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

والمُتتبِّعُ لآياتِ القرآنِ الكريمِ يجدُ أنَّ كلمةَ «عدل» ومُشتقَّاتِها تكرَّرَت فيه عشرين مرَّةً تقريبًا، وأنَّ كلمةَ «ظلم» ومُشتقَّاتِها تكرَّرت نحو (٢٩٩) مرَّةً، ممَّا يدُلُّ على حِرصِ القرآنِ على مُراعاةِ «العدلِ» والتَّحذيرِ مِن جَريمَةِ الظُّلمِ في تشريعاتِه كلِّها، سواءٌ تعلَّقَت بالأحكامِ الَّتي تحكُمُ المسلمين فيما بينهم، أو الأحكامِ الَّتي تحكُمُهم في تعامُلِهم مع غيرِهم[١].

* * *

(١) راجع: المصدر السابق: ٥٦، ٥٧، وأيضًا: «التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي» لمحمد يوسف موسى: ٤٤.

www.alimamaltayeb.com

المَقَاصِدُ العَامَّةِ للتَّشْرِيعِ

أشَرنا في الفِقراتِ السَّابقةِ إلى أنَّ مُراعاةَ «المصلحةِ العامَّةِ» وتقديمَها على المصلحةِ الخاصَّةِ أحدُ الأُسُسِ الَّتي قامَ عليها التَّشريعُ الإسلاميُّ، ونُبيِّنُ هنا أنَّ الغرَضَ الأساسيَّ والمقصدَ الحقيقيَّ مِن تشريعاتِ الإسلامِ هو تحقيقُ مصالحِ الناسِ في الدُّنيا والآخرةِ.

ومصلحةُ العبادِ -دُنيويَّةً أو أُخرويَّةً- تتحقَّقُ بأمرَينِ يُكمِّلُ كلٌّ منهما الآخَرَ:

الأمرُ الأوَّلُ: تحصيلُ المنفعةِ للعبادِ.

الأمرُ الثَّاني: دَفعُ المَضرَّةِ عنهم(١).

ويتبيَّنُ مِن تتبُّعِ أحكامِ التَّشريعِ في القرآنِ والسُّنَّةِ أنَّها كلَّها تتحرَّكُ في اتِّجاهِ هذا الهدفِ، فليس في التَّشريعِ الإسلاميِّ فِعلٌ مأمورٌ به أو مأذونٌ فيه إلَّا ويترتَّبُ عليه نَفعٌ، وليس فيه فِعلٌ منهيٌّ عنه إلَّا يترتَّبُ عليه ضررٌ.

---

(١) أدار الإمامُ عزُّ الدِّين بن عبد السَّلام كتابَه «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» على تجليةِ المقصدِ الأسمَى الَّذي جاءت به الشَّريعة، وهو: تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم، فليراجع.

www.alimamaltayeb.com

غيرَ أنَّ الأفعالَ المأمورَ بها والمنهيَّ عنها لا تتساوى في تحقيقِ مصلحةِ العبادِ بدرجةٍ واحدةٍ، بل منها ما تترتَّبُ عليه مصلحةٌ ضروريَّةٌ تختلُّ حياةُ النَّاسِ بدُونِها، ومنها ما تترتَّبُ عليه مصلحةٌ مُهِمَّةٌ، ولكنَّها أقلُّ ضرورةً مِن المصلحةِ الأُولى، ومنها ما تترتَّبُ عليه مصالحُ كماليَّةٌ تتعلَّقُ بالجانبِ الحسَنِ مِن جوانبِ الحياةِ.

ويُقرِّرُ الفقهاءُ أنَّ مصالحَ العبادِ وحاجاتِهم لا تخرُجُ عن هذه الأمورِ الثَّلاثةِ الَّتي أشَرنا إليها؛ وهي الأمورُ الضَّروريَّةُ والحاجِيَّةُ والتَّحسينيَّةُ، وأنَّ الغايةَ مِن التَّشريعِ الإسلاميِّ هي حفظُ المقاصدِ الثَّلاثةِ، مرَّةً بتحقيقِها وإيجادِها، ومرَّةً بحفظِها والدِّفاعِ عنها.. ومن هذا المُنطلَقِ قسَّمَ العلماءُ مقاصدَ الشَّريعةِ إلى أقسامٍ ثلاثةٍ[1]:

- **مقاصدَ ضروريَّةٍ.**
- **مقاصدَ حاجيَّةٍ.**
- **مقاصدَ تحسينيَّةٍ.**

١- المقاصدُ الضَّروريَّةُ[2]:

هي ما تتوقَّفُ عليها حياةُ العبادِ الدِّينيَّةُ والدُّنيويَّةُ، بحيث لوِ اختلَّت أو فُقِدَت كلُّها أو بعضُها فإنَّ معيشةَ النَّاسِ وحياتَهم تَنهدِمُ بفقدِها؛

---

(١) يراجع الكلام على هذه الأقسام في: «الموافقات» للشاطبي: ٢/ ١٧، و«مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة» لمحمد الطاهر بن عاشور: ٣/ ٢٣١.

(٢) ينظر: «الموافقات» للشاطبي: ٢/ ١٧، و«مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة» لابن عاشور: ٣/ ٢٣٢- ٢٤٣.

www.alimamaltayeb.com

فلا تتحقَّقُ الحياةُ في الدُّنيا، وكذلك لا يتحَقَّقُ النَّعيمُ أو العقابُ في الآخرةِ، وهذه المقاصدُ الضَّروريَّةُ تتمثَّلُ في حفظِ أمورٍ خمسةٍ: الدِّين، والنَّفْسِ، والعقلِ، والنَّسلِ، والمالِ، وهذه المقاصدُ الضَّروريَّةُ تشتركُ في مُراعاتِها وحفظِها كلُّ الأديانِ السَّماويَّةِ السَّابقةِ؛ لخطورتِها القُصوى في ابتناءِ حياةِ النَّوعِ الإنسانيِّ وبقائِه وسعادتِه في الدُّنيا والآخرةِ.

وقد وضَعَ التَّشريعُ الإسلاميُّ هذه المقاصدَ الضَّروريَّةَ نُصْبَ عَينَيهِ، وشرَعَ لها أحكامًا عديدةً، بعضُها يتكفَّلُ بِقوامِها ووُجودِها وتحقيقِها، وبعضُها الآخَرُ يتكفَّلُ بدَفعِ المضارِّ والأخطارِ عنها؛ ممَّا يَضمَنُ بقاءَها واستمرارَها، فمَهَمَّةُ التَّشريعِ في حفظِ هذه المقاصدِ مَهَمَّةٌ مُزدَوجةٌ تقومُ على تشريعِ أحكامٍ تتولَّى إقامةَ هذه المقاصدِ، وتُحقِّقُ أركانَها، وتُثبِّتُ قواعدَها، إضافةً إلى جانبِ تشريعِ أحكامٍ أُخرَى تتولَّى الحفاظَ عليها بدفعِ الخطرِ عنها(١).

- **فالدِّين:**

(أ) شُرِعَ لتحصيلِه وبُنيانِه: وُجوبُ الإيمانِ باللَّهِ وملائكتِه وكُتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخِرِ، والنُّطقِ بالشَّهادتَينِ، والعباداتُ ونظامُها وأحكامُها.

---

(١) راجع: «أصول التشريع الإسلامي» لعلي حسب الله: **٣٣٤**، و«أصول الفقه الإسلامي» لمحمد مصطفى شلبي: ٥١١.

www.alimamaltayeb.com

(ب) وشُرِعَ للمحافظةِ عليه: وُجوبُ الجهادِ[١]، والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ، ووُجوبُ التَّصدِّي لكلِّ مَن يُفسِدُ على النَّاسِ عقيدتَهم وإيمانَهم، ودفع كلِّ ما من شأنه أن ينقض أصول الدِّين القطعيَّة[٢].

- **والنَّفسُ أو «الحياةُ»**:

شُرِعَ لاكتسابِها والتمتُّعِ بها: أحكامُ المأكلِ والمَشرَبِ والمَلبَسِ والمَسكَنِ.

وشُرِعَ لحفظِها: القِصاصُ والنَّهيُ عن إلقائها في المهالكِ، وأحكامُ الحدودِ والدِّيَةِ، والحرمانُ مِن الميراثِ، والحرمانُ مِن الوصيَّةِ.

- **والعَقلُ**:

شُرِعَ لوجُودِه وتحقُّقِه: كلُّ ما شُرِعَ لإقامةِ النَّفسِ، إضافةً إلى طلبِ العلمِ والتَّفكُّرِ والنَّظرِ.

---

(١) الملاحَظُ من السِّياقِ القرآنيِّ أنَّ كلمةَ «جِهادٍ» لا تأتي دائمًا بالمعنى العسكريِّ المسلَّحِ، بل كثيرًا ما تَرِدُ بمعانٍ أخرى، فقد يُطلَقُ «الجهادُ» ويُرادُ به الجهادُ العسكريُّ المسلَّحُ في الذَّودِ عن الأوطانِ وردِّ المعتَدينَ، وقد يُطلقُ أيضًا ويراادُ به جهادُ النَّفسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ، وقد يكون أيضًا بإنفاقِ المالِ، وباستخدام الحُجَّةِ والبُرهانِ في الدَّعوةِ إلى اللَّه، بل قد يكونُ الجهادُ بالقرآن الكريم، أي: بآياتِه وحِكَمِه ودلائلِه الحِسِّيَّةِ والعقليَّةِ. انظر رسالتَنا: «مفهوم الجهاد في الإسلام» دار المعارف بالقاهرة: ٢٠١٧م.

(٢) «مقاصد الشَّريعة» لابن عاشور: ٣/ ٢٣٦.

www.alimamaltayeb.com

وشُرِعَ للحفاظِ عليه: تحريمُ الخمرِ، وعقوبةُ شاربِها، وتحريمُ المُسكِراتِ والمُخدِّراتِ، كما شُرِعَ لهذا المقصدِ: النَّهيُ عنِ الاعتقاداتِ الفاسدةِ والخُرافاتِ.

- **والنَّسلُ**:

(أ) شُرِعَ لتحَقُّقِه واستمرارِه الزَّواجُ.

(ب) وشُرِعَ للمحافظةِ عليه: حدُّ الزِّنا، وحدُّ القذفِ، وحُرمةُ إجهاضِ المرأةِ الحاملِ.

- **والمالُ**:

(أ) شُرِعَ لتحصيلِه وإقامتِه: وُجوبُ السَّعيِ والعملِ، وأصولُ المعاملاتِ؛ مِن البَيعِ والشِّراءِ والإجارةِ وغيرِها.

وشُرِعَ للمحافظةِ عليه: تحريمُ الاعتداءِ عليه بالسَّرقةِ أو الغَصْبِ أو الرِّبا أو الاحتكارِ، كما شُرِعَ له حدُّ السَّرقةِ والحِرابةِ، وتعزيرُ الغاصبِ، والضَّمانُ والحَجْرُ على السَّفيهِ.

٢-المقاصدُ الحاجيَّةُ:

وهي الأمورُ الَّتي يحتاجُها النَّاسُ لرفعِ المشقَّةِ والحَرَجِ مِن حياتِهم، وتأتي -في أهمِّيَّتِها وضرورتِها- في المرتبةِ الثَّانيةِ بعد النَّوعِ الأوَّلِ مِن المقاصدِ، بحيث لو فُقِدَت كلُّها أو بعضُها فإنَّ حياةَ النَّاسِ لا تختلُّ وتَفسُدُ، ولكن يَلحَقُ النَّاسَ مِن فَقدِها

www.alimamaltayeb.com

واضطرابِها نوعٌ مِن الحرَجِ والمشقَّةِ، وهي ترجِعُ إلى التَّيسيرِ في التَّعامُلِ والتَّرخيصِ بما يُخفِّفُ العَنَتَ والمشقَّةَ، وإباحةِ ما لا بدَّ منه للإنسانِ(١):

(أ) **ففي العباداتِ**: شُرِعَتِ الرُّخَصُ عند المشقَّةِ؛ مِثلُ إباحةِ الفِطرِ في رمضانَ للمُسافرِ أو المريضِ، ومِثلُ قَصرِ الصَّلاةِ الرُّباعيَّةِ.

(ب) **وفي العاداتِ**: أُبيحَ الصَّيدُ ومَيتةُ البحرِ، والتَّمتُّعُ بطيِّباتِ الحياةِ إذا كانت حلالًا؛ من مأكلٍ ومشرَبٍ ومَلبَسٍ.

(ج) **وفي المعاملاتِ**: أبيحت أنواع من البيع، استثناء من أصولها المحظورةِ(٢)، كما أُبيحَ الطَّلاقُ -عندَ الحاجةِ- تخلُّصًا مِن حياةٍ زوجيَّةٍ تقومُ على التَّعَبِ والمعاناةِ.

٣- المقاصدُ التَّحسينيَّةُ(٣):

وهي الأمورُ الَّتي تتجمَّلُ بها الحياةُ وتتزينُ فتحسُنُ، وترجِعُ إلى محاسنِ العاداتِ ومكارمِ الأخلاقِ، وفقدُها لا يُلحِقُ خلَلًا بحياةِ النَّاسِ مِثل المقاصدِ الضَّروريَّةِ، ولا مشقَّةً وحرَجًا في عَيشِهم مِثل

---

(١) «أصول الفقه» لمحمد مصطفى شلبي: ٥١٥.

(٢) مثل: بيع السَّلَم، والمزارعة، وغيرها.

(٣) ينظر: «الموافقات» للشاطبي: ٢/ ٢٢، و«مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة» لابن عاشور: ٣/ ٢٤٣.

www.alimamaltayeb.com

المقاصدِ الحاجيَّةِ، وإنَّما يُلحِقُ بها نوعًا مِن الاستنكارِ والاستهجانِ مِن أصحابِ العقولِ والفِطَرِ السَّليمةِ:

(أ) **ومثالُها في العباداتِ**: الطَّهارةُ، وسَترُ العَورةِ، وأخذُ الزِّينةِ عندَ كلِّ مسجدٍ.

(ب) **وفي العاداتِ**: آدابُ الأكلِ والشُّربِ، والنَّهيُ عن الإسرافِ والتَّقتيرِ في الإنفاقِ.

(ج) **وفي المعاملاتِ**: النَّهيُ عن خِطبةِ المسلمِ على خِطبةِ أخيه، والبَيعِ على بَيعِه، والمزايدةِ عليه في البيعِ، وأمرُ الأزواجِ بأن يُمسِكوا زوجاتِهم بالمعروفِ أو يُفارقوهُنَّ بالإحسانِ.

وقد ثبَتَ بالاستقراءِ أنَّ أحكامَ الشَّريعةِ كلَّها تدورُ: إمَّا على حِفظِ الضَّروريَّاتِ الَّتي تُشكِّلُ أساسَ العُمرانِ والتَّمدُّنِ البشريِّ، والَّتي تضطربُ بدونِها حياةُ النَّاسِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وإمَّا على حِفظِ طائفةٍ مِن الأمورِ الَّتي يحتاجُها النَّاسُ ليَدفَعُوا بها مشقَّةً أو حرَجًا يُحيلُ حياتَهم إلى عَناءٍ وتَعَبٍ، وإمَّا على حِفظِ شيءٍ مِن التَّحسيناتِ الَّتي ترجعُ إلى مكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ العاداتِ[1].

ترتيبُ المقاصدِ:

تترتَّبُ المقاصدُ في أهمِّيَّتِها حسَبَ الوضعِ السَّابقِ: الضَّروريَّةُ

(١) «أصول الفقه» لمحمد مصطفى شلبي: ٥١٧.

www.alimamaltayeb.com

أوَّلًا، ثمَّ الحاجيَّةُ، ثمَّ التَّحسينيَّةُ، ويجبُ أن يُحافَظَ على الأنواعِ الثَّلاثةِ مُجتمِعةً ما لم يَحدُث بينها تعارُضٌ، فإذا كان الحفاظُ على أحدِ الأنواعِ يؤدِّي إلى الإخلالِ بواحدٍ مِن النَّوعِ الآخرِ وجَبَ تقديمُ المقصدِ الضَّروريِّ والتضحيةُ بالمقصدِ الحاجِيِّ، ولا يَصِحُّ مراعاةُ مقصدٍ حاجِيٍّ يترتَّبُ عليه إخلالٌ بمقصدٍ ضروريٍّ؛ فتناوُلُ المطعوماتِ -مَثَلًا- مقصدٌ ضروريٌّ لإقامةِ النَّفسِ، واجتنابُ النَّجاساتِ مقصدٌ تحسينيٌّ، فإذا اضطُرَّ المرءُ إلى أكلِ طعامٍ نَجِسٍ فإنَّه يجبُ التَّضحيةُ بالمقصدِ الحاجِيِّ مِن أجلِ المحافظةِ على المقصدِ الضَّروريِّ الَّذي هو حفظُ النَّفسِ، ويُباحُ الأكلُ مِن الطَّعامِ النَّجِسِ، وكذلك العلاجُ مِن الأمراضِ مقصدٌ ضروريٌّ لحفظِ النَّفسِ، وسَترُ العَورةِ مقصدٌ تحسينيٌّ، ولا يَصِحُّ مراعاتُه إذا ترتَّبَ عليه خلَلٌ بالمقصدِ الضَّروريِّ، بل يُباحُ كشفُ العورةِ -للطبيبِ مثلًا- عند الحاجةِ للعلاجِ؛ «فالضَّروريَّاتُ تُبيحُ المحظوراتِ مِن الحاجيَّاتِ، والحاجيَّاتُ تُبيحُ المحظوراتِ مِن التَّحسينيَّاتِ»[1].

* * *

---

(١) «أصولُ التَّشريع الإسلامي» لعلي حسب اللَّه: ٣٣٧.

www.alimamaltayeb.com

الفَصْلُ الرَّابِعُ

الأَخْلَاقُ في الإِسْلَامِ

مَعْنَى الخُلُق

الفَرْقُ بَيْنَ الخُلُقِ والسُّلُوك

شُرُوط الفِعْل الخُلُقِيِّ

الأَخْلَاقُ قَابِلَةٌ لِلتَّغْيِير

الحُكْمُ الخُلُقِيُّ

مَكَانَةُ الأَخْلَاقِ فِي الإِسْلَامِ

مَصْدَرُ الإِلْزَامِ الخُلُقِيِّ فِي الإِسْلَامِ

المَسْئُولِيَّةُ وَالجَزَاءُ فِي الإِسْلَامِ

خَصَائِصُ الأَخْلَاقِ فِي الإِسْلَامِ

www.alimamaltayeb.com

مَعنَى الخُلُق

الخُلُقُ: هو الطَّبعُ والسَّجيَّةُ، ويُعبِّرُ عنه فلاسفةُ الأخلاقِ المسلِمون بأنَّه «هيئةٌ» راسخةٌ ومُستقرَّةٌ في النَّفسِ، وأنَّه صورةُ الإنسانِ الباطنيَّةُ في مقابلِ: الخَلقِ الَّذي هو صورةُ الإنسانِ الظَّاهريَّةُ.. ويُستفادُ مِن حديثِ الإمامِ الغزاليِّ وغيرِه في هذا الموضوعِ أنَّ الخُلُقَ:

- هيئةٌ ثابتةٌ للنَّفسِ.

- وأنَّه القوَّةُ المحرِّكةُ للنَّفْسِ لاختيارِ أفعالِها في يُسرٍ وسهولةٍ، وبدونِ تفكيرٍ ولا رَوِيَّةٍ.

غيرَ أنَّه في نَفْسِ كلِّ إنسانٍ قُوًى عديدةٌ ووظائفُ مختلفةٌ؛ ففي النَّفْسِ قوَّةُ الإدراكِ وقوَّةُ التَّفكيرِ وقوَّةُ الخيالِ، وفيها المشاعرُ والأحاسيسُ، والغرائزُ، وكلٌّ مِن هذه القُوى تَصدُرُ عنها أفعالُها في سهولةٍ ويُسرٍ، فهل نعتبرُ كلَّ هذه القُوى خُلُقًا؟

بالطَّبعِ لا نستطيعُ أن نُسمِّيَ هذه القُوى أخلاقًا، ولكن إذا استطعنا أن نُقسِّمَ القُوى الدَّاخليَّةَ للنَّفسِ الإنسانيَّةِ إلى:

- العقلِ والمعرفةِ.

- المشاعرِ والعواطفِ.

- القصدِ والإرادةِ.

www.alimamaltayeb.com

فإنَّ الخُلُقَ يتعلَّقُ بالقِسمِ الثَّالثِ مِن هذه القُوى؛ وهو جانبُ القصدِ والإرادةِ في الإنسانِ، دون جانبِ التَّفكيرِ أو جانبِ الشُّعورِ والعاطفةِ.

والأفعالُ الإراديَّةُ عند الإنسانِ ليست كلُّها ممَّا يدخُلُ في مِيزانِ الأخلاقِ وقِيَمِها، بل يتعلَّقُ منها بمفهومِ الأخلاقِ ما كان قابلًا لوصفِه بالخيرِ أو بالشَّرِّ؛ فالتَّعريفُ الدَّقيقُ للخُلُقِ -إذن- هو أنَّه:

«عبارةٌ عن هيئةٍ في النَّفسِ راسخةٍ، عنها تصدُرُ الأفعالُ بسهولةٍ ويُسرٍ مِن غيرِ حاجةٍ إلى فكرٍ ورَوِيَّةٍ، فإن كانتِ الهيئةُ بحيث تصدُرُ عنها الأفعالُ الجميلةُ المحمودةُ -عقلًا وشرعًا- سُمِّيَت تلك الأفعالُ خُلُقًا حسَنًا، وإن كان الصَّادرُ عنها الأفعالَ القبيحةَ سُمِّيَت الهيئةُ الَّتي هي المصدرُ خُلُقًا سيِّئًا»(١).

وبعبارةٍ أَيسَرَ: الأخلاقُ قوَّةٌ ثابتةٌ في نفسِ الإنسانِ، تدفعه لأفعالٍ إراديَّةٍ: الأفعالُ الإراديَّةُ يُمكِنُ الحُكمُ عليها بأنَّها خيرٌ أو شرٌّ.

ومِن هذا التَّحديدِ لمفهومِ الأخلاقِ تخرُجُ أفعالُ الإنسانِ العقليَّةُ، وأعمالُه الإراديَّةُ العاديَّةُ الَّتي يَصِحُّ فِعلُها ويصِحُّ تركُها، يخرُجُ كُلُّ ذلك مِن دائرةِ الأخلاقِ؛ فلا يُحكَمُ عليها بأنَّها خيرٌ أو شرٌّ، ولا يُحكَمُ على صاحبِها بأنَّه أحسنَ أو أساءَ، أو أنَّه خيِّرٌ أو شرِّيرٌ.

* * *

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي: ٥/ ١٩٠، ١٩١.

الفرقُ بينَ الخُلقِ والسُّلوك

وإذا كان الخُلُقُ: هو القوَّةَ المعنويَّةَ الَّتي تدفَعُ الشَّخصَ إلى اختيارِ أفعالٍ مُعيَّنةٍ، فالسُّلوكُ: هو أسلوبُ الشَّخصِ في تصرُّفِه واتِّجاهاتِه في أعمالِه، وبهذا الاعتبارِ يكونُ السُّلوكُ مظهرًا أو معبِّرًا أو مِرآةً للخُلُقِ، وبسلوكِ الشَّخصِ نستطيعُ أن نَحكُمَ على أخلاقِه ونَصِفَه بأنَّه ذو خُلُقٍ حَسنٍ أو سيِّئٍ.

* * *

شُرُوطُ الفِعْلِ الخُلُقِيِّ

ويُشترَطُ في الفِعلِ الأخلاقيِّ الَّذي يُحكَمُ على صاحبِه بأنَّه خيِّرٌ أو شرِّيرٌ، شرطانِ:

الشَّرطُ الأوَّلُ: أن يحدُثَ الفعلُ بصورةٍ متكرِّرةٍ بحيث يُصبحُ عادةً ثابتةً في تصرفاتِ الشَّخصِ؛ إذِ الفعلُ المتكرِّرُ دليلٌ على وُجودِ نزعةٍ ثابتةٍ في إرادةِ الشَّخصِ وتوجُّهِه نحوَ اختيارِ فعلٍ مُعيَّنٍ مِن الأفعالِ، كما أنَّ الأفعالَ نادرةَ الحدوثِ لا تنهض سببًا للتَّعرُّفِ على اتِّجاهِ الشَّخصِ والكشفِ عن سريرتِه وطَويَّتِه ومَيلِه للفعلِ الحسَنِ أو القبيحِ، وبدونِ التَّكرارِ لا يكونُ الفعلُ حجَّةً في تقويمِ أخلاقِ المرءِ والحُكمِ عليها بالخيرِ أو بالشَّرِّ.

الشَّرطُ الثَّاني: أن يصدُرَ الفعلُ عنِ النَّفْسِ باختيارٍ وإرادةٍ لا يشوبُها أيُّ نوعٍ مِن أنواعِ الضُّغوطِ الخارجيَّةِ؛ كالخوفِ أو التَّهديدِ أو الإكراهِ أو الحياءِ أو الرِّياءِ، وما شابَهَها مِن المؤثِّراتِ الَّتي تَفرِضُ على الإنسانِ أحيانًا أن يتكلَّفَ أو يتصَنَّعَ أفعالًا لا تدُلُّ على حقيقةِ طَبعِه وسَجِيَّتِه، فمِثلُ هذه الأفعالِ الَّتي يُستَكرَهُ عليها الإنسانُ ليست ممَّا يُقالُ فيها: إنَّها حسنةٌ أو قبيحةٌ، وإنَّ صاحبَها برٌّ

www.alimamaltayeb.com

أو فاجرٌ؛ فالشَّرطُ الرَّئيسُ في الفِعلِ الخُلُقيِّ أن يكونَ مُنبعِثًا مِن النَّفسِ بطريقةٍ تلقائيَّةٍ، وعن إرادةٍ وحرِّيَّةٍ تامَّةٍ[١].

* * *

(١) «دراسات إسلامية» لمحمد عبد اللَّه دراز: ٨٩.

www.alimamaltayeb.com

الأَخْلَاقُ قَابِلَةٌ لِلتَّغْيِيرِ

ولكن هل يَعني قولُنا: إنَّ «الخُلُقَ» هيئةٌ راسخةٌ في النَّفْسِ أنَّ الخُلُقَ فِطريٌّ ثابتٌ في النَّفْسِ لا يَقبَلُ التَّغييرَ ولا التَّبدُّلَ بخُلُقٍ آخَرَ مُضادٍّ؟ وبتساؤلٍ آخَرَ: هل يُمكِنُ تغييرُ الأخلاقِ؟

هذا التَّساؤلُ تختلفُ حولَه إجاباتُ المفكِّرينَ؛ فمنهم مَن يرى أنَّ الخُلُقَ ثابتٌ، وأنَّ المرءَ الخيِّرَ يُولَدُ خيِّرًا، ويستمرُّ كذلك، والمرءَ الشِّرِّيرَ يُولَدُ أيضًا شرِّيرًا، ويستمرُّ كذلك، ومَثَلُهما في ذلك مَثَلُ الحَمَلِ الَّذي يُولَدُ -ويستمرُّ- وديعًا، والنَّمِرِ الَّذي يُولَدُ -ويستمرُّ- مُفترِسًا، وليس في مقدورِ عِلمِ الأخلاقِ -فيما يرى هذا الفريقُ- تغييرُ أخلاقِ الشَّخصِ، ولا استبدالُها بخُلُقٍ آخَرَ أفضَلَ أو أحسَنَ.

ومَهَمَّةُ عِلمِ الأخلاقِ -في نظرِ هذا الفريقِ- لا تَعدُو أن تكونَ مَهمَّةَ وَصفٍ لِطبائعِ النَّاسِ وعاداتِهم، تمامًا مِثلَما يَصِفُ التَّاريخُ الطَّبيعيُّ نظامَ الكائناتِ الحيَّةِ وعاداتِها في حياتِها، والإنسانُ -مِن وِجهةِ النَّظَرِ هذه- مُجبَرٌ بمقتضى فِطرتِه الخيِّرةِ أو الشِّرِّيرةِ على فِعلِ الخيرِ أو فِعلِ الشَّرِّ، وما يَشعُرُ به المرءُ مِن الحرِّيَّةِ أو إرادةِ الاختيارِ إن هو إلَّا شعورٌ زائفٌ وخداعٌ[1].

---

(١) يذهبُ إلى هذا الرَّأيِ كثيرٌ من فلاسفةِ العصرِ الحديثِ، مِثلُ: «ديفيد =

www.alimamaltayeb.com

والرَّأيُ الثَّاني يقرِّرُ قَبولَ الخُلُقِ للتَّغييرِ، ويؤكِّدُ الاستعدادَ المُزدَوَجَ في كلِّ شخصٍ لاكتسابِ الأخلاقِ الفاضلةِ أو الأخلاقِ الرَّديئةِ. . ويُعَدُّ «سُقراطُ» «Socrates» مِن أوَّلِ الدَّاعِين إلى إمكانِ تغييرِ الخُلُقِ بالعِلمِ، والعِلمُ -فيما يرى سُقراطُ- فَضيلةٌ، والجهلُ رذيلةٌ كما هو معروفٌ مِن مذهبِه في عِلمِ الأخلاقِ.

ويذهبُ فلاسفةُ الأخلاقِ في الإسلامِ إلى هذا الرَّأيِ، ويؤكِّدون بدَورِهم على قابليَّةِ الأخلاقِ للتَّهذيبِ والتَّغييرِ، ويستدلُّون على ذلك: بأنَّ تغييرَ الخُلُق لو لم يكُن مُمكِنًا لَما كان هناك مُسوِّغٌ لنزولِ الكُتُبِ السَّماويَّةِ وإرسالِ الرُّسُلِ، ولَما كان هناك معنًى للشَّرائعِ والقوانينِ، ودعَواتِ المُصلِحين والمُربِّين. . أما وقد أَرسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ للنَّاسِ مبشِّرين ومُنذِرين وأنزَلَ معهم هَديَهُ وشريعتَه إصلاحًا للنُّفوسِ وتهذيبًا لطبائعِها وسَجاياها؛ فهذا ممَّا يدحضُ القولَ باستحالةِ تغيُّرِ الخُلُقِ واستجابتِه لدواعي الخيرِ أو دواعي الشَّرِّ.

والنُّصوصُ القرآنيَّةُ الواردةُ في هذا الموضوعِ تتَّجِهُ كلُّها إلى هذا المذهبِ؛ أي: مذهبِ الاستعدادِ المُزدَوَجِ:

= هيوم «David Hume» (ت. ١٧٧٦م) و«كانت Kant» (ت. ١٨٠٤م) و«شوبنهاور Schopenhauer» (ت. ١٨٦٠م) و«ليفي بريل Levy-Bruhl» (ت.١٩٣٩م) راجع: «دراسات إسلامية» لمحمد عبد اللَّه دراز: ٩٠ وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

- ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].
- ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].
- ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].

ويستدلُّ الإمامُ الغزاليُّ على هذا المذهبِ بقولِ النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام: «**حسِّنُوا أخلاقَكم**»(١) وهذا دليلٌ -فيما يَرى- على إمكان تغييرِ الخُلُقِ، وأنَّ ذلك لو لم يكُن مُمكِنًا لَما أمَرَ به، ولوِ امتنَعَ ذلك لبَطَلَتِ الوصايا والمواعظُ والتَّرغيبُ والتَّرهيبُ، وكيف يُنكَرُ تهذيبُ الإنسانِ مع استيلاءِ عقلِه، وتغييرُ خُلُقِ البهائمِ مُمكِنٌ؟!(٢).

* * *

(١) أخرَجه مالكٌ في «الموطَّأ» (رواية سُويد الحَدَثانيِّ) (٦٤٩) عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن معاذِ بنِ جبلٍ ﷺ، قال: كانَ آخِرُ ما أوصانِي به رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ وَضَعتُ رِجلي في الغَرْزِ أنْ: أَحسِنْ خُلُقَكَ للنَّاسِ يا معاذُ بنَ جبلٍ.
ويشهَدُ للأمرِ بحُسنِ الخلقِ أحاديثُ كثيرةٌ، منها: ما أخرَجه التِّرمذيُّ (١٩٨٧) من حديث أبي ذرٍّ ﷺ، قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حيثُما كنتَ، وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تَمحُها، وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ».

(٢) «ميزان العمل» للغزالي: ٢٤٧.

الحُكمُ الخُلُقيُّ

سبَقَ أن بيَّنَّا في شروطِ الفِعلِ القابلِ للحُكمِ الخُلُقيِّ بالخيريةِ أو الشَّرِّيَّةِ صُدورَ هذا الفِعلِ عن إرادةٍ ونيَّةٍ، وأنَّ الأفعالَ المُنعكِسةَ أو المجرَّدةَ عن نوايا وإراداتٍ تَسبقُها لا تخضَعُ للحُكمِ الخُلُقيِّ، ولا تُوصَفُ بأنَّها خيرٌ أو شرٌّ، ونتساءلُ الآنَ عن الأفعالِ الَّتي تَوافَرَ فيها شرطُ الإرادةِ والنِّيَّةِ: هل يتَّجِهُ الحُكمُ الخُلُقيُّ على الفِعلِ ذاتِه بغضِّ النَّظرِ عن نِيَّةِ الفاعلِ، أو يُحكَمُ على الفعلِ باعتبارِ القَصدِ والنِّيَّةِ والإرادةِ؟

هاهنا في الإجابةِ على هذا التَّساؤلِ مدرستانِ:

مدرسةٌ ترى أنَّ الحُكمَ الخُلُقيَّ يجبُ أن يتَّجِهَ إلى نفسِ العملِ، فيُحكَمُ على الفِعلِ بأنَّه خيرٌ إذا كان الفعلُ حسنًا، ويُحكَمُ عليه بأنَّه شرٌّ إذا كان قبيحًا، مهما حسُنَت نيَّةُ فاعِلِه، والنِّيَّاتُ والمقاصدُ - في رأي هذه المدرَسةِ- أمورٌ خفيَّةٌ مستورةٌ يصعُبُ اطِّلاعُنا عليها، ومِن ثَمَّ فلا يَصِحُّ أن تكونَ مِقياسًا للحُكمِ الخُلُقيِّ[1].

---

(١) من القائلين بهذا الرأي «باسكال Pascal» (ت.١٦٦٢م) من فلاسفة العصر الحديث، انظر: «مقدِّمة في علم الأخلاق» لمحمود حمدي زقزوق: ٤٥.

www.alimamaltayeb.com

أمَّا الغالبيَّةُ العظمى من الأخلاقيِّين قديمًا وحديثًا فيذهبون إلى الرَّأيِ الآخَرِ، ويقولون: إنَّ الحُكمَ الخُلُقيَّ على الفِعلِ والفاعلِ بأنَّه خيرٌ أو شرٌّ يجبُ أن يكونَ بحسَبِ نيَّةِ الفاعلِ وقَصدِه، والغرضُ مِن الفِعلِ، أوْ نيَّةُ الفاعلِ هي الَّتي تُحدِّدُ نوعيَّتَه مِن الحُسنِ أو القُبحِ، فإن كان قصدُ الفاعلِ ونيَّتُه خيرًا كان فعلُه خيرًا، وإلَّا كان شرًّا، فلو أنَّ طبيبًا مَثَلًا أراد أن يُنقِذَ حياةَ مريضٍ في حالةٍ خَطِرةٍ، فأدَّى ذلك إلى التَّعجيلِ بموتِ المريضِ؛ فإنَّ الحُكمَ الخُلُقيَّ يصدُرُ على عملِ الطَّبيبِ باعتبارِ قصدِه ونيَّتِه فقط دون النَّظَرِ إلى تلك النَّتيجةِ المُحزِنةِ[١].

وموقفُ الإسلامِ يُرجِّحُ هذا الرَّأيَ ويَمِيلُ إليه، وذلك لِما للنِّيَّةِ مِن دَورٍ خطيرٍ في تقويمِ العملِ واتِّصافِه بوصفِ الحُسنِ أو القُبحِ، فقد يشتركُ فِعلانِ في هيئةٍ واحدةٍ ونتيجةٍ واحدةٍ، ولكن يُفرِّقُ بينهما اختلافُ النِّيَّاتِ، فيُوصَفُ أحدُهما بالحُسنِ والآخَرُ بالقُبحِ، وذلك فيما لو رأينا - مَثَلًا- شخصًا يضربُ طفلًا يتيمًا لتأديبِه وشخصًا آخَرَ يضربُه لإيذائِه، فالحُكمُ على الفِعلَينِ حُكمٌ مُختلِفٌ رغمَ تساويهما في إيلامِ الطِّفلِ، والنِّيَّةُ أو الغرضُ هنا هو مَناطُ الحُكمِ ووصفُ الفعلِ بالحُسنِ أو القُبحِ، يدلُّنا على ذلك ما نعرفُه مِن أنَّ الأعمالَ في الإسلامِ مرتبطةٌ بمقاصدِها، وما يشترطُه كثيرٌ مِن أئمَّةِ

(١) «مُقدِّمة في علم الأخلاق»: ٤٤.

www.alimamaltayeb.com

الفقهِ الإسلاميِّ في صحَّةِ العباداتِ والمعاملاتِ وانعقادِها مِن ضرورةِ «النِّيَّةِ» كشرطٍ في صحَّةِ الفعلِ وانعقادِه.

ويُفهَمُ مِن القرآنِ الكريمِ أنَّ الحُكمَ لا يتَّجِهُ إلى شكلِ الفعلِ، وإنَّما يتَّجِهُ إلى ما يَسبقُه من نيَّةٍ وقصدٍ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٢٥]، ونَفْسُ هذا المعنى يُفهَمُ أيضًا مِن قولِ الرَّسولِ ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نَوَى**»(١).

***

(١) أخرَجه البخاريُّ (١) ومسلمٌ (١٩٠٧) من حديثِ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه.

www.alimamaltayeb.com

مَكَانَةُ الأَخْلَاقِ فِي الإِسْلَامِ

يرتكزُ الدِّين الإسلاميُّ على محاورَ ثلاثةٍ هي: العقيدةُ، والأخلاقُ، والشَّريعةُ، وتُعتبَرُ الأخلاقُ العُنصُرَ الرَّئيسَ الثَّابتَ في كلِّ الأديانِ السَّماويَّةِ بلا استثناءٍ، ومِن المعروفِ أنَّ الشَّرائعَ السَّماويَّةَ تختلفُ بين الأديانِ، وأنَّ اللَّاحِقَ منها قد يَنسخُ السَّابِقَ؛ وذلك حتَّى تتناسَبَ كلُّ شريعةٍ مع العصرِ والبيئةِ الَّتي يُبعَثُ فيها الرَّسولُ أو النَّبيُّ، وبحيثُ تتلاءَمُ مع حالةِ النَّاسِ ونُظُمِهِمُ المختلفةِ وطرائقِهم في الحياةِ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ولكنَّ أصولَ العقيدةِ وأصولَ الأخلاقِ لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ بين الأديانِ الإلهيَّةِ؛ فما أمَرَ به الإسلامُ مِن أمَّهاتِ الفضائلِ وما نَهَى عنه مِن الرَّذائلِ هو نفسُه ما أَمَرَت به ونَهَت عنه رسالاتُ إبراهيم وموسى وعيسى وإخوانِهمُ المُرسَلين، صَلَواتُ اللَّهِ وسلامُه عليهم أجمعينَ.

وللأخلاقِ في الإسلامِ مكانةٌ بالغةُ الأهمِّيَّةِ؛ فهي «الرُّوحُ» الَّتي تَسري في كلِّ تشريعاتِه؛ مِن عباداتٍ وعاداتٍ ومعاملاتٍ ونُظُمٍ وآدابٍ، وهي الأصلُ الثَّابتُ في كلِّ أحكامِه وأوامرِه ونواهيه،

www.alimamaltayeb.com

سواءٌ منها ما تَعَلَّقَ بالفردِ أو بالأسرةِ أو بالمجتمعِ أو بالحُكمِ أو بالعَلاقاتِ الدَّوليَّةِ:

١- فرسالةُ الإسلامِ في جُملتِها ما جاءت إلَّا لتحقيقِ مكارمِ الأخلاقِ المُتضمَّنةِ في شرعِ اللَّهِ سبحانه وتعالى، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّما بُعِثتُ لِأُتمِّمَ صالحَ الأخلاقِ**»[١].

٢- وفي موضعٍ آخَرَ يُسوِّي النَّبيُّ ﷺ بين مفهومِ الخُلُقِ الحسَنِ وبين معنى الدِّين؛ فقد ورَدَ في حديثٍ مُرسَلٍ أنَّ رجُلًا جاء إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال يا رسولَ اللَّهِ: أيُّ العَمَلِ أفضلُ؟ فقال الرَّسولُ ﷺ: «**حُسنُ الخُلُقِ**»[٢].

٣- والخُلُقُ الحسَنُ يُعادِلُ التَّقوى في مِيزانِ الحسَناتِ يومَ القيامةِ: «**ما مِن شيءٍ أَثقَلُ في مِيزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ مِن خُلُقٍ حسَنٍ**»[٣].

---

(١) أخرَجه أحمدُ (٨٩٥٢)، والبخاريُّ في «الأدب المُفرَد» (٢٧٣) من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرَجه محمَّدُ بنُ نصرٍ المَروَزِيُّ في «تعظيم قَدر الصَّلاة» (٨٧٨) عن أبي العلاءِ بنِ الشِّخِّيرِ، مرسلًا، بنحوِه.

وانظر: «الإسلام عقيدة وشريعة» لمحمود شلتوت: ٤٦٤.

(٣) أخرَجه البخاريُّ في «الأدب المفرَد» (٢٧٠، ٤٦٤) وأبو داودَ (٤٧٩٩) والتِّرمذيُّ (٢٠٠٢) من حديثِ أبي الدَّرداءِ رضي الله عنه.

www.alimamaltayeb.com

٤- وأَقرَبُ النَّاسِ مجلسًا مِن الرَّسولِ ﷺ يومَ القيامةِ وأحبُّهم إلى قلبِه الشَّريفِ صاحبُ الخُلُقِ الحسَنِ: «**إنَّ مِن أحَبِّكُم إليَّ أَحسَنُكُم أخلاقًا**»(١).

٥- وحُسنُ الخُلُقِ شرطٌ للفوزِ بالجنَّةِ والنَّجاةِ مِنَ النَّارِ، فقد قيلَ له ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَتَفْعَلُ وَتَصَّدَّقُ وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا خَيرَ فيها، هي مِن أَهلِ النَّارِ**»(٢).

٦- وممَّا يدُلُّ على رِفعةِ وسُمُوِّ مكانةِ الأخلاقِ في الإسلامِ أنَّ القرآنَ الكريمَ وهو يمتدحُ النَّبيَّ ﷺ قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]؛ فاختيارُ الأخلاقِ لتكونَ عُنوانًا على مدحِ النَّبيِّ ﷺ وتعظيمِه يدُلُّ على مكانتِها العليا عند اللَّهِ تعالى.

* * *

---

(١) أخرَجه البخاريُّ (٣٧٥٩) من حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو رضي الله عنهما.

(٢) أخرَجه البخاريُّ في «الأدب المفرَد» (١١٩) وابن حبَّان في «الصحيح» (٥٧٦٤ - الإحسان) والحاكِمُ في «المُستدرَك»: ٤/ ١٦٦، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

www.alimamaltayeb.com

مَصدَرُ الإلزَامِ الخُلُقيِّ في الإسْلَامِ

لا بدَّ في كلِّ مذهبٍ أخلاقيٍّ مُتكامِلٍ مِن قاعدةٍ أساسيَّةٍ يقومُ عليها، هذه القاعدةُ هي: «الإلزامُ»، والإلزامُ: هو «السُّلطةُ» المعنويَّةُ الَّتي تأمرُنا بالخيرِ، وتنهانا عنِ الشَّرِّ، والَّتي في ضوئها يُحكَمُ على أفعالِنا بالحُسنِ أوِ القُبحِ.

وفكرةُ الإلزامِ هذه «هي العنصرُ أو المحورُ الَّذي تدورُ حوله المشكلةُ الأخلاقيَّةُ، وزوالُ فكرةِ الإلزامِ يقضي على جوهرِ الحكمةِ العقليَّةِ والعمليَّةِ الَّتي تهدُفُ الأخلاقُ إلى تحقيقِها، فإذا انعدَمَ الإلزامُ انعدمتِ المسئوليَّةُ، وإذا انعدمتِ المسئوليَّةُ ضاع كلُّ أملٍ في وضعِ الحقِّ في نِصابِه، وإقامةِ أُسُسِ العدالةِ؛ وحينئذٍ تعُمُّ الفوضى ويسودُ الاضطرابُ»(١).

ويرى علماءُ الاجتماعِ أنَّ مصدرَ الإلزامِ الخُلُقيِّ هو سلطةُ المجتمعِ؛ أي أنَّ العاداتِ والتَّقاليدَ والمُعتقَداتِ السَّائدةَ في

---

(١) «الأخلاقُ بين الفلسفة وعِلم الاجتماع» للسَّيِّد محمَّد بَدَوِي: ٦٧، راجع: ردود الأستاذ محمد عبد اللَّه دراز على نظريةِ الفيلسوفِ الفرَنسيِّ «جييو Guyau» (ت. ١٨٨٨م) في قيامِ نظامٍ أخلاقيٍّ بدون إلزامٍ، اعتمادًا على فكرةِ التقديرِ الفنِّيِّ في: «دستور الأخلاق في القرآن»: ٢١، وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

مُجتمَعٍ ما مِن المُجتمَعاتِ يتكَوَّنُ مِنها ضميرٌ جمعيٌّ ينعكسُ صَداهُ في ضميرِ الفردِ، وبعضُ الفلاسفةِ يُضيفُ إلى سُلطةِ المجتمعِ سُلطةً أخرى هي قوَّةُ الطُّموحِ إلى المَثَلِ الأعلى، والبعضُ الآخَرُ مِن الفلاسفةِ يرى أنَّه اكتشَفَ مصدرَ الإلزامِ الخُلُقيِّ مِن هذه المَلَكةِ العُليا في النَّفسِ الإنسانيَّةِ وهي «الواجبُ»(١).

ونتساءلُ الآنَ: ماذا يَعني «الإلزامُ الخُلُقيُّ» في الإسلامِ؟

والجوابُ عن هذا التَّساؤُلِ في اختصارٍ شديدٍ: أنَّ «العقلَ» ربَّما كان أقرَبَ الأشياءِ إلى أن يُمثِّلَ مصدرَ «الإلزامِ» في الأخلاقِ الإسلاميَّةِ؛ فآياتُ القرآنِ الكريمِ تُعلِّمُنا أنَّ بَذرةَ معرفةِ الخيرِ والشَّرِّ مغروسةٌ في طَوايا النَّفسِ الإنسانيَّةِ منذُ تكوينِها الأوَّلِ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨]، وأنَّ البصيرةَ الأخلاقيَّةَ مَلَكةٌ أصليَّةٌ مُستقرَّةٌ في صميمِ الإنسانِ وفي بِنائِه الباطنيِّ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥]، وأنَّ اللَّهَ تعالى هَدَى الإنسانَ إلى طريقِ الفضيلةِ وطريقِ الرَّذيلةِ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨- ١٠].

وإذا كان القرآنُ يَصِفُ النَّفسَ الإنسانيَّةَ بأنَّها تأمُرُ بالسُّوءِ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، فإنه يُقرِّرُ أيضًا قدرةَ

(١) «الأخلاقُ بين الفلسفة وعِلم الاجتماع» للسيد محمد بدوي: ٢٧.

www.alimamaltayeb.com

الإنسانِ على ضبطِ سلوكِه والتَّحكُّمِ في اتِّجاهاتِه الأخلاقيَّةِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

ومن هذه النُّصوصِ المقدَّسةِ مُجتمِعةً يُمكِنُ القولُ بأنَّ في الإنسانِ سُلطةً خفيَّةً تُنيرُ له الطَّريقَ، وتُوجِّهُ إليه الأمرَ الصَّريحَ بأن يفعَلَ الحسَنَ ولا يفعَلَ القبيحَ، «فماذا تكونُ تلك السُّلطةُ الخاصَّةُ الَّتي تَدَّعي السَّيطرةَ على قُدراتِنا الدُّنيا، إن لم تكُن ذلك الجانبَ الوضيءَ مِنَ النَّفسِ، والَّذي هو العقلُ؟»[(١)].

ولكن إذا قلنا بأنَّ العقلَ هو مصدرُ «الإلزامِ الخُلُقيِّ» في الإسلامِ، فهل يَعني ذلك أنَّ التَّشريعَ الخُلُقيَّ ومعرفةَ الخيرِ والشَّرِّ مَهَمَّةٌ موكَلَةٌ إلى عقلِ الإنسانِ؟

والجوابُ بالنَّفيِ؛ ذلك أنَّ العقلَ وإن كان نورًا فِطريًّا إلهيًّا إلَّا أنَّه مَحُوطٌ بحُجُبٍ كثيفةٍ مِن الهَوَى والرَّغباتِ والشهواتِ والعاداتِ والأعرافِ، ومَحُوطٌ كذلك بالتَّناقُضاتِ الفرديَّةِ الَّتي تجعَلُ منه عقولًا عدَّةً لا عقلًا واحدًا، ولكلٍّ منها حكمةٌ، ولكلٍّ منها رؤيةٌ وتوجُّهٌ، وكلُّ ذلك يفعَلُ فِعلَهُ في التَّشويشِ على نقاءِ العقلِ وصفائِه فلا يُحسِنُ الاختيارَ، ولا يُبصِرُ الطَّريقَ وهو بِصَدَدِ التَّعرُّفِ على ثوابتِ القِيَمِ ومكارمِ الأخلاقِ.

---

(١) «دستور الأخلاق في القرآن» لمحمد عبد اللَّه دراز: ٢٧.

www.alimamaltayeb.com

ولو تصوَّرنا «العقلَ الإنسانيَّ» مصدرًا وحيدًا للأخلاقِ، وحاوَلنا أن نَستَوحِيَ منه واجباتِنا نحوَ اللَّهِ أو نحوَ أنفُسِنا أو نحوَ أصدقائِنا؛ فإنَّ الإجابةَ ستأتينا مُضطَرِبةً ومُختلِفةً ومُتناقِضةً، ولو رُحنا نتعرَّفُ منه ما يجبُ وما لا يجبُ في تفاصيلِ حياتِنا اليوميَّةِ فإنَّنا سنُواجَهُ بِرُكامٍ هائلٍ مِن الأحكامِ المتناقضةِ إلى الحدِّ الَّذي يُمكِنُ معه إباحةُ الرَّذائلِ وتجريمُ الفضائلِ.

وإذا كان ضروريًّا ربطُ العقلِ بسُلطةٍ عُليا ينحَسِمُ معها الخلافُ، وينقادُ لها الجميعُ، فإنَّ هذه السُّلطةَ -في نظرِ الإسلامِ- ليست هي المجتمعَ ولا العاداتِ أو التَّقاليدَ؛ إذِ المجتمعاتُ وإن كانت قادرةً على التَّشريعِ في أمرِ القوانينِ الَّتي تتَّصِفُ بالمحدوديَّةِ والمحلِّيَّةِ، فإنَّها عاجزةٌ عنِ التَّشريعِ في أمرِ القانونِ الأخلاقيِّ الَّذي يتَّصِفُ بالاطِّرادِ والعمومِ؛ فلا مفرَّ مِن البحثِ عن سُلطةٍ عُليا غيرِ العقلِ والمجتمعِ، تَعلَمُ مصلحةَ الإنسانِ، وتَعلَمُ مصدرَ سعادتِه ومصدرَ شقائِه، هذه السُّلطةُ لن تكونَ -في منطقِ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ- إلَّا لخالقِ الإنسانِ وصانعِه، العليمِ بما يُصلِحُه ويُفسِدُه وهو اللَّهُ سبحانه: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

إذًا فمصدرُ «الإلزامِ الخُلُقيِّ» هو أساسًا «الوحيُ الإلهيُّ» المتمثِّلُ في القرآنِ الكريمِ وفي السُّنَّةِ الصَّحيحةِ وما يتفرَّعُ عنهما مِن

www.alimamaltayeb.com

أصولٍ تشريعيَّةٍ أخرى كإجماعِ المسلمين، واستنباطاتِ أئمَّتِهم في الفقهِ وفي الفروعِ.

ولا ينبغي أن نفهَمَ هاهنا ازدواجيَّةً في مصدرِ الإلزامِ الخُلُقيِّ بين الوحيِ الإلهيِّ وبين العقلِ الفِطريِّ عند الإنسانِ؛ فالوحيُ هو المصدرُ وهو الحاكمُ أوَّلًا وأخيرًا؛ ولا تكونُ أوامرُ الوحيِ وأحكامُه مُلزِمةً، بل لا نعرفُ معناها الخُلُقيَّ إلَّا «بالعقلِ» المفطورِ على معرفةِ اللَّهِ والمزوَّدِ بشعورِ الإيمانِ به، فإذا ما اعترَفَ العقلُ بخالقِه فحينئذٍ تكونُ الأوامرُ ملزمةً، ويكونُ العقلُ مُلتزِمًا، «فمِن يدِ هذا الضَّميرِ الفرديِّ نتلقَّى في كلِّ حالٍ الأمرَ المباشرَ، وعقلُنا هو الَّذي يأمرُنا أن نَخضَعَ «للوحيِ» الإلهيِّ»[1].

* * *

(١) «دستور الأخلاق في القرآن» لمحمد عبد اللَّه دراز: ٣٥.

www.alimamaltayeb.com

المَسْئُولِيَّةُ وَالجَزَاءُ فِي الإِسْلَامِ

- أوَّلًا: المسئوليَّةُ:

تَعني المسئوليَّةُ موقفَ الإنسانِ تجاهَ الإلزامِ الخُلُقيِّ، كما تَعني الالتزامَ بما يَفرِضُه داعي الأخلاقِ على الفردِ، وهي بهذا المعنى تُمثِّلُ الصَّدى المُنعكِسَ عن صوتِ الإلزامِ، أو الاستجابةَ لهذا الصَّوتِ، والتَّقيُّدَ بقُيودِه وحدودِه.

وتبدأُ المسئوليَّةُ مع صوتِ الواجبِ وندائِه، ومطالبتِه باتِّخاذِ موقفٍ ما، وتنتهي المسئوليةُ بالفراغِ مِن عملِ هذا الواجبِ والوقوفِ -بعد ذلك- للحسابِ والجزاءِ، سواءٌ كان مصدرُ الجزاءِ دينيًّا أو اجتماعيًّا أو نفسيًّا، وهكذا يُمكِنُ أن نُميِّزَ في «العمليَّةِ الأخلاقيَّةِ» بين مراحلَ ثلاثٍ:

١- **مرحلةُ نداءِ الواجبِ**: وهي المرحلةُ الَّتي يُمثِّلُها نداءُ الإلزامِ الخُلُقيِّ الَّذي تحدَّثنا عنه في الفِقرةِ السَّابقةِ.

٢- **مرحلةُ إجابتِنا لنداءِ الواجبِ**: وهي المرحلةُ الَّتي تبدأُ فيها المسئوليَّةُ.

٣- **مرحلةُ المحاسبةِ والجزاءِ**: وتكونُ بعد انتهاءِ مرحلةِ المسئوليَّةِ.

www.alimamaltayeb.com

- المسئوليَّةُ والحرِّيَّةُ:

والمسئوليَّةُ في المرحلةِ الأُولى -مرحلةِ نداءِ الواجبِ- لا تَعني الرَّهبةَ أو الخوفَ أو الضَّعفَ، بل تَعني الشُّعورَ بالقوَّةِ والسِّيادةِ وأهْليَّةِ التَّحمُّلِ والتَّصرُّفِ في ضوءِ ما يجبُ فِعلُه.

ولا يُمكِنُ تصوُّرُ المسئوليَّةِ مِن كائنٍ مسلوبِ الحرِّيَّةِ والإرادةِ؛ إذ معنى المسئوليَّةِ يَنطوي على ضرورةِ تعدُّدِ الإمكاناتِ والبدائلِ في الفعلِ والتَّركِ، ولازمُ ذلك أن يكونَ المسئولُ شخصيَّةً مستقلَّةً ذاتَ قدرةٍ على التَّفكيرِ والتَّروِّي والإرادةِ والتَّرجيحِ والاختيارِ في الفعلِ، ومن هنا لم تكُنِ الموجوداتُ الطَّبيعيَّةُ أو الحيوانيَّةُ موجوداتٍ أخلاقيَّةً تُسأَلُ عن سُلوكِها وتوجُّهاتِها؛ فهي قد خُلِقَت لِتَعمَلَ لحسابِ الطَّبيعةِ وبِجَبريَّةٍ بحتةٍ وحركاتٍ لا تَصدُرُ عن تفكيرٍ وتقديرٍ.

ولا شكَّ أنَّ الانسانَ هو الكائنُ الوحيدُ مِن بين الكائناتِ الطَّبيعيَّةِ والحيوانيَّةِ الَّذي تَنطبِقُ عليه شروطُ المسئوليَّةِ؛ فهو الكائنُ المزوَّدُ بالحرِّيَّةِ والعقلِ والإرادةِ والقدرةِ على الاختيارِ، وهو الكائنُ «الَّذي رشَّحَتهُ فِطرتُه لهذه الأعباءِ، فأصبحَ ذا مسئوليَّةٍ، ومَوضِعَ أمانةٍ، وصاحبَ نفوذٍ وسلطانٍ»[1]: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

---

(١) «دراسات إسلامية» لمحمد عبد اللَّه دراز: ٥٤.

www.alimamaltayeb.com

إنَّ الحرِّيَّةَ هي أساسُ المسئوليَّةِ الأخلاقيَّةِ، والإسلامُ وهو يُحمِّلُ الإنسانَ بالمسئوليَّةِ الأخلاقيَّةِ إنَّما ينظُرُ إليه في هذا الإطارِ، إطارِ الحرِّيَّةِ المُصحِّحةِ للحسابِ وللجزاءِ، والدَّليلُ على ذلك أنَّ الإسلامَ يُسقِطُ عنِ الإنسانِ مسئوليَّته الأخلاقيَّةَ عن كلِّ فعلٍ لا يَتوفَّرُ فيه كمالُ العقلِ وتمامُ الحرِّيَّةِ والإرادةِ: «**رُفِعَ القَلَمُ عن ثَلاثٍ: النَّائم حتَّى يَستيقِظَ، وعنِ المجنونِ حتَّى يَبرَأَ، وعنِ الصَّبيِّ حتَّى يَكبَرَ**»(١).

- مستوياتُ المسئوليَّةِ:

١- مسئوليَّةٌ فرديَّةٌ: وهي مسئوليَّةُ الفردِ عن نفسِه، وتتمثَّلُ في مسئوليَّتِه عن بدنِه: جوارحِه وعقلِه وقلبِه، وعن وقتِه وعِلمِه ومالِه:

- ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ويقولُ ﷺ: «**لا تزولُ قَدَمَا عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسأَلَ عن عُمُرِهِ فِيما أَفناهُ، وعن عِلمِهِ ما فَعَلَ به، وعن مالِهِ مِن أَينَ اكتَسَبَهُ وفِيما أَنفَقَهُ، وعن جِسمِهِ فيما أَبلاهُ**»(٢).

---

(١) أخرَجه أبو داودَ (٤٤٠٠) وابنُ ماجه (٢٠٤١) من حديثِ أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأخرَجه التِّرمذيُّ (١٤٢٣) من حديثِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوِه، وقال: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ... والعملُ على هذا الحديثِ عند أهلِ العلمِ».

(٢) أخرَجه الدارمي (٥٥٤) من حديثِ أبي بَرزَةَ الأسلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

www.alimamaltayeb.com

٢- مسئوليَّةٌ نحوَ الآخَرِينَ: وهي مسئوليَّةٌ عامَّةٌ تُحدِّدُها ظُروفُ كلٍّ منَّا في حياتِه، وموقعُه في بيئتِه الَّتي تُحيطُ به، ومركزُه في المجتمعِ الَّذي يعيشُ فيه[1]، وفي هذا المعنى تُطالِعُنا الحِكمةُ النَّبويَّةُ مِن جوامعِ كَلِمِهِ ﷺ: «**كُلُّكُم راعٍ، وَكُلُّكُم مَسئُولٌ عن رعيَّتِهِ؛ فالإمامُ راعٍ ومسئولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ في أَهلِهِ راعٍ ومسئولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمرأةُ في بيتِ زَوجِها راعيةٌ ومسئولةٌ عن رَعِيَّتِها، والخادمُ راعٍ في مالِ سَيِّدِهِ ومسئولٌ عن رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُم راعٍ ومسئولٌ عن رَعيَّتِهِ**»[2].

- **ثانيًا: الجزاءُ:**

وإذا رُحنا نتعرَّفُ على «الجهةِ» الَّتي سَنَقِفُ أمامَها لِتُحاسِبَنا على أفعالِنا؛ فإنَّنا سنجدُ مذاهبَ عديدةً في هذه المسألةِ، وكلٌّ يَتَّجِهُ بالجوابِ وِجهةً تَتَّسِقُ مع المبادئِ الفلسفيَّةِ الَّتي يَنطلِقُ منها مذهبُه.

- فهناك المذهبُ الصُّوفيُّ الَّذي يرى أنَّ الإنسانَ مسئولٌ أمامَ اللَّهِ سبحانه فقط.

- وهناك المذاهبُ الأخلاقيَّةُ الَّتي تَحصُرُ جهةَ المسئوليَّةِ في

(١) «دراسات إسلامية» لمحمد عبد اللَّه دراز: ٥٩ (بتصرف).

(٢) أخرَجه البخاريُّ (٨٩٣) ومسلمٌ (١٨٢٩) من حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما.

www.alimamaltayeb.com

ضميرِ الفردِ ذاتِه، وتُقيمُ منه محكمةً داخليَّةً تتولَّى مُحاسبةَ الإنسانِ ومُحاكمتَهُ بما تَقذِفُه في وُجدانِه وطَوايا نفسِه مِن طُمأنينةٍ ورِضًا وسعادةٍ، أو شعورٍ بالتَّعاسةِ والشَّقاءِ والضِّيقِ والحرَجِ.

وهناك المذاهبُ الاجتماعيَّةُ الَّتي تجعَلُ مِن «الأُمَّةِ» جهةَ جزاءٍ يَقِفُ المرءُ أمامَها مسئولًا عمَّا قدَّمَت يداهُ.

ومن هنا كان للجزاءِ ميادينُ ثلاثةٌ: الجزاءُ الإلهيُّ، والجزاءُ الأخلاقيُّ، والجزاءُ الاجتماعيُّ، وكلُّ مذهبٍ منها ينظُرُ إلى الجزاءِ مِن زاويةٍ لا ينظُرُ منها المذهبُ الآخَرُ، أمَّا وِجهةُ النَّظَرِ الإسلاميَّةُ في هذا الموضوعِ فهي أعمُّ وأشمَلُ مِن وجهةِ النَّظَرِ الأُحاديَّةِ الَّتي ذهبَت إليها المذاهبُ السَّابقةُ؛ فالقرآنُ الكريمُ يُشيرُ فيما يَتعلَّقُ بالمسئوليَّةِ إلى أنَّنا نَقِفُ أمام سُلطةٍ ثلاثيَّةٍ يتمثَّلُ فيها:

١- الضَّميرُ.

٢- والمجتمعُ.

٣- والعدلُ الإلهيُّ.

ففي أنفُسِنا محكمةُ الضَّميرِ، ومِن حولِنا محكمةُ النَّاسِ، ومِن فوقِنا محكمةُ السَّماءِ، ولنا مع كلِّ واحدةٍ منها «أمانةٌ» سوف يُحاسِبُنا اللَّهُ عليها يومَ القيامةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

www.alimamaltayeb.com

فقولُه تعالى: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾ إشارةٌ إلى المسئوليَّةِ الدِّينيَّةِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ إشارةٌ أو رمزٌ إلى المسئوليَّةِ أمامَ التَّشريعِ الاجتماعيِّ الذي جاءَ به هذا الرَّسولُ ﷺ.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ إشارةٌ إلى المسئوليَّةِ الأخلاقيَّةِ أمامَ الضَّميرِ(١)، ونفسُ هذا المعنى تُؤكِّدُه الآيةُ الكريمةُ الأخرى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

١- المحكمةُ الإلهيَّةُ: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾.

٢- والمحكمةُ الإنسانيَّةُ: ﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾.

٣- ومحكمةُ الضَّميرِ: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

وخلاصةُ القولِ أنَّ الإسلامَ وإن كان يجعَلُ مسئوليَّةَ الإنسانِ أمامَ اللَّهِ تعالى في المقامِ الأوَّلِ؛ فإنَّه مع ذلك لا يُقلِّلُ مِن أهمِّيَّةِ «المسئوليَّةِ» أمامَ الضَّميرِ وأمامَ المجتمعِ.

- الجزاءُ الإلهيُّ:

يَتبيَّنُ مِن تتبُّعِ آياتِ القرآنِ الكريمِ في موضوعِ «الجزاءِ» أنَّ الجزاءَ الإلهيَّ يحدُثُ في الحياةِ العاجلةِ كما يحدُثُ في الحياةِ الآخرةِ.

---

(١) «دراسات إسلامية» لمحمد عبد اللَّه دراز: ٦٨.

www.alimamaltayeb.com

١- وفيما يتعلَّقُ بالجزاءِ الإلهيِّ في حياتِنا الدُّنيا نجدُ وعدًا مِن اللَّهِ بجزاءٍ حسَنٍ مادِّيٍّ لِمَنِ التزَمَ التَّقوى في سُلوكِه وتصرُّفاتِه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

- ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ [هود: ٣].

كما نجدُ آياتٍ تدُلُّ على وقوعِ العقابِ جزاءً للتَّقصيرِ في الإيمانِ باللَّهِ وجَحدِ نعمتِه وفضلِه:

- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

- ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

ولا يقتصرُ نوعُ الجزاءِ في الحياةِ العاجلةِ على الجزاءِ المادِّيِّ فقط، بل يتعدَّاهُ إلى العقليِّ أو الأخلاقيِّ المتمثِّلِ في الهدايةِ والنُّورِ والتَّزكِيَةِ وقوَّةِ التَّمييزِ بين الحقِّ والباطلِ:

- ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

www.alimamaltayeb.com

- ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ [التغابن: ١١].

- ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

وأمَّا الكافرون والظَّالمون والمُستبِدُّون فإنَّ جزاءَهم مَزِيدٌ مِن العَمَى والضَّلالِ والانحرافِ:

- ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

- ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

- ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

٢- أمَّا عنِ الجزاءِ الإلهيِّ في الحياةِ الآخِرةِ؛ فالآياتُ الَّتي تُبشِّرُ المؤمنين بالجزاءِ الحسَنِ وتُنذِرُ الضَّالِّينَ بالجزاءِ الأليمِ تفُوقُ الحَصرَ(١).

- **الجزاءُ الاجتماعيُّ:**

هذا الجزاءُ تتولَّاه القوانينُ الَّتي تحكُمُ المجتمعاتِ، ويتمثَّلُ في العقوباتِ المعروفةِ مِن سَجنٍ أو تغريمٍ أو حِرمانٍ مِن مُميِّزاتٍ في الوظيفةِ أو العملِ.. ويتمثَّلُ أيضًا فيما يُعانيهِ الشَّخصُ الخارجُ على

---

(١) راجع: «دستور الأخلاق في القرآن»: **٣٦٣** وما بعدها.

www.alimamaltayeb.com

أعرافِ المجتمعِ وعاداتِه وتقاليدِه مِن الشُّعورِ بالعزلةِ والاغترابِ بين أهلِه وقومِه.

- الجزاءُ الأخلاقيُّ:

وهذا اللَّونُ مِن الجزاءِ يتمثَّلُ في الألمِ النَّفسيِّ والعذابِ الدَّاخليِّ والشُّعورِ بالاستِخزاءِ الباطنيِّ واحتقارِ الذَّاتِ إن كان الجزاءُ عقابًا، وفي حالةِ الجزاءِ الثَّوابيِّ يشعُرُ بنوعٍ مِنَ السَّعادةِ والطُّمأنينةِ والرِّضا عنِ النَّفسِ واحترامِ الذَّاتِ[١].

***

(١) «الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدِّين» لحمدي عبد العال: ٣٧، ٣٨.

www.alimamaltayeb.com

خَصَائِصُ الأَخْلَاقِ فِي الإِسْلَامِ

للأخلاقِ في الإسلامِ خصائصُ ومَيزاتٌ تنفردُ بها عن سائرِ الأنظمةِ الأخلاقيَّةِ الأخرى في المذاهبِ الوضعيَّةِ والفلسفيَّةِ. . ومِن أهمِّ ما يتميَّزُ به النِّظامُ الأخلاقيُّ في الإسلامِ:

١- تفصيلُ المسائلِ الخُلُقيَّةِ رغمَ كثرتِها وتعدُّدِها؛ فالإسلامُ وإن كان يُشيرُ إلى جوامعِ الأخلاقِ وأُمَّهاتِ الفضائلِ في مِثلِ قولِه تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. وقولِه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٣]. وفي مِثلِ قولِه ﷺ: «**اتَّقِ اللَّهَ حيثُما كُنتَ، وأَتبعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنةَ تَمحُهَا، وَخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حسَنٍ**»(١). وقولِه: «**إنَّ المُؤمِنَ لَيُدرِكُ بِحُسنِ خُلُقِهِ دَرَجةَ الصَّائِمِ القَائِمِ**»(٢)؛ إلَّا أنَّه لم يقتصِر

---

(١) أخرَجه التِّرمذيُّ (١٩٨٧) من حديثِ أبي ذرٍّ رضي الله عنه، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

(٢) أخرَجه أبو داودَ (٤٧٩٨) والحاكمُ في «المُستدرَك»: ١/ ٦٠، من حديثِ أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها، وقال الحاكمُ: «هذا حديثٌ على شرطِ الشَّيخينِ».

www.alimamaltayeb.com

في توجيهاتِه على هذا التَّعميمِ، بل فصَّلَ وأَسهَبَ في بيانِ أصنافِ الأخلاقِ الحسنةِ والأخلاقِ السَّيِّئةِ.

والقرآنُ الكريمُ والسُّنَّةُ المُطهَّرةُ يُنبِّهانِ في هذا الصَّدَدِ على سِلسِلةٍ طويلةٍ مُفصَّلةٍ مِن الفضائلِ والرَّذائلِ يُمكِنُ أن تُفرَدَ لها مُؤلَّفاتٌ مُستقِلَّةٌ(١).

٢- يُؤكِّدُ الإسلامُ على الالتزامِ بالأخلاقِ في الوسيلةِ وفي الغايةِ معًا في أيِّ موقفٍ مِن مواقفِ المسئوليَّةِ، والمبدأُ الَّذي يقولُ: «إنَّ الغايةَ تُبرِّرُ الوسيلةَ» لا مكانَ له في النِّظامِ الأخلاقيِّ في الإسلامِ؛ فالرَّذيلةُ ممنوعةٌ في الإسلامِ حتَّى ولو ترتَّبَ عليها في النِّهايةِ تحقيقُ فضيلةٍ مِن الفضائلِ، يقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ففي الآيةِ الكريمةِ أمرٌ بنُصرةِ المسلمين لإخوانِهمُ المظلومين الذين يستغيثُونَ بهم ضِدَّ أعدائِهم، ولكن فيها -بعد ذلك- استثناءٌ

(١) راجع تفصيل ذلك في كتب التفسير، وشروح السُّنَّة في الفضائل والآداب والزهد والرقائق، وأيضًا كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الإمام الغزالي: «ربع المهلكات وربع المنجيات». وغيره من كتب التصوف، وهي كنوز غالية في هذا الباب.

www.alimamaltayeb.com

يقومُ على أساسٍ أخلاقيٍّ في مسألةِ الغايةِ والوسيلةِ؛ وبيانُ ذلك: أنَّ نُصرةَ المسلمين لإخوانِهم في الدِّين لو ترتَّبَ عليها «نقضُ العهدِ» مع الفريقِ الآخَرِ مِن الكُفَّارِ الظَّالِمين؛ فإنَّ النُّصرةَ هنا ممنوعةٌ، والسَّببُ في ذلك أنَّ وسيلتَها -وهي نقضُ العَهدِ- نوعٌ مِن الخيانةِ، والإسلامُ يُحرِّمُ الخيانةَ مع الكافرِ حتَّى لو أدَّت هذه الخيانةُ إلى نُصرةِ المسلمينَ.

٣- وأخيرًا تتميَّزُ الأخلاقُ الإسلاميَّةُ بارتباطِها بالدِّين والتَّقوى، يقولُ اللَّهُ تعالى:

﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

فالوفاءُ بالوعدِ حتَّى مع المشركِ نوعٌ مِن التَّقوى يُحبُّه اللَّهُ تعالى، وفي الحديثِ: «**لا إيمانَ لِمَن لا أمانةَ لهُ، ولا دِينَ لِمَن لا عَهدَ له**»[1]، إذ الدِّين والخُلُقُ حقيقتانِ متمازجتانِ في النِّظامِ الإسلاميِّ وفي كُلِّ الرِّسالاتِ الإلهيَّةِ لا تختلِفُ فيها رِسالَةٌ عن أُخرَى، وقد أشَرنا في بيانِ مكانةِ الأخلاقِ في الإسلامِ إلى أنَّ

---

(١) أخرَجه أحمدُ في «المُسنَدِ» (١٢٣٨٣) من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه، وقال الذَّهبيُّ: «سَنَدُه قويٌّ» كما في «فيض القدير» للمُناويِّ: ٦/ ٣٨١.

قال الخَطَّابي في «معالم السنن»: ٤/ ٣١٧: «هذا... على معنى الزَّجرِ والوَعيدِ، أو نفيِ الفضيلةِ وسلبِ الكمالِ، دونَ الحقيقةِ في رفعِ الإيمانِ وإبطالِه».

www.alimamaltayeb.com

الدِّين هو الخُلُقُ، وأنَّ مِن غاياتِ رسالةِ الإسلامِ إتمامَ مكارمِ الأخلاقِ(١).

* * *

(١) راجع: «دستور الأخلاق في القرآن» لمحمد عبد اللَّه دراز: ٧٦١ - ٧٧١.

www.alimamaltayeb.com

ثبت المصادر والمراجع

- «**الآراء والمعتقَدات**» لگوستاف لوبون Gustave Le Bon (ت. ١٩٣١م) ترجمة: عادل زعيتر (ت. ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) دار كلمات عربية للترجمة والنشر- القاهرة: د.ت (وهي طبعة حديثة).

- «**آكام المَرجان في أحكام الجان**» لبدر الدِّين محمد بن عبد اللَّه الشِّبلي (ت. ٧٦٩هـ) حقَّقه وقدَّم له: إدوارد بدين، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ودار الفارابي- بيروت، الطبعة الأُولى: ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م (النَّشَّرات الإسلامية: ٥٧).

- «**الإبانة عن أصول الديانة**» لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت. ٣٢٤هـ) تحقيق: فوقية حسين محمود (ت. بعد ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) دار الأنصار- القاهرة، الطَّبعة الأُولى: ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

- «**ابن طَلحة اليابُري (ت. ٥٢٣هـ) ومُختَصرُه في أصول الدِّين**» دراسة وتحقيق: محمد الطَّبراني، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز أبي الحسن الأشعري للبحوث والدراسات العقَدية- تطوان، الطبعة الأُولى: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م (ذخائر من التُّراث الأشعري المغربي: ٣).

- «**إثباتُ الشَّفاعة**» لشمس الدِّين محمد بن أحمد الذَّهبي (ت. ٧٤٨هـ) تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، مكتبة أضواء السَّلَف- الرِّياض: ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

- «**أثر الاختلاف في القواعد الأصوليَّة في اختلاف الفقهاء**» لمصطفى سعيد الخُنِّ (ت. ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- «**أثر الأدِلَّة المختلَف فيها في اختلاف الفقهاء**» لمصطفى ديب البغا، دار الإمام البخاري- دمشق (د.ت).

- «**الإحسان في تقريب صحيح ابن حِبَّان** (ت. ٣٥٤هـ)» لعلاء الدِّين علي بن بَلْبان الفارسي (ت. ٧٣٩هـ) تحقيق: شعيب الأَرنَؤوط (ت. ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م) مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة الأُولى: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

www.alimamaltayeb.com

-«**أحكام الزكاة**» لأبي بكر محمد بن عبد اللَّه الفِهري - المعروف بابن الجدِّ (ت. ٥٨٦هـ) دراسة وتحقيق: عبد المغيث الجيلاني، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث- الرباط: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م (نوادر التراث: ٩)

-«**أحكام القرآن**» لأبي بكر أحمد بن علي الرازي- المعروف بالجصَّاص (ت. ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد الصادق قمحاوي (ت. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) دار المصحف- القاهرة (د.ت)

-«**إحياء علوم الدِّين**» لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت. ٥٠٥هـ) تحقيق: اللَّجنة العِلميَّة بمركز دار المِنهاج للدِّراسات والتحقيق العِلمي- جدَّة، مشيخة الأزهر الشَّريف- القاهرة، وسقيفة الصَّفا العِلميَّة- لبوان، الطبعة الثالثة: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

-«**الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع**» للسيد محمد بدوي (ت. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) دار المعارف- القاهرة: ١٩٦٧م.

-«**الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدِّين**» لحمدي عبد العال، دار القلم- الكويت: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

-«**الأدب المُفرَد**» لأبي عبد اللَّه محمَّد بن إسماعيل البُخاريِّ (ت. ٢٥٦هـ) تحقيق: علي عبد الباسط مزيد، وعلي عبد المقصود رضوان، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطَّبعة الأُولى: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

-«**الأذكار**» = «**حِلية الأبرار، وشِعار الأخيار...**»

-«**الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**» لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد اللَّه الجوَيني (ت. ٤٧٨هـ) تحقيق: محمد يوسُف موسى (ت. ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) وعلي عبد المنعم عبد الحميد (ت. ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) جماعة الأزهر للنَّشر والتَّأليف، ومكتبة الخانجي- القاهرة، الطَّبعة الأُولى: ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

-«**إرشاد السَّالِك إلى أفعال المناسِك**» لبرهان الدِّين إبراهيم بن علي اليَعمُري- المعروف بابن فرحون (ت. ٧٩٩هـ) تحقيق: محمد أبو الأجفان (ت. ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

-«**الأركان الأربعة: الصَّلاة - الزَّكاة - الصَّوم - الحجُّ في ضَوء الكِتاب والسُّنَّة مُقارَنةً مع الدِّيانات الأخرى**» لأبي الحسن علي بن عبد الحيِّ النَّدْوي (ت. ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) دار القلم- الكويت، الطبعة الخامسة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

www.alimamaltayeb.com

-«**أساسيات العقيدة الإسلامية**» ليحيى هاشم حسن فرغل (ت. ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) مكتبة العين- أبو ظبي (د.ت).

-«**الإسلام دين الفطرة**» لإبراهيم الجبالي (ت. ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) مقالات نشرت في مجلة «الأزهر» جمعها: محمد موفق أبو اليسر البيانوني، مكتبة الهُدى- حلب: ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

-«**الإسلام عقيدة وشريعة**» لشيخ الأزهر محمود شلتوت (ت. ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) دار الشُّروق- القاهرة، الطبعة السَّادسة عشرة: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

-«**الإسلام يتحدَّى**» لوحيد الدِّين خان، ترجمة ابن المؤلف: ظفر الإسلام خان، طبعة المختار الإسلامي- القاهرة: ١٩٩١م، كما رجعت إلى طبعة بيروت: ١٩٨٥م. وأشرتُ إليها بـ «ط. بيروت».

-«**الأسنى في شرح أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العُلى**» لأبي عبد اللَّه محمد بن أحمد القُرطُبي (ت. ٦٧١هـ) باعتناء: صالح الحطماني، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية- طرابلُس: ١٣٧٧من وفاة الرسول صلى اللَّه عليه وسلم!!!/ ٢٠٠٩م (١٤٣٠هـ).

-«**الإشارات والتنبيهات**» لأبي علي الحُسَين بن عبد اللَّه البُخاري- المعروف بابن سينا (ت. ٤٢٨هـ) بشرح نصير الدِّين محمد بن محمد الطوسي (ت. ٦٧٢هـ) تحقيق: شيخنا سليمان سيِّد أحمد دنيا (ت. ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) دار المعارف- القاهرة: ١٣٧٦، ١٣٨٨، ١٣٩١هـ/ ١٩٥٧، ١٩٦٨، ١٩٧١م.

-«**الأشباه والنظائر**» لتاج الدِّين عبد الوهاب بن علي السُّبكي (ت. ٧٧١هـ) دار الكتب العلمية! بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

-«**الأشباه والنظائر**» لجلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطي (ت. ٩١١هـ) دار الكتب العلمية! بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

-«**أشرف المقاصِد في شرح المقاصِد**» لسعد الدِّين مسعود بن عمر التَّفتازانيِّ (ت. ٧٩٢هـ)» لأحمد بن محمد الولَّالي (ت. ١١٢٨هـ) المطبعة الخيرية- القاهرة: ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م (الجزء الأول فقط)

-«**الأصول**» لأبي بكر محمد بن أبي سهل السَّرخسي (ت. ٤٩٠هـ تقريبًا) تصحيح: أبي الوفا محمود شاه بن سُلَيمان شاه الأفغاني (ت. ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية، بحيدر آباد، الهند: ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

www.alimamaltayeb.com

-«**أصول التشريع الإسلامي**» لعلي حسب اللَّه (ت. ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) دار المعارف- القاهرة، الطبعة الخامسة: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

-«**أصول الدِّين**» لعبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت. ٤٢٩هـ) التزم نشره وطبعه مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية، مطبعة الدولة- إسطنبول: ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

-«**أصول الفقه الإسلامي**» لمحمد مصطفى شلبي (ت. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) دار النهضة العربية- بيروت: ١٩٨٦م.

-«**أعلام الموقِّعين عن ربِّ العالمين**» لشمس الدين محمد بن أبي بكر الزُّرعي- المعروف بابن قَيِّم الجوزية (ت. ٧٥١هـ) تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي- الدَّمَّام، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

-«**الاقتصاد في الاعتقاد**» للغزالي، تحقيق: اللَّجنة العِلميَّة بمركز دار المِنهاج للدِّراسات والتحقيق العِلمي- جدَّة، مشيخة الأزهر الشَّريف- القاهرة، وسقيفة الصَّفا العِلميَّة- لبوان، طبعة خاصَّة بالأزهر الشريف: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

-«**الإقناع في مسائل الإجماع**» لأبي الحسن علي بن محمد الفاسي- المعروف بابن القطان (ت. ٦٢٨هـ) تحقيق: فاروق حمادة، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

-«**إكمالُ المُعلِم بفوائدِ مُسلِم**» للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصُبي (ت. ٥٤٤هـ) تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع- المنصورة، الطبعة الأُولى: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

-«**الأمد الأقصى في شرح أسماء اللَّه الحُسنى وصِفاته العُلى**» لأبي بكر محمد بن عبد اللَّه الإشبيلي- المعروف بابن العربي (ت. ٥٤٣هـ) تحقيق: عبد اللَّه التوراتي، وأحمد عرُّوبي، دار الحديث الكتَّانية- بيروت وطنجة، ودار الأمان- الرباط، الطبعة الأُولى: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م (أعلاق أندلسية- إشبيلية: ١، سلسلة مؤلَّفات الإمام أبي بكر ابن العربي: ١).

-«**الأُمنيَّة في إدراكِ النِّيَّة**» لأبي العبَّاس أحمد بن إدريس القرافي (ت. ٦٨٤هـ) تحقيق: مساعد الفالح، مكتبة الحرمين- الرياض، الطبعة الأُولى: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

www.alimamaltayeb.com

-«**الإنباءُ في شرحِ حقائق الصِّفات والأسماء**» لأبي العبَّاس أحمد بن مَعَدٍّ الأُقليشي (ت. ٥٥٠هـ) تحقيق: أحمد رجب أبو سالم، دار الضِّياء- الكويت، الطبعة الأُولى: ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

-«**الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه**» لمحمد نعيم ياسين، دار عُمَر بن الخطَّاب للطِّباعة والنشر والتَّوزيع- الإسكندرية (د.ت).

-«**البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت اللَّه العتيق**» لأبي البقاء محمد بن أحمد المكِّي- المعروف بابن الضِّياء (ت. ٨٥٤هـ) تحقيق: عبد اللَّه نذير، المكتبة المكِّية- مكَّة المُكرَّمة، ومؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الأُولى: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

-«**البحر المُحيط في أصول الفقه**» لبدر الدِّين محمد بن بهادر الزَّركشي (ت. ٧٩٤هـ) تحرير: عبد القادر عبد اللَّه العاني (ت. ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) وعُمر سُلَيمان الأشقر (ت. ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) وعبد السَّتَّار أبو غُدَّة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

-«**البداية في أصول الدِّين**» لنور الدِّين أحمد بن محمود الصَّابوني (ت. ٥٨٠هـ) تعليق: بكر طوبال أوغلي Bekir Topaloglu (ت. ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م) مطبعة هاشم محمد الكُتبي- دمشق، الطبعة الأُولى: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

-«**بُغية الباحث عن زوائد مُسنَد الحارث** ابن أبي أُسامة (ت. ٢٨٢هـ)» لنور الدِّين علي بن أبي بكر الهَيثمي (ت. ٨٠٧هـ) تحقيق: حسين الباكري، الجامعة الإسلامية، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية- المدينة المنوَّرة، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

-«**البيان عن أصول الإيمان، والكشف عن تمويهات أهل الطغيان**» لأبي جعفر محمد بن أحمد السِّمناني (ت. ٤٤٤هـ) تحقيق: عبد العزيز الأيوب، دار الضياء- الكويت، الطبعة الأُولى: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

-«**تاج العَروس من جواهر القاموس**» لأبي الفَيض محمد بن محمد الزَّبيدي- المعروف بمرتضى (ت. ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م) تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكوَيت، الطبعة الأُولى: ١٣٨٥- ١٤٢٢هـ/ ١٩٦٥- ٢٠٠١م (التُّراث العربي: ١٦)

-«**تاريخُ مدينةِ دمشقَ وذِكرُ فضلها، وتسميةُ مَن حلَّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها**

www.alimamaltayeb.com

وأهلها» لأبي القاسم علي بن الحسن الدِّمشقي- المعروف بابن عساكر (ت. ٥٧١هـ) دار الفكر- بيروت، الطبعة الأُولى: ١٤١٥- ١٤٢١هـ/ ١٩٩٥- ٢٠٠٠م.

-«**تاريخ واسط**» لأسلم بن سهل الرَّزَّاز- المعروف بـ«بَحشَل» (ت. ٢٩٢هـ) تحقيق: كوركيس عوَّاد (ت. ١٩٩٢م) دار عالَم الكتُب- بَيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

-«**تَبصِرةُ الأدِلَّة في أصول الدِّين على طريقة الإمام أبي منصور الماتُريدي (ت. ٣٣٣هـ)**» لأبي المُعين مَيمُون بن محمد النَّسَفي (ت. ٥٠٨هـ) تحقيق وتعليق: كلود سلامة، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية- دمشق، الطبعة الأُولى: ١٩٩٠، ١٩٩٣م.

-«**تثبيت دلائل نبوة سيِّدنا محمَّد رسول اللَّه -صلَوات اللَّه علَيه وسلامه- والأدِلَّة على مُعجِزاته وظُهور آياته، والرَّدُّ على مَن أنكر ذلك**» لأبي الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمَذاني (ت. ٤١٥هـ) تحقيق: عبد الكريم عثمان (ت. ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

-«**التحرير والتنوير من التفسير (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد- من تفسير الكتاب المجيد)**» لمحمد الطاهر بن عاشور (ت. ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) الدار التونُسية للنَّشر- تونس: ١٩٨٤م.

-«**التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي**» لمحمد يوسُف موسى، العصر الحديث للنشر والتوزيع- بيروت: ١٩٩١م.

-«**التعريفات**» لعلي بن محمد الجُرجاني- المعروف بالشريف (ت. ٨١٦هـ) تحقيق: المستشرق الألماني گوستاڤ فلوگل Gustav Flügel (ت. ١٨٧٠م) لايبزگ Leipzig: ١٨٤٥م.

كما رجعتُ إلى طبعة الدار التونُسية للنشر: ١٩٧١م، وأُشيرُ إليها بـ«التونُسية».

-«**تعظيم قدر الصلاة**» لأبي عبد اللَّه محمد بن نصر المَروَزي (ت. ٢٩٤هـ) تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنوَّرة: ١٤٠٦، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦، ١٩٨٧م.

-«**تعليق على شرح الأصول الخمسة**»[1] لأحمد بن أبي الحسين الحُسَيني- المعروف

---

(١) طُبع بعنوان «شرح الأُصول الخمسة» ونُسِب تأليفه إلى القاضي عبد الجبَّار لا مانكديم، والصحيح أنه تعليق على الشرح للأخير. راجع مقدمة دانيال جيماريه Daniel Gimaret في تحقيقه للرسالة المنسوبة إلى القاضي «الأصول الخمسة» المنشور في المجلد ١٥ (١٩٧٩م) من مجلَّة «حوليَّات إسلامية Annales islamologiques» التي يُصدرها المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة- بعنوان «Les Usul al-hamsa du Qadi Abd al-Gabbar et leurs commentaires»: ٥٠- ٧٨؛ وكذلك مقدِّمة =

www.alimamaltayeb.com

بمانكديم وششديو (ت. ٤٢٥هـ) تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

-«**التفسير**» لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرَّازي (ت. ٣٢٧هـ) مكتبة نِزار مصطفى الباز- مكَّة المكرَّمة والرِّياض: الطبعة الأُولى: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

-«**تفسير أسماء اللَّه الحُسنى**» لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّري البغدادي- المعروف بالزَّجَّاج (ت. ٣١١هـ) تحقيق: أحمد يوسف الدقَّاق (ت. ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) دار المأمون للتُّراث- دمشق، طبعة ثانية منقَّحة: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

-«**تفسير غريب ما في الصحيحين: البخاري، ومسلم**» لأبي عبد اللَّه محمد بن فتُّوح الحُمَيدي (ت. ٤٨٨هـ) دراسة وتحقيق: زُبَيدة سعيد، مكتبة السُّنَّة- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

-«**تفسير القرآن**» لأبي المظفَّر منصور بن محمد السمعاني (ت. ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عبَّاس، دار الوطن، الرياض: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

-«**تفسير القرآن الحكيم** المشتهِر باسم «**تفسير المنار**»» لمحمد رشيد بن علي رضا (ت. ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) دار المنار- القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

-«**تفسير القرآن العظيم**» لأبي الفداء إسماعيل بن عمر القُرَشي- المعروف بابن كثير (ت. ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتَّوزيع- الرِّياض، الطَّبعة الثَّانية: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

-«**تفسير المراغي**» لأحمد مصطفى المراغي (ت. ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

-«**تفصيل آيات القرآن الحكيم**» لجول لا بوم Jules La Beaume (ت. ١٨٧٦م) نقله إلى اللغة العربية: محمَّد فؤاد عبد الباقي (ت. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة، الطبعة الأُولى: ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م.

-«**التفكير الفلسفي في الإسلام**» لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود (ت. ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) مكتبة الأنگلو المصرية- القاهرة: ١٩٦٨م.

= فيصل عون في تحقيقه لنفس الرسالة المنشور ضمن مطبوعات جامعة الكوَيت: ١٩٩٨م.

www.alimamaltayeb.com

-«**التمهيد في أصول الفقه**» لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكَلْوَذاني (ت. ٥١٠هـ) دراسة وتحقيق: مفيد أبو عمشة، ومحمد بن علي، جامعة أم القُرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- مكَّة المكرَّمة، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

-«**التَّمهيدُ في الرَّدِّ على المُلحِدَة والمُعطِّلَة والرَّافضةِ والخوارجِ والمعتزلةِ**» لأبي بكر محمد بن الطَّيِّب الباقِلاني (ت. ٤٠٣هـ) تعليق: محمود محمد الخضيري (ت. ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) ومحمد عبد الهادي أبو ريدة (ت. ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ودار الفكر العربي- القاهرة: ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

كما رجعتُ إلى الطبعة التي عُنِيَ بتصحيحها ونَشرِها: رِتشَرد يوسف مكَّارثي Richard J. Mc Carthy (ت. ١٩٨١م) وعنون لها بـ«**كتاب التمهيد**» منشورات جامعة الحكمة في بغداد (سلسلة علم الكلام: ١) المكتبة الشرقية- بيروت: ١٩٥٧م، ورمزت لها بـ«ط. مكَّارثي».

-«**تهافت الفلاسفة**» للغزالي، تحقيق: شيخنا سليمان دنيا، دار المعارف- القاهرة، الطبعة السادسة (مصوَّرة من الطبعة الخامسة: ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

-«**تهذيب الكلام**» لسَعد الدِّين التفتازاني، مع شرحه المسمَّى «**تقريب المَرام**» لعبد القادر بن محمد سعيد السَّنندجي الكُردستاني (ت. ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م) تصحيح: طه بن محمود قطريَّة (ت. ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م) المطبعة الكُبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية: ١٣١٨، ١٣١٩هـ/ ١٩٠٠- ١٩٠٢م.

-«**توضيحُ العقائد في علم التَّوحيد**» لعبد الرحمن محمد الجزيري (ت. ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م) مكتبة ومطبعة الإرشاد- القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.

-«**توضيحُ العقائد النَّسَفِيَّة**» لسُلَيمان سُلَيمان إسماعيل خَميس (ت. ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) جامعة الأزهر الشَّريف، كليَّة أصول الدِّين، مطبعة دار نشر الثَّقافة- القاهرة، الطَّبعة الثَّانية - مُنقَّحة، وبها مُلحَق بتوضيح القِسم الأوَّل من «المواقف» لعضُد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت. ٧٥٦هـ)- ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م (الجزء الأوَّل فقط)

-«**التَّوقيف على مُهمَّات التَّعاريف**» لمحمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المُنَاوي (ت. ١٠٣١هـ) تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان (ت. ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م) عالَم الكتُب- القاهرة، الطبعة الأُولى: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

www.alimamaltayeb.com

-«**الجامع (الكبير) المُختصر من السُّنن عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلَّم، ومعرفة الصحيح والمعلول، وما علَيه العمل**» لأبي عيسى محمَّد بن عيسى التِّرمذيِّ (ت. ٢٧٩هـ) تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلاميِّ- بيروت وتونُس، الطَّبعة الأُولى: ١٩٩٦م.

-«**الجامع المسنَد الصحيح المختصر من أمور رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وسننه وأيامه**» للبخاري، عناية: محمد زهير الناصر، مع ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة للطِّباعة والنشر والتَّوزيع- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م (مصورة عن الطبعة السلطانية المطبوعة بالمطبعة الكُبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية: ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م).

-«**الجواب الصحيح لِمَن بدَّل دينَ المسيح**» لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحرَّاني- المعروف بابن تيمية (ت. ٧٢٨هـ) تحقيق: علي بن حسن، وعبد العزيز العسكر، وحمدان الحمدان، دار العاصمة- الرياض، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩.

-«**حَجَّة الوداع**» لأبي محمد علي بن أحمد الأندلُسي- المعروف بابن حزم (ت. ٤٥٦هـ) تحقيق: عبد الحقِّ التُّركماني، دار ابن حزم- بيروت، ومركز البحوث الإسلامية- السويد، الطبعة الأُولى: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م (تراث ابن حزم: ٢).

-«**حُجِّية الإجماع**» لعبد الغني محمد عبد الخالق (ت. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) دار المحدِّثين للبحث العِلمي والترجمة والنشر- القاهرة: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

-«**الحديث والمحدثون** أو عِناية الأُمة الإسلامية بالسُّنَّة النَّبَوية» لمحمد محمد أبو زهو (ت. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) مطبعة مصر- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٧هـ/ ١٩٥٨م.

-«**الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين**» لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي- المعروف بابن الجزَريِّ (ت. ٨٣٣هـ) تحقيق: عبد الرؤوف الكمالي، دار غِراس- الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

-«**الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية**» لحسين بن محمد الجسر الطرابُلسي (ت. ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- القاهرة: ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

-«**حِلية الأبرار، وشِعار الأخيار، في تلخيص الدَّعَوات والأذكار المُستحبَّة في اللَّيل والنَّهار**»

www.alimamaltayeb.com

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت. ٦٧٦هـ) تحقيق: محيي الدِّين مستو، دار ابن كثير- دمشق، ومكتبة دار التُّراث- المدينة المنوَّرة، الطبعة الثانية: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

-«**خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي**» لعبد الوهَّاب عبد الواحد خلَّاف (ت. ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) دار القلم- الكويت (د. ت).

-«**دراسات إسلامية في العِلاقات الدَّولية والاجتماعية**» لمحمد عبد اللَّه دراز (ت. ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م) دار القلم- الكويت، الطبعة الثانية: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

-«**دراساتٌ في العقيدة الإسلاميَّة**» لمحمد مهدي شمس الدِّين (ت. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) دار الكتاب اللبناني- بيروت: ١٩٧٧م.

-«**دراسات في الفكر الإسلامي**» لعدنان محمد زرزور، مكتبة الفلاح- الكويت: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

-«**الدُّرَّة فيما يجِب اعتقادُه**» لابن حزم، تحقيق: عبد الحقِّ التُّركماني، دار ابن حزم- بيروت، ومركز البحوث الإسلامية- السويد، الطبعة الأُولى: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م (تراث ابن حزم: ٣).

-«**دستور الأخلاق في القرآن الكريم** دراسة مقارَنة للأخلاق النظرية في القرآن» لمحمد عبد اللَّه دراز، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين (ت. ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، ودار البحوث العلمية- الكويت: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

-«**الدُّعاءُ بالمأثور وآدابُه، وما يجبُ على الدَّاعي اتِّباعُه واجتنابُه**» لأبي بكر محمد بن الوليد الطُّرطُوشي (ت. ٥٢٠هـ) تحقيق: محمد رضوان الدَّاية، دار الفكر المعاصر- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

-«**دليل المسافر في بيان ما اختَصَّ هو به من العبادة صلاةً وصيامًا، وما يتعلَّقُ بذلك: من تحديدِ مسافة القَصرِ، وتقدير المِيلِ ،والخلافِ في الخَطوة والذِّراع والقَدَم وتحويلِها إلى الأمتارِ، وبيانِ أحكامِ صلاةِ المُسافِرِ واقتدائِه بالمُقيم وعكسِه، وبيانِ سَمْتِ القِبلة**»(١) لأحمد بن أحمد الحسيني (ت. ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) المطبعة الكبرى الميرية ببولاق المحمية: ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م.

-«**الدِّين: بُحوث ممهِّدة لدراسة تاريخ الأديان**» لمحمد عبد اللَّه دراز، دار القلم-الكويت: ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

---

(١) هذا العنوان من أطول العناوين التي وقعتُ عليها في تراثنا.

www.alimamaltayeb.com

-«**الرسالة**» لأبي عبد اللَّه محمد بن إدريس الشافعي (ت. **٢٠٤**هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر (ت. **١٣٧٧**هـ/ **١٩٥٨**م) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- القاهرة، الطبعة الأولى: **١٣٥٨**هـ/ **١٩٤٠**م.

-«**الرسالة التدمُرية**» لابن تيميَّة، تصحيح: فرج اللَّه زكي الكردي (ت. **١٩٤٠**م) المطبعة الحُسَينية المصرية- القاهرة: **١٣٢٥**هـ/ **١٩٠٧**م.

-«**رفع الأستار لإبطال القائلين فناء النار**» لمحمد بن إسماعيل الصنعاني- المعروف بالأمير (ت. **١١٨٢**هـ) تحقيق: محمد ناصر الدِّين الألباني (ت. **١٤٢٠**هـ/ **١٩٩٩**م) المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى: **١٤٠٥**هـ/ **١٩٨٤**م.

-«**رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: دراسة أصولية تأصيلية**» ليعقوب عبد الوهاب الباحسين، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الرابعة: **١٤٢٢**هـ/ **٢٠٠١**م.

-«**السُّنن**» لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجستانِيِّ (ت. **٢٧٥**هـ) تحقيق: شعيب الأَرنَؤوط، ومحمد كامل قُرَّه بللي، دار الرِّسالة العالَمية- بيروت، الطَّبعة الأُولى: **١٤٣٠**هـ/ **٢٠٠٩**م.

-«**السُّنن**» لمحمَّد بن يزيد القَزوِينِيِّ- المعروف بابن ماجه (ت. **٢٧٣**هـ) تحقيق: شعيب الأَرنَؤوط، وعادل مرشد... وغيرهما، دار الرِّسالة العالَمية- بيروت، الطَّبعة الأُولى: **١٤٣٠**هـ/ **٢٠٠٩**م.

-«**السُّنن الصغرى**» = «**المجتبى من السُّنَن المُسنَدة**»

-«**سلاح المؤمن في الدعاء والذكر**» لأبي الفتح محمد بن محمد المصري- المعروف بابن الإمام (ت. **٧٤٥**هـ) تحقيق: محيي الدِّين مستو، دار ابن كثير- دمشق، ودار الكَلِم الطَّيب- بَيروت، الطبعة الأولى: **١٤١٤**هـ/ **١٩٩٣**م.

-«**سَيكولوجية الجماهير** Psychologie des Foules» لگوستاگ لو بون، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، دار الساقي- لندن: **٩٩١١**م.

-«**شرح الإرشاد في أصول الاعتقاد**» لتقي الدين المظفَّر بن عبد اللَّه المصري- المعروف بالمُقتَرَح (ت. **٦١٢**هـ) تحقيق: نزيهة امعاريج، الرابطة المحمَّدية للعُلَماء، مركز الإمام الأشعري للبحوث والدِّراسات العقَدية- تطوان، الطبعة الأولى: **١٤٣٥**هـ/ **٢٠١٤**م (ذخائر من التراث الأشعري: ١).

www.alimamaltayeb.com

-«**شرح السُّنَّة**» لأبي محمد الحسين بن مسعود البغَوي (ت. ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وزهير الشاويش (ت. ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

-«**شرح العقيدة الطَّحاويَّة**» لصدر الدين محمد (أو علي) بن علي الدِّمشقي- المعروف بابن أبي العزِّ (ت. ٧٩٢هـ) تحقيق: جماعة من العُلماء، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة التاسعة: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

-«**شرح العقائد العضُدية**» لجلال الدين محمد بن أسعد الدَّوَّاني (ت. ٩١٨هـ) مع حاشية إسماعيل بن مصطفى الگَلنبوي (ت. ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) وغيره، مطبعة در سعادت- إسطنبول: ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م.

-«**شرح العقائد النَّسَفيَّة**» لسَعد الدِّين التَّفتازانيِّ، مطبعة محمد علي صُبيح، القاهرة: ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

-«**شرحُ عقيدة مالك الصَّغير ابن أبي زيد القيرواني**» للقاضي عبد الوهَّاب بن نَصر البغدادي (ت. ٤٢٢هـ) دراسة وتحقيق: محمد بوخُبزة، وبَدر العمراني، مركز أبي الحسن الأشعري للدِّراسات والبحوث العقديَّة، الرَّابطة المحمديَّة للعلماء، تِطوان: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م (ذخائر من التراث الأشعري: ٢).

-«**شرح القواعد الفقهية**» لأحمد بن محمد الزرقا (ت. ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) تصحيح وتعليق: مصطفى أحمد الزرقا (ت. ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) دار القلم- دمشق، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

-«**شرح الكوكب المنير**» لمحمد بن أحمد الفُتُوحي- المعروف بابن النَّجَّار (ت. ٩٧٢هـ) تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

-«**شرح المقاصِد**» لسعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، وتصدير: صالح موسى شرف (ت. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) دار عالَم الكتب- بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

-«**شرح المواقف**» للشَّريف الجرجاني، تصحيح: محمد بدر الدِّين النعساني (ت. ١٣٦٢هـ/

www.alimamaltayeb.com

١٩٤٣م) مطبعة السعادة- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

وكذلك رجعتُ في مواضعَ إلى الطبعة التي صحَّحها محمد قُطَّة العَدَوي (ت. ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م) دار الطِّباعة العامرة ببولاق: ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م، وأشرتُ إليها بـ«ط. قُطَّة العَدَوي».

-«**الشريعة الإسلاميَّة: تاريخُها، ونظرية المِلكية والعُقود**» لبدران أبو العينين بدران (ت. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) مؤسَّسة شباب الجامعة للطِّباعة والنَّشر- الإسكندريَّة: ١٩٨٦م.

-«**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**» للقاضي عياض، تحقيق: عبده علي كوشك (ت. ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م) جائزة دُبَي الدَّولية للقرآن الكريم، وحدة البُحوث والدِّراسات، الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م (سلسلة دراسات السيرة النبوية).

-«**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**» لابن قيِّم الجَوزيَّة، تصحيح: محمد بدر الدِّين النعساني، المطبعة الحُسَينية المصرية: ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م.

- «**صحيح ابن خُزَيمة**»= «**مختصر المختصر...**».

-«**صحيح البخاريِّ**»= «**الجامع المُسنَد الصَّحيح المُختَصَر...**».

-«**صحيح مسلم**»= «**المُسْنَدُ الصَّحيحُ المُختَصَر...**».

-«**ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية**» لمحمد سعيد رمضان البوطي (ت. ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

-«**عارضة الأحوذي في شرح التِّرمذي**» لابن العربي، تصحيح: عبد اللَّه الصاوي (ت. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م) المطبعة المصرية، ومطبعة الصاوي- القاهرة: ١٣٥٠- ١٣٥٣هـ/ ١٩٣١- ١٩٣٤م.

-«**العبادات الإسلامية: مقارَنة على المذاهب الأربعة**» لبدران أبو العينين بدران، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية: ١٩٨٥م.

-«**العبادة: دراسة منهجية شاملة في ضوء الكتاب والسنة**» لمحمد أبو الفتح البيانوني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة، الطبعة الأُولى: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

-«**العبودية**» لابن تيميَّة، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة السابعة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

www.alimamaltayeb.com

-«**العُدَّة في أصول الفقه**» لأبي يعلى محمد بن الحسين الفرَّاء (ت. ٤٥٨هـ) تحقيق: أحمد المباركي- الرياض، الطبعة الثانية: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

-«**عقيدةُ أبي بكر المُرادي الحَضرَمي** (ت. ٤٨٩هـ)» تحقيق: جمال البَختي، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز أبي الحسن الأشعري للبحوث والدراسات العقَدية- تطوان، الطبعة الأُولى: ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م (ذخائر من التُّراث الأشعري المغربي: ٢).

-«**العقيدة الإسلامية: خصائصها، وآثارها**» لعبد الحليم أحمدي: طبعة خاصَّة (د.ت).

-«**عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية: دراسة لأصولها الدِّينية، وأدلَّتها العقلية، وشواهِدها التاريخية، وإبطال لحركات التنبُّؤ بعد النبي قديمًا وحديثًا**» لعثمان عبد المنعم عيش (ت. ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) مكتبة الأزهر- القاهرة: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

-«**عقيدة المسلم**» لشيخنا محمد الغزالي أحمد السَّقَّا (ت. ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) دار الكتب الحديثة- القاهرة: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

-«**العقيدة الواسطية**» لابن تيميَّة، مع شرح محمد خليل هرَّاس (ت. ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) دار الاعتصام- القاهرة (د.ت).

-«**العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية**» لأبي الحسن الندوي، دار القلم- الكوَيت، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

-«**عمدة القاري في شرح البُخاري**» لبدر الدِّين محمود بن أحمد العَيني (ت. ٨٥٥هـ) تصحيح: مجموعة من العُلماء، إدارة الطباعة المنيرية- القاهرة: ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م.

-«**غريب الحديث**» لأبي محمد عبد اللَّه بن مُسلِم الدِّينَوَري- المعروف بابن قتيبة (ت. ٢٧٦هـ) تحقيق: عبد اللَّه الجُبوري (ت. ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م) وزارة الأوقاف- بغداد، الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م (إحياء التُّراث الإسلامي: ٢٣).

-«**غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر**» لشهاب الدِّين أحمد بن محمد الحمَوي (ت. ١٠٩٨هـ) دار الكتب العلمية! بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

-«**الغُنية في الكلام**» لأبي القاسم سلمان بن ناصر النيسابوري (ت. ٥١٢هـ) تحقيق: مصطفى عبد الهادي، دار السلام للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع والتَّرجمة- القاهرة، الطبعة الأُولى: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م (قسم الإلهيات فقط).

www.alimamaltayeb.com

-«**فتح الباري بشرح البخاري» لأبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني- المعروف بابن حجر (ت. ٨٥٢هـ) اعتناء: محب الدِّين الخطيب (ت. ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ومحمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٧٩- ١٣٩٠هـ/ ١٩٦٠- ١٩٧٠م.**

-«**الفصول في الأصول**» للجصَّاص، تحقيق: عجيل النشمي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م (التُّراث الإسلامي: ١٤).

-«**الفلسفة القرآنيَّة**» لعبَّاس محمود العقَّاد (ت. ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م) طُبع ضِمن المجموعة الكاملة لمؤلَّفات العقَّاد، دار الكتاب اللُّبناني- بيروت: ١٩٧٤م.

-«**فيصلُ التَّفرقة بين الإسلام والزَّندقة**» للغزالي، تحقيق: شيخنا سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) القاهرة: ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

-«**فيض القدير بشرح الجامع الصغير**» لعبد الرءوف المُناوي، المكتبة التجارية الكبرى- القاهرة: ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

-«**قصَّة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن**» لنديم بن حسين الجسر الطرابُلسي (ت. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثالثة: ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

-«**قضيَّةُ التَّوحيد بين الدِّين والفلسفة**» لمحمد السيد الجَلَيند، مكتبة الشباب-القاهرة: ١٩٨٦م.

-«**القواطع في أصول الفقه**» لأبي المظفر السمعاني، باعتناء: صالح حمُّودة، دار الفاروق- عمَّان، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

-«**قواعدُ الأحكام في مصالِح الأنام (القواعد الكُبرى)**» لعزِّ الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام الدمشقي (ت. ٦٦٠هـ) تحقيق: نزيه حمَّاد، وعثمان جمعة ضميرية (ت. ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م) دار القلم- دمشق، الطبعة الأُولى: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

-«**القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية**» لمحمد بن أحمد الغِرناطي- المعروف بابن جُزَيٍّ (ت. ٧٤١هـ) تحقيق: محمد مولاي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكوَيت، الطبعة الأُولى: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

-«**القول السَّديد في عِلم التَّوحيد**» لمحمود إسماعيل أبو دقيقة (ت. ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) تعليق: شيخنا عوض اللَّه جاد حجازي (ت. ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) مجمع البحوث الإسلامية- القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

www.alimamaltayeb.com

-«**الكامل في اختصار الشَّامِل**» لموسى بن الأمير التبريزي (ت. ٧٣٦هـ) -وهو مختصر «الشَّامِل في أصول الدِّين» للجوَيني- تحقيق: جمال عبد المنعم، دار السلام للطِّباعة والنشر والتَّوزيع والتَّرجمة- القاهرة، الطبعة الأُولى: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

-«**كبرى اليقينيَّات الكونية: وجود الخالق، ووظيفة المخلوق**» لمحمد سعيد البوطي، دار الفكر- دمشق، ودار الفكر المُعاصِر- بيروت، الطبعة الثامنة: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

-«**كتاب التَّوحيد**» **لأبي منصور محمد بن محمد الماتُريدي، تحقيق: بكر طُوبال أوغلي، ومحمَّد آروتشي Muhammet Aruçi (ت. ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م) دار صادر- بيروت، ومكتبة الإرشاد- إسطنبول، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.**

-«**كتاب الحدود في الأصول**» لأبي بكر محمد بن الحسن الأصبهاني- المعروف بابن فورك (ت. ٤٠٦هـ) تعليق وتقديم: محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأُولى: ١٩٩٩م.

-«**كتاب الحدود في الأصول**» لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت. ٤٧٤هـ) تحقيق: نزيه حمَّاد، مؤسسة الزُّعبي للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

-«**كتاب الحدودِ الكلاميَّة والفِقهيَّة على رأيِ أهلِ السُّنَّة الأشعريَّة**» ومعه «**مسألةُ الشَّارِعِ في القرآنِ**» لأبي بكر محمد بن سابِق الصِّقِّلي (ت. ٤٩٣هـ) تحقيق وتقديم: محمد الطَّبراني، دار الغرب الإسلامي- بيروت وتونس، الطبعة الأُولى: ٢٠٠٨م.

-«**كتاب الدُّعاء**» لأبي عبد اللَّه الحسين بن إسماعيل المَحامِلي (ت. ٣٣٠هـ) تحقيق: سعيد القزقي، دار الغرب الإسلامي- بيروت وتونس، الطبعة الأولى: ١٩٩٢م.

-«**كتاب الدُّعاء**» **لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطَّبراني (ت. ٣٦٠هـ) تحقيق: محمد سعيد البخاري، بإشراف: السَّيِّد أحمد صقر (ت. ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) دار البشائر الإسلاميَّة- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.**

-«**كتاب الصلاة**» لأبي نُعَيم الفضل بن دُكَين (ت. ٢١٩هـ) تحقيق: صلاح بن عايض الشلاحي، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

-«**كتاب الغريبين في القرآن والحديث**» لأبي عُبَيْد أحمد بن محمد الهروي (ت. ٤٠١هـ) مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

www.alimamaltayeb.com

-«**الكتاب المتوسِّط في الاعتقاد، والرَّد على من خالف السُّنَّة من ذوي البِدَع والإلحاد**» لأبي بكر ابن العربي، تحقيق: عبد اللَّه التوراتي، دار الحديث الكَتَّانيَّة- بيروت وطنجة، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م (أعلاق أندلسية- إشبيلية: ٢، سلسلة مؤلَّفات الإمام أبي بكر ابن العربي: ٢).

-«**الكشف عن مناهج الأدِلَّة في عقائد المِلَّة، وتعريف ما وقع فيها بحسَب التأويل من الشُّبَه المزيِّفة والبِدع المُضِلَّة**» لأبي الوليد محمد بن أحمد القُرطُبي- المعروف بابن رُشد (ت. ٥٩٥هـ) تقديم وتحقيق: محمود قاسم (ت. ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) مكتبة الأنگلو المصريَّة- القاهرة: ١٩٥٥م.

-«**الكُلِيَّات**» لأبي البقاء أيوب بن موسى الكَفَوي (ت. ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش (ت. ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) ومحمد المصري (ت. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) مؤسسة الرِّسالة- بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

-«**الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري**» لشمس الدِّين محمد بن يوسف الكِرماني (ت. ٧٨٦هـ) تصحيح: محمد محمد عبد اللَّطيف- المعروف بابن الخطيب (ت. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) المطبعة البهيَّة- القاهرة، الطَّبعة الأُولى: ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧، ١٩٣٨م.

-«**لُباب الكلام**» لعلاء الدين محمد بن عبد الحميد السَّمرقندي الأُسمندي (ت. بعد ٥٥٣هـ) تحقيق محمد سعيد أوزروارلي، وقف الدِّيانة التُّركي، مركز البحوث الإسلاميَّة ISAM- إسطنبول، الطبعة الأُولى: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

-«**لسان العرب**» لجمال الدين محمد بن مكرَّم الإفريقي- المعروف بابن منظور (ت. ٧١١هـ) دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

-«**لقط المَرجان في أحكام الجان**» لجلال الدِّين السُّيوطي، تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن- القاهرة (د.ت).

-«**اللُّمَع**» لأبي نصر عبد اللَّه بن علي الطُّوسي- المعروف بالسَّرَّاج (ت. ٣٧٨هـ) تحقيق: محمد أديب الجادر، دار الفتح للدِّراسات والنشر، عمَّان: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

-«**اللُّمَع في الرَّدِّ على أهل الزَّيغ والبِدَع**» لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: حمُّودة زكي غرابة (ت. ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) مطبعة مصر- القاهرة: ١٩٥٥م.

www.alimamaltayeb.com

-«**لمَحات في وسائل التَّربية الإسلاميَّة وغاياتها**» لمحمد أمين المصري (ت. ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) دار الفكر- دمشق: ١٩٧٨م.

-«**لوامع البيِّنات شرح أسماء اللَّه -تعالى- والصِّفات**» لفخر الدِّين محمد بن عمر الرازي (ت. ٦٠٦هـ) اعتناء: محمد بدر الدِّين النعساني، المطبعة الشرفية- القاهرة: ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م.

-«**المباحثُ العقليَّة في شرح معاني العقيدة البُرهانيَّة**» لأبي الحسن عليّ بن عبد الرَّحمن اليَفْرني (ت. ٧٣٤هـ) تحقيق: جمال البختي، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز أبي الحسن الأشعري للبحوث والدراسات العقَدية- تطوان، الطبعة الأُولى: ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م (ذخائر من التُّراث الأشعري المغربي: ٧).

-«**المباحث المشرقية**» لفخر الدِّين الرازي، تصحيح: زين العابدين الموسَوي وآخرين، مجلس دائرة المعارف النِّظامية- حيدر آباد: ١٣٤٣هـ.

-«**المُبين في شرح معاني ألفاظ الحُكماء والمتكلِّمين**» لسيف الدِّين عليّ بن محمد الآمِدي (ت. ٦٣١هـ) تحقيق وتقديم: حسن الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

-«**المجتبى من السُّنَن المُسنَدة**» لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت. ٣٠٣هـ) اعتناء: عبد الفتاح أبو غُدَّة (ت. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) مكتب المطبوعات الإسلامية- حلَب، ودار البشائر الإسلامية- بَيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

-«**مُجرَّد مقالات الشَّيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري**» مِن إملاء ابن فُورَك، تحقيق: دانيال جيماريه Daniel Gimaret (بحوثٌ ودراسات: مجموعةٌ تُنشَر بإشراف كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة في جامعة القِدِّيس يوسف، بيروت- سلسلة جديدة: أ، اللُّغة العربيَّة والفكر الإسلامي: ١٤) دار المشرق- بيروت: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

-«**مجموع الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية**» لجماعة من العلماء، تصحيح: بعض أفاضل العلماء! مطبعة كُردستان العلمية، القاهرة: ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

-«**مجموع الفتاوى**» لابن تيمية، باعتناء: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثالثة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

-«**مجموعة الرسائل الكبرى**» لابن تيمية، مكتبة محمد علي صُبَيح- القاهرة: ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

- «**محاضرات في العقيدة الإسلاميَّة**» لأحمد البهادِلي، دار التعاون للمطبوعات-بيروت: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

www.alimamaltayeb.com

-«**المحصول في أصول الفقه**» لابن العربي، دار البيارق، عَمَّان، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

-«**المختصَر في أصول الدِّين**» = «**ابن طلحة اليابُرِي..**».

-«**المختصر الكلامي**» لأبي عبد اللَّه محمد بن محمد التونسي- المعروف بابن عرفة (ت. ٨٠٣هـ) تحقيق: نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة- تونس: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

-«**مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي: بنقل العدل عن العدل، موصولًا إليه صلى اللَّه عليه وسلم من غير قطع في أثناء الإسناد، ولا جرح في ناقلي الأخبار**» لأبي بكر محمد بن إسحاق النَّيسابوري- المعروف بابن خُزَيمة (ت. ٣١١هـ) تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي (ت. ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م) الكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

-«**المخصَّص**» لأبي الحسن علي بن إسماعيل المُرسي- المعروف بابن سِيدَه (ت. ٤٥٨هـ) تصحيح: محمد محمود الشنگيطي (ت. ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م) وعبد الغني محمود (ت. ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م) كما شارك في تصحيح بعض ملازمه: محمد عبده (ت. ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م) وأشرف على طبعه: طه قطرية، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق المحمية: ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م.

-«**مداخل إلى العقيدة الإسلامية**» ليحيى هاشم فرغل، مطبعة التقدم- طنطا: ١٩٨٥م.

-«**المدخل لدراسة القرآن الكريم**» لمحمد محمد أبو شهبة (ت. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) دار اللواء- الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

-«**المدخل للتَّشريع الإسلامي: نشأته، أدواره التاريخية، مستقبله**» لمحمد فاروق النبهان، وكالة المطبوعات- الكويت، ودار القلم، بيروت: ١٩٨١م.

-«**مراتبُ الإجماعِ في العبادات والمعاملات والاعتقادات**» لابن حَزم، دار الكتب العلمية! بيروت (د.ت).

-«**مراصِد الصِّلات في مقاصد الصَّلات**» لقطب الدِّين محمد بن أحمد القسطلَّاني (ت. ٦٨٦هـ) اعتناء: محمد المنشاوي، دار الفضيلة- القاهرة: ١٩٩٤م.

-«**المسامرة بشرح المسايرة في العقائد المُنجية في الآخِرة**» لكمال الدين محمد بن محمد

www.alimamaltayeb.com

المقدسي- المعروف بابن أبي الشريف (ت. ٩٠٦هـ) حققه: صلاح الدِّين الحِمصي، دمشق: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م (بدون ذِكر اسم المطبعة أو النَّاشر).

-«**المستدرَك الجامع الصحيح على شرط الإمامين: محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القُشيري - أو واحد منهما- مما لم يخرِّجاه**» لأبي عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه النيسابوري- المعروف بالحاكم (ت. ٤٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من الباحثين المصريين، دار المَيمان- الرياض، الطَّبعة الأُولى: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

-«**المُستصفى في علم الأصول**» للغزالي، تحقيق: محمد سليمان الأشقر (ت. ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) مؤسسة الرسالة- بيروت، الطَّبعة الأُولى: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

-«**المسنَد**» لأبي عبد اللَّه أحمد بن حنبل الشيباني (ت. ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأَرنَؤوط، وعادل مرشد، وغيرهما، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطَّبعة الأُولى: ١٤١٣- ١٤٢١هـ/ ١٩٩٣- ٢٠٠١م.

-«**المُسنَد**» لأبي محمد عبد اللَّه بن عبد الرحمن الدارِمي (ت. ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين أسد، دار المغني للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

-«**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم**» لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت. ٢٦١هـ) اعتناء: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية (محمد عيسى البابي الحلبي) القاهرة: ١٣٧٥، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٥، ١٩٥٦م.

-«**مشارق الأنوار على صحاح الآثار**» للقاضي عياض، طبعة فاس: ١٣٢٨ - ١٣٣٣هـ/ ١٩١٠- ١٩١٥م.

-«**مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نصَّ فيه**» لعبد الوهاب خلاف، دار القلم- الكويت، الطبعة السابعة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

-«**المطالب القُدُسيَّة في أحكام الرُّوح وآثارِها الكَونيَّة**» لمحمد حسنين مخلوف العَدَوي (ت١٣٥٥,هـ/ ١٩٣٦م) شَرِكة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلَبي وأولاده- القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

-«**معالم السنن**» لأبي سليمان حمد بن محمد الخَطَّابي (ت. ٣٨٨هـ) تصحيح: محمد راغب الطبَّاخ (ت. ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) المطبعة العلمية- حلب، الطبعة الأولى: ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

www.alimamaltayeb.com

-«**معاني القرآن**» لأبي زكريا يحيى بن زياد الكوفي- المعروف بالفرَّاء (ت. ٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسُف نجاتي (ت. ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) ومحمد علي النَّجّار (ت. ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) وعبد الفتَّاح إسماعيل شلبي (ت. بعد ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) دار الكتب المصرية، والهَيئة المصرية العامَّة للكتاب- القاهرة: ١٣٧٤- ١٣٩٢هـ/ ١٩٥٥- ١٩٧٢م.

-«**معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية**» لفريق من الأساتذة والباحثين، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان- أبو ظبي: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

-«**مفاتيح الغيب** (التفسير الكبير)» للفخر الرازي، اعتناء: عبد اللَّه الصاوي، المطبعة البهيَّة المصرية- القاهرة: ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

-«**مفرَدات ألفاظ القرآن**» للحُسَين بن محمد الأصفهاني- المعروف بالراغب (ت. في حدود ٤٢٥هـ) تحقيق: صفوان داودي، دار القلم- دمشق، والدار الشامية- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

-«**مقاصد الشريعة الإسلامية**» لمحمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة (ت. ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الدَّوحة، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

-«**مقاصدُ الشَّريعة الإسلاميَّة الخاصة بالتصرفات المالية**» لعزِّ الدِّين بن زغِيبة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث- دبي، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

-«**مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها» لعلال بن عبد الواحد الفاسي (ت. ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) دار الغرب الإسلامي- بيروت وتونس، الطبعة الخامسة: ١٩٩٣م.**

-«**المقدِّمة**» لعبد الرحمن بن محمد التونسي- المعروف بابن خلدون (ت. ٨٠٨هـ) تحقيق: على عبد الواحد وافي (ت. ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتَّوزيع- القاهرة: ١٩٧٩م.

-«**مقدِّمات المراشِد إلى عِلم المقاصِد**» لأبي الحسن علي بن محمَّد السَّبتي- المعروف بابن خمير (ت. ٦١٤هـ) تحقيق: جمال البَختي، مطبعة الخليج العربي- تِطوان، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

-«**مقدمة في علم الأخلاق**» لأستاذنا محمود حمدي زقزوق، دار القلم- الكويت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

www.alimamaltayeb.com

-«**المقصِد الأسنى في شرح معاني أسماء اللَّه الحُسنى**» للغزالي، تحقيق: بسَّام عبد الوَهَّاب الجابي (ت. ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م) الجفَّان والجابي للطباعة والنشر- بيروت وقُبرص، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

-«**مناهل العرفان في علوم القرآن**» لمحمد عبد العظيم الزُّرقاني (ت. ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة: ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م.

-«**المنثور في القواعد**» لابن بهادر الزركشي، تحقيق: تيسير فائق، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م (أعمال موسوعية مساعدة- تحقيق التُّراث الفقهي: ١).

-«**المنقذ من الضلال**» للغزالي، تحقيق: اللَّجنة العِلميَّة بمركز دار المِنهاج للدِّراسات والتحقيق العِلمي- جدَّة، مشيخة الأزهر الشَّريف- القاهرة، وسقيفة الصَّفا العِلميَّة- لبوان، طبعة خاصَّة بالأزهر الشريف: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

-«**المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**» للنَّووي، المطبعة المصرية- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٤٧- ١٣٤٩هـ/ ١٩٢٩، ١٩٣٠م.

-«**الموافَقات**» لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت. ٧٩٠هـ) تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن عفَّان- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

-«**المواقف**» لعضُد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل- بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.

-«**موجَز في أصول الدِّين**» لمحمد باقر الصدر (ت. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) بيروت: ١٩٨٧م.

-«**الموطَّأ**» لمالك بن أنس الأصبحي (ت. ١٧٩هـ) برواية سوَيد بن سعيد الحدَثاني (ت. ٢٤٠هـ) تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي- بيروت وتونس، الطبعة الأولى: ١٩٩٤م.

-«**ميزان العمل**» للغزالي، حققه وقدم له: شيخنا سليمان دنيا، دار المعارف- القاهرة: ١٩٦٤م.

-«**الميزان في تفسير القرآن**» لمحمد حسين الطَّباطبائي (ت. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) تصحيح: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

www.alimamaltayeb.com

-«**نِبراسُ العُقول في تحقيق القِياس عند عُلماء الأصول**» لعيسى يوسُف منُّون (ت. ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) نشرته إدارة الطباعة المنيريَّة، وطبعته مطبعة التَّضامُن الأخَوي- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م.

-«**النَّبي الخاتم: بحث علمي ودراسة تحليلية في اختتام النُّبوَّة وانقطاعها بعد محمَّد صلى اللَّه عليه وسلم في ضوء الكِتاب والسُّنَّة وتاريخ الدِّيانات وفلسفة الاجتماع**» لأبي الحسن النَّدوي، المجمع الإسلامي العلمي- لكنهؤ: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

-«**نشرُ الطَّوالِع** شرح «طوالع الأنوار من مطالع الأنظار» لناصر الدين عبد اللَّه بن عُمر البيضاوي (ت. ٦٩١هـ)» لمحمد بن أبي بكر المرعشي- المعروف بساجُقلي زاده (ت. ١١٤٥هـ) تحقيق: محمد يوسف إدريس، دار النور المبين- عمَّان، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

-«**نظام الإسلام: العقيدة والعبادة**» لمحمد عبد القادر المبارك (ت. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) دار الفكر- بيروت: ١٩٨١م.

كما رجعتُ إلى طبعة دار الشروق- جدَّة: ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، وأُشيرُ إليها بـ«ط. الشروق»

-«**النظريَّة العامَّة للشَّريعة الإسلاميَّة**» لجمال الدِّين عَطيَّة (ت. ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م) مطبعة المدينة- القاهرة: ١٩٨٨م.

-«**نظم الدُّرَر السنيَّة في السِّيَر الزكيَّة**» لزين الدين عبد الرحيم بن الحُسَين العِراقي (ت. ٨٠٦هـ) تحقيق: محمد بن علَوي المالكي (ت. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) دار المنهاج للنشر والتوزيع- جدَّة، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

-«**النُّكَت والعُيون**» لأبي الحسن علي بن محمد الماوَردي (ت. ٤٥٠هـ) دار الكتُب العلمية! ومؤسَّسة الكتب الثقافية! بيروت (د.ت)

-«**نهاية العقول في دراية الأصول**» للفخر الرازي، اعتناء: سعيد فودة، دار الذخائر- بيروت، الطبعة الأُولى: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

-«**النهاية في غريب الحديث والأثر**» لمجد الدِّين المبارك بن محمد الجزَرِي-المعروف بابن الأثير (ت. ٦٠٦هـ) تحقيق: أحمد الخرَّاط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الدَّوحة، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

www.alimamaltayeb.com

-«**النور المبين في قواعد عقائد المسلمين**» لابن جُزيٍّ الغَرناطي، اعتناء: نزار حمَّادي، دار الضياء للنشر والتَّوزيع، الكويت، ودار الإمام ابن عرفة، تونُس، الطبعة الأُولى: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

-«**هذا دِينُنا**» لشيخنا محمد الغزالي، دار القلم- دمشق: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

❊ ❊ ❊

المصادر الفرنسيَّة:

«Les opinions et les croyances»

Dr Gustave Le Bon, Paris: Ernest Flammarion, Editeur, 1918, Biblioheque de Philosophique.

www.alimamaltayeb.com

الكشَّافات العامَّة

كشّاف الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	٢	١٥٣
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	٢١	١٧٩
﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	٢٣	١١٤
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾	٩٨	١٣٠
﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	١٠٠	١٤٧
﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	١٣٠	٩٨

www.alimamaltayeb.com

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	١٧٧	١٨٥، ١٨٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٨٣	١٧٩، ١٩٨
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ . . .﴾	١٨٥	١٩٨، ٢١٠
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾	١٨٦	١٩٠
﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾	٢٢٥	٢٦١
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾	٢٤٦	٩٤
﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾	٢٥٥	١٦٤

www.alimamaltayeb.com

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾	٢٥٧	٢٨٠
﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٢٨٢	٧٠
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾	٢٨٥	١٢٧
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	٢١٠

سورة آل عمران

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾	١٩	١٢٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٣٣	٩٨
﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	٤٩	١٢١
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	٨٥	١٢٣
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	١٩٠، ١٩١	١٨١، ١٨٧

سورة النساء

﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ﴾	١١	٢٢٦

www.alimamaltayeb.com

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾	٢٤	٢٢٦
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾	٢٨	٢١٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾	٤٠	٨١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾	٥٩	٢٠٦، ٢٢٥
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾	٦٣	٨٢
﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ . . .﴾	٦٤	٢٠٦
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾	١٠٣	١٩٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾	١١٦	٢٠٥
﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾	١٣٦	١٢٧
﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	١٥٥	٢٨٠

www.alimamaltayeb.com

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾	١٦٠	٢٣٥
﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	١٦٤	٧٣

سورة المائدة

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾	٣	١١٩، ١٢٣، ٢١٧
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾	٨	٢٣٧
﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾	٤١	٧١
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	٤٨	٢٦٣

سورة الأنعام

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٤٣	١٩٠
﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾	٥٩	٧٠

www.alimamaltayeb.com

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾	٦١	١٣٣
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾	١٠٢، ١٠٣	٣٠
﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾	١٢٤	٩٩
﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾	١٤٦	٢٣٥
﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾	١٤٨	٧٩

سورة الأعراف

﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾	٨	١٦١

www.alimamaltayeb.com

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾	٥٥	١٩١
﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	١٩١
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾	٥٩	١٢١
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	٦٥	٩٧، ١٢١
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾	٧٣	٩٧، ١٢١
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾	٨٥	٩٧، ١٢١
﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ﴾	٨٩	٧٠
﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾	١١٦	١٠٩
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾	١٤٣	٣٠، ٧٣
﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾	١٤٤	٩٨
﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾	١٥٧	١٢٣

www.alimamaltayeb.com

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	١٢٠
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾	١٧٢	٣٤، ٣٥
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	١٨٠	٦٢
﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	١٨٨	٢٠٩
﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾	٢٠٥	١٨٧

سورة الأنفال

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾	٢٣	٨٣
﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾	٢٤	٢٠٦

www.alimamaltayeb.com

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢٧	٢٧٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾	٢٩	٢٨٠
﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٧٠	٨٣
﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٧٢	٢٨٤

سورة التوبة

﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾	٤	٢٨٥
﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾	٥	١٩٦
﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾	١١	١٩٦
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	٣١	٢٠٥

www.alimamaltayeb.com

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾	٧٧	٢٨٠
﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾	٨٠	١٦٤
﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	١٠٣	١٩١، ١٩٢
﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	١٠٥	٢٧٨

سورة هود

﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾	٣	٢٧٩
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	١٣	١١٤
﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾	١٠١	٨٠

سورة يوسف

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾	٥٣	٢٦٨

www.alimamaltayeb.com

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾	١٠٩	١٠٠

سورة الرعد

﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ . . .﴾	٥	١٥١، ١٥٣
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾	١١	١٣١، ١٣٣
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾	٢٨	١٨٧

سورة إبراهيم

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ . . .﴾	١٠	٤٨، ١٠٤، ١٠٥
﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾	٢٧	٢٨٠

سورة الحجر

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	٦، ٧	١٠٥
﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	١٢٢
﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٢٦ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾	٢٦، ٢٧	١٣٦

www.alimamaltayeb.com

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	٩٢، ٩٣	١٦٠

سورة النحل

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	٤٠	٧١
﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾	٥١	٦٧
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٦٠	٦٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	٩٠	٢٣٧، ٢٨٣
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	٩٧	٢٥
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾	١١٢	٢٧٩

سورة الإسراء

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	١	١١٦

www.alimamaltayeb.com

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾	٢٢	١٧٦
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾	٢٣	٢٠٥
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾	٣٦	٢٧٥
﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾	٤٤	٣٣، ٣٤
﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩)﴾	٤٩	١٥٢
﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾	٤٩- ٥١	١٥٦
﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٥٣	٢٨٣
﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾	٧٨	١٨٨
﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾	٧٩	١٦٦

www.alimamaltayeb.com

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	٨٨	١١٤
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾	١١٠	٦٢

سورة الكهف

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۚ﴾	٢٤	١٨٧
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾	٢٨	١٨٧
﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾	٤٧	١٥٩
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾	٥٠	١٣٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾	١٠٧	٢٥

www.alimamaltayeb.com

سورة مريم

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾	١٦- ١٩	١٣١
﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾	٤٧	٢٠٦
﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾	٦٦، ٦٧	١٥٧
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا﴾	٦٨	١٥٩
﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾	٧١، ٧٢	١٦٢

سورة طه

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾	١١- ١٤	٩٧

www.alimamaltayeb.com

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾	١٤	١٩٣
﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾	٤١	٩٩
﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾	٤٦	٧٣
﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾	١٠٩	١٦٤
﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾	١١١	٧٤
﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾	١٢٣	٩٧

سورة الأنبياء

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾	١	١٦٠
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٧	١٠٠
﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾	٢٨	١٦٤
﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾	٤٧	١٦١

www.alimamaltayeb.com

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾	١٠٤	١٥٩
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	١٢١

سورة الحج

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾	٥	١٥٦
﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾	٣١	٢٠٥
﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ﴾	٣٧	٢١٠
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	٤٩	١٢٠

سورة المؤمنون

﴿فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾	٢	٢٠٩
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	٢٣	٩٧
﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾	٣٤	١٠٥

www.alimamaltayeb.com

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾	٣٥- ٣٧	١٥٢
﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾	٥٢	٢٣٥
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٨٠	٧٢
﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾	٨٢- ٩٠	١٥٥
﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	٩١	٦٧

www.alimamaltayeb.com

سورة الفرقان

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾	٧، ٨	١٠٥
﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾	٥٨	٧٤

سورة النمل

﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	٦٤	٦٧

سورة القصص

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٤٤ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٤٥ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٤٤- ٤٦	١١٥

www.alimamaltayeb.com

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾	٨٨	٦٨، ٧٤

سورة العنكبوت

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾	١٦	٩٧
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٦٩	٢٧٩

سورة الروم

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٢٧	١٥٨
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٣٠	٣٥

سورة لقمان

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	٢٠٥

سورة السجدة

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾	١١	١٣٠، ١٣٣

www.alimamaltayeb.com

سورة الأحزاب

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾	٧	٩٥
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾	٤٠	١١٩
﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾	٧٢	٢٧٤

سورة سبأ

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾	٢	٧٠
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾	١٠	٣٤
﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾	١٧	٢٧٩
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢٨	١٢١

www.alimamaltayeb.com

سورة فاطر

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	١	١٣٠

سورة يس

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾	١٤	٩٥
﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾	١٥	١٠٤
﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾	٧٨	١٥٢
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾	٧٨، ٧٩	١٥٧

سورة الصافات

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٦	٧٧
﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ (١٥٠) أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	١٤٩- ١٥٥	١٢٩

www.alimamaltayeb.com

سورة ص

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ﴾	٤	١٠٥
﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾	٨	١٠٥

سورة الزمر

﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	١٧، ١٨	٣٨
﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	٦٥	٢٠٥

سورة غافر

﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	١٤	١٩١
﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾	٤٦	١٤٨
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾	٦٠	١٩٠
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾	٧٨	٩٤

سورة فصلت

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾	٣٠	١٣٣
﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾	٤١، ٤٢	١٢٢
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾	٤٦	٨٠
﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾	٥٣	٥٨

سورة الشورى

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	١١	٦٨، ٦٩
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾	١٣	٩٥، ٩٧

سورة الزخرف

﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾	١٩، ٢٠	١٢٩

سورة الجاثية

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾	٢٣، ٢٤	١٥٣

سورة الأحقاف

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾	١٨	١٣٧
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	٣٣	١٥٨
﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾	٣٥	٩٥

سورة محمد

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	١٩	١٥
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾	٢٤	١٨١

سورة ق

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾	٣	١٤٨

www.alimamaltayeb.com

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	١٥	١٥٨
﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٧، ١٨	١٣١
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾	٣٨	٧٢
﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾	٤٤	١٥٩

سورة الذاريات

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٢١	١٩
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾	٢٤- ٢٨	١٣١، ١٣٢
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٣٨، ١٧٧

سورة الطور

﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾	٣٥	٤٨، ٤٩

سورة القمر

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾	١	١١٦

www.alimamaltayeb.com

سورة الرحمن

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ ١٥ ١٣٦

سورة الواقعة

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ ٣٠- ٣٤ ١٦٩

سورة الحديد

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ...﴾ ٣ ٦٢، ٦٨

سورة المجادلة

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ ١ ٧٣

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ ١١ ٣٨

سورة الحشر

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ ٧ ٢٢٥

www.alimamaltayeb.com

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٢٢- ٢٤	٦٢، ٦٣

سورة التغابن

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾	١١	٢٨٠

سورة الطلاق

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾	٢، ٣	٢٧٩
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾	٤	٢٧٩

سورة التحريم

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	٦	١٣٢

سورة الملك

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾	١٠	٥٣

www.alimamaltayeb.com

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	١٤	٢٧٠

سورة القلم

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٩٩، ٢٦٥

سورة الحاقة

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ﴾	١٧	١٣٣
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ﴾	١٩	١٦١
﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ﴾	٢٥	١٦١

سورة الجن

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾	١، ٢	١٣٨
﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	٦	١٣٧
﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾	١١	١٣٨
﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ﴾	١٤	١٣٨

سورة المزمل

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾	٤	١٨٨

www.alimamaltayeb.com

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾	٢٠	٨٣
﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾	٢٠	١٨٨

سورة القيامة

﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾	١٤، ١٥	٢٦٨

سورة الإنسان

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾	١	١٥٧
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣	٢٥٧

سورة النازعات

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾	١٠، ١١	١٥٢
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾	٤٠، ٤١	١٦٩

سورة عبس

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾	١٥، ١٦	١٣١
﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾	٢٤- ٢٦	١٩

www.alimamaltayeb.com

سورة الانفطار

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ ١٠، ١١ ١٣٠

سورة الانشقاق

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ ١٠- ١٢ ١٦١

سورة الطارق

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ٥ ١٩

سورة الغاشية

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ ٢- ٧ ١٦٩
﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ ١٢- ١٥ ١٦٩

سورة البلد

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ٨- ١٠ ٢٦٨
﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ١٠ ٢٥٧

www.alimamaltayeb.com

سورة الشمس

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾	٧، ٨	٢٥٧، ٢٦٨

سورة العلق

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾	١٤	٧٣

سورة البينة

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾	٥	١٩٢

سورة الماعون

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣٤) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	١- ٥	١٩٢

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ (٤)﴾	١- ٤	٦٧
﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾	٢	٦٩

سورة الناس

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ (٥) مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾	٥، ٦	١٣٩

www.alimamaltayeb.com

كشَّاف الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
«اتق اللَّه حيثما كنت. . .»	أبو ذر الغفاري	**٢٨٣**
إخباره عن فتح خيبر	سهل بن سعد	**١١٨**
«ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم. . .»	أم المؤمنين عائشة	**٢٣٤**
«اقرءوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا. . .»	أبو أمامة الباهلي	**١٨٨**
«اكلفوا من الأعمال ما تطيقون»	أبو هريرة	**٢١١**
«الخيل معقود في نواصيها الخير»	أنس بن مالك	**١٤**
«الصوم نصف الصبر»	رجل من بني سليم	**٢٠١**
«إن الدين يسر. . .»	أبو هريرة	**٢١١**
«إن العبد إذا وضع في قبره. . .»	أنس بن مالك	**١٤٨**
«إن اللَّه لا يجمع أمتي على ضلالة»	ابن عمر	٢٣، ٢٢٨
«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه. . .»	أم المؤمنين عائشة	**٢٨٣**

www.alimamaltayeb.com

«إن أول ما خلق اللَّه القلم. . .»	عبادة بن الصامت	٧٧
«أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتابه ولقائه. . .»	أبو هريرة	٧٥، ١٢٨
«إن للَّه تسعة وتسعين اسما. . .»	أبو هريرة	٦٣
«إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقا»	عبد اللَّه بن عمرو	٢٦٥
«أنا أول الناس يشفع في الجنة. . .»	أنس بن مالك	١٦٥
«أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة. . .»	أبو هريرة	٩٦
انشقاق القمر	أنس بن مالك وعبد اللَّه ابن مسعود	١١٦، ١١٧
«إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا. . .»	-	١٥٩
«إنما الأعمال بالنيات. . .»	عمر بن الخطاب	٢٦١
«إنما القبر روضة من رياض الجنة. . .»	أبو سعيد الخدري	١٤٩
«إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»	أبو هريرة	٢٦٤
أنه -أي النبي- ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما. . .	أم المؤمنين عائشة	٢١١
«إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. . .»	عبد اللَّه بن عباس	١٤٩

www.alimamaltayeb.com

«بني الإسلام على خمسة...»	عبد اللَّه بن عمر	١٩٨
«بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»	جابر بن عبد اللَّه	١٩٣
حادثة سراقة بن مالك	سراقة بن مالك	١١٨
«حسن الخلق» جوابا على من سأله: أي العمل أفضل؟	أبو العلاء بن الشخير	٢٦٤
«حسنوا أخلاقكم»	معاذ بن جبل وأبو ذر الغفاري	٢٥٧
حنين جذع النخلة...	ابن عمر	١١٨
«خلقت الملائكة من نور...»	أم المؤمنين عائشة	١٢٩
«خمس صلوات افترضهن اللَّه تعالى...»	عبادة بن الصامت	١٩٣
رأيت رسول اللَّه ﷺ وحانت صلاة العصر...	أنس بن مالك	١١٧
«ربنا، إخواننا كانوا يصلون معنا...»	أبو سعيد الخدري	١٦٥
«رفع القلم عن ثلاث...»	عائشة وعلي بن أبي طالب ..	٢٧٥
«ساد ما بين الأفق»	أم المؤمنين عائشة	١٣٠
«عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير...»	صهيب الرومي	١٨٦

www.alimamaltayeb.com

فوالذي أذهب بصري، لقد رأيت
الماء يخرج. . . جابر بن عبد اللَّه ١١٧

«فيضرب الصراط بين ظهراني
جهنم. . .» أبو هريرة .... ١٦٢، ١٦٣

كان جبريل عليه السلام يتمثل
للنبي ﷺ في صورة إنسان عمر بن الخطاب ١٣١

«كل سلامى من الناس عليه
صدقة. . .» أبو هريرة ١٨٦

«كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته. . .» عبد اللَّه بن عمر ٢٧٦

«لا إيمان لمن لا أمانة له. . .» أنس بن مالك ٢٨٥

«لا تزول قدما عبد يوم القيامة
حتى يسأل. . .» أبو برزة الأسلمي ٢٧٥

«لا خير فيها، هي من أهل النار» أبو هريرة ٢٦٥

«لتأخذوا مناسككم. . .» جابر بن عبد اللَّه ٢٠٧

«لم يفقه من قرأ القرآن في أقل
من ثلاث» عبد اللَّه بن عمرو ١٨٩

«له ست مئة جناح» عبد اللَّه بن مسعود ١٣٠

www.alimamaltayeb.com

لو كنا مئة ألف لكفانا . . . جابر بن عبد اللَّه ١١٧

«لي خمسة أسماء: أنا محمد،
وأحمد. . .» جبير بن مطعم ١٢٠

«ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن
يوم القيامة من خلق حسن» أبو الدرداء ٢٦٤

«من أحدث في أمرنا هذا
ما ليس منه فهو رد» أم المؤمنين عائشة ٢٠٧

«هلك المتنطعون» عبد اللَّه بن مسعود ٢١١

«وابعثه مقاما محمودا
الذي وعدته» جابر بن عبد اللَّه ١٦٦

«وإني خلقت عبادي حنفاء
كلهم. . .» عياض المجاشعي ٣٧

«وجعلت لي الأرض مسجدا
وطهورا. . .» جابر بن عبد اللَّه ١٩٤

«وصلوا كما رأيتموني أصلي» مالك بن الحويرث ٢٠٧

وصيته ﷺ لعبد اللَّه بن عمرو. . . عبد اللَّه بن عمرو ١٨٩

يا أيها الناس، إن اللَّه لم يبعث
بعد نبيكم نبيا. . . عمر بن عبد العزيز ..... ١٢١، ١٢٢

www.alimamaltayeb.com

«يا عبادي إني حرمت الظلم
على نفسي. . .» أبو ذر الغفاري .... **٨٠**، ٨١

«يحرم من الرضاع ما يحرم
من النسب» عبد اللَّه بن عباس **٢٢٦**

www.alimamaltayeb.com

كشَّاف الأعلام(*)

العلَم	رقم الصفحة
آدم (عليه السلام)	٩٤، ٩٨، ١٢٩، ١٣٨، ١٦٧
إبراهيم (عليه السلام)	٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٣١، ١٣٢، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٧، ٢٠١، ٢٦٣
إبليس (لعنه اللَّه)	١٣٨
ابن تيميَّة ٧٢٨هـ	٣٣، ٣٤، ١٠٨، ١٣٦، ١٦٧، ١٧٤
ابن عَقيل (أبو الوفاء ٥١٣هـ)	١٣٧
ابن قيِّم الجَوزيَّة ٧٥١هـ	٣٦
أبو حنيفة (النُّعمان بن ثابت ١٥٠هـ)	٢٢٠
أحمد بن حنبل ٢٤١هـ	٢٢٠
إدريس (عليه السلام)	٩٤

(*) اكتفَينا في هذا الكشَّاف بالمكتوب في الأصل دون حواشيه، ولم نذكر فيه اسم رسولنا محمد ﷺ لشيوع ذكره في هذا الكتاب.

www.alimamaltayeb.com

إسحاق (عليه السلام) ٩٤
إسماعيل (عليه السلام) ٩٤
الأشعري (أبو الحسن ٣٢٤هـ) ١٠٧
إلياس (عليه السلام) ٩٤
اليسع (عليه السلام) ٩٤
أنسُ بنُ مالكٍ ٩٣هـ ١١٧
الإيجي (عضُد الدين ٧٥٦هـ) ١٤٩
أيُّوب (عليه السلام) ٩٤
البغدادي (عبد القاهر ٤٢٩هـ) ٦٥
جابر بن عبد اللَّه ٧٨هـ .... ١١٧، ١١٨
جبريل (عليه السلام) .... ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣
الجوَيني (إمام الحرمَين ٤٧٨هـ) ١٣٥
داوُد (عليه السلام) .... ٣٤، ٩٤
ذو الكِفل (عليه السلام) ٩٤
الرازي (فخر الدين ٦٠٦هـ) .... ٣٣، ١٥٨
الرقيب (أحد الملائكة) ١٣١
زكريَّا (عليه السلام) ٩٤
زَيد بن ثابت ٤٥هـ ٢١٩
سُراقة بن مالك ٢٤هـ ١١٨

www.alimamaltayeb.com

سُقراط (Socrates)- ٣٩٩ق. م ٢٥٦
سُلَيمان (عليه السلام) ٩٤
الشافعي (الإمام ٢٠٤هـ) ٢٢٠
شُعَيب (عليه السلام) .... ٩٤، ٩٧، ١٢١
شكسبير (William Shakespeare) ١٦١٦م ... ٥٢
صالح (عليه السلام) .... ٩٤، ٩٧، ١٢١
عائشة (أم المؤمنين ٥٨هـ) ١٣٠
عبد اللَّه بن عبَّاس ٦٨هـ ٢١٩
عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ٦٥هـ ..... ١٨٩، ٢١٩
عبد اللَّه بن مسعود ٣٢هـ .... ١٣٠، ٢١٩
عُبَيد الله بن عُمر (العُمَري ١٤٧هـ) ١٢١
العتيد (أحد الملائكة) ١٣١
عُمَر بن عبد العزيز ١٠١هـ ١٢١
عيسى ابن مريم (عليهما السلام) .... ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١١٢، ١١٣، ١٢١، ١٣١، ١٣٢، ١٦٧، ١٩٩، ٢٦٣
الغزالي - ٥٠٥هـ .... ٢٤٩، ٢٥٧
لوبون، گوستاڤ (Gustave Le Bon- ١٩٣١م) ١١، ١٢، ١٣

www.alimamaltayeb.com

لوط (عليه السلام) ٩٤

مالك بن أنس ١٧٩هـ ٢٢٠

مريَم (عليها السلام) ١٣١

ملَك المَوت (عليه السلام) .... ١٣٠، ١٣٣

موريسون، إبراهام كريسي (Abraham Cressy Morrison)- ١٩٥١م ٥٣

موسى (عليه السلام) .... ٣٠، ٧٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١٩٩، ٢٦٣

ميكائيل (عليه السلام) ١٣٠

نوح (عليه السلام) .... ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٢١، ١٦٤، ١٦٧

هارون (عليه السلام) ٩٤

هكسلي، جوليان (Julian Huxley- ١٩٧٥م) ٥٣، ٥٤

هود (عليه السلام) .... ٩٤، ٩٧، ١٢١

وحيد الدين خان ٥٤

يحيى (عليه السلام) ٩٤

يعقوب (عليه السلام) .... ٩٤، ١٢١

يوسُف (عليه السلام) ٩٤

يونُس (عليه السلام) ٩٤

www.alimamaltayeb.com

كشَّاف الجماعات والطوائف والفِرق(*)

الاسم	رقم الصفحة
الآخَرون	١٦٢، ١٨٢، ٢٣٦، ٢٧٦
آل إبراهيم	٩٨
آل عِمران	٩٨
آل فرعون	١٤٨
الأخلاقيُّون	٢٦٠
الإخوان في اللَّه	١٦٤
الإخوان في الدين	١٩٦، ٢٨٥
الأزواج	٣٤٥
أصحاب السعير = أصحاب النار	
أصحاب الفِطرة	٤٨
أصحاب النار	٥٣، ١٥٣

(*) اكتفَينا في هذا الكشَّاف بالمكتوب في الأصل دون حواشيه، ولم نذكر فيه ما شاع ذكره في الكتاب ككلمتَي «المسلمون» و«الناس» على سبيل المثال.

www.alimamaltayeb.com

الأَطِبَّاء ٢٠١

الأعداء ٢٣٧

الأغنياء ١٩٧

أقطاب العلم = العُلماء

الذين آمنوا = المؤمنون

الذين أشركوا = المشركون

الذين أوتوا العلم = العُلماء

الذين جاهَدوا فينا = المُجاهِدون

الذين صدقوا = الصادقون

الذين عملوا الصالحات = الصالحون

الذين كفروا = الكافرون

الذين مِن قبلكم = الأُمم السابقة

الذين هادوا = اليهود

الذين يذكرون اللَّه= الذاكرون

الذين يستكبِرون = المُستكبرون عن عبادة اللَّه

الذين يُنكِرون المعجِزات = الكافرون

الأُمم .... ٣٢، ٩٠، ١٠٨

www.alimamaltayeb.com

الأُمم السابقة ١٩٨
الأُمم المتحضِّرة والحديثة ٣٢
الأمم الهمجية والبائدة ٣٢
الأُمَّة (الإسلامية) .... ٢٣، ٢٤، ٧٣، ١١٨، ١٣٦، ١٦٥، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٣٠
الأُمَّة المحمَّدية = الأُمَّة (الإسلامية)
أُمَّة النَّبي = الأُمَّة (الإسلامية)
الأنبياء .... ٨، ٧٣، ٨٧، ٩١ - ٩٦، ٩٨، ١٠٠ - ١٠٧، ١١٣، ١١٩، ١٢١، ١٢٨، ١٣٣، ١٤٦، ١٦٤، ١٦٥ - ١٦٧، ١٧٨، ٢٠٨
الإنس = البشر
الأهل (للمسلم) ١٨٢
أهل الحديث ١٤٣
أهل الجنَّة = المؤمنون
أهل الحلِّ والعقد ٢٢٧
أهل الذِّكر = العُلَماء
أهل السنة = أهل السُّنَّة والجماعة

www.alimamaltayeb.com

أهل السنة والجماعة .... ٢٥، ٦٥، ٧٦، ١٠٨، ٢٢٧
أهل العلم والبصر بالتشريع = الفُقهاء
أهل العلم والرأي والنظر ٢٢٨
أهل القُرى ١٠٠
أهل الكبائر ١٦٦
أهل المدينة ٢٢٠
أهل مَديَن = مَديَن (قوم شُعَيب عليه السلام)
أهل المِلل والشرائع ١٧٦
أهل المَوقِف ١٦٦
أهل النار .... ١٥٤، ٢٦٥
أولو أجنحة = الملائكة
أولو الألباب .... ٣٨، ١٨١، ١٨٧
أولو الأمر منكم (المؤمنون) ٢٠٦
أولو العزم من الرُّسُل ٩٥
الأوَّلون ١٦١
الأولياء .... ٢٤، ١٠٧، ١٠٨، ١٣٨

www.alimamaltayeb.com

الأئمَّة ٢١٦

الأئمَّة الأربعة ٢٢١

أئمَّة الفصاحة والبلاغة من قُرَيش ١١٣

أئمَّة الفقه الإسلامي = الفُقَهاء

أئمَّة الفكر الإسلامي = المفكِّرون المسلمون

أئمَّة المسلمين= العُلَماء المسلمون

البائسون ٢٠١

البرهمية ١٢٨

البشَر .... ١٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٩٨، ١٠٤، ١٠٩، ١١٤، ١٢١، ١٢٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٦٨، ١٧٧، ١٩٠، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٨٣

بنو آدَم = البشَر

بنو إسرائيل .... ٩٤، ١٢١

بنو البشَر = البشر

البوذية ١٢٨

www.alimamaltayeb.com

التابعون .... ١٠٨، ١٣٥، ٢٢٠
التُّجَّار ٨٨
الثقلان ١٤٨
ثمود (قوم صالح) ١٢١
الجانُّ = الجِنُّ
الجماهير = العوامُّ
الجمهور = جمهور علَماء المسلمين
جمهور الأُمَّة ٢٣١
جمهور أهل السنة والجماعة ٢٥
جُمهور العُلماء = جمهور عُلماء المسلمين
جُمهور عُلماء الكلام ٢٢
جمهور علَماء المسلمين .... ١١٦، ١٧٠، ٢٢٧، ٢٢٩
جمهور فقهاء المسلمين ٢٢٩
الجنُّ .... ١١٤، ١١٦، ١٣٥-١٣٩، ١٦٨، ١٧٧
الحُكَماء ٨
الحواريُّون ١٩٩

www.alimamaltayeb.com

خاصَّة المسلمين وعامَّتهم = الأُمَّة (الإسلامية)

الخبَّازون ٨٨

الخُبراء المتخصِّصون. . . = سحرة موسى

الخُلفاء الأربعة الراشدون ٢١٩

الخوارج ٢٢٧

الدَّهريُّون ١٥٠

الذَّاكرون .... ١٨١، ١٨٧

ذوو القُربى ١٨٥

رجال نوحي إليهم = الأنبياء

رجال نوحي إليهم من أهل القُرى = الأنبياء

الرُّسل .... ٨، ٢١، ٨٧، ٩١-
٩٦، ٩٩، ١٠٠،
١٠٢، ١٠٤، ١٠٥،
١١٩، ١٢٣، ١٢٧،
١٢٨، ١٣٠، ١٥٤،
١٦٢، ١٦٣، ٢٠٨،
٢٤١، ٢٥٦، ٢٦٣

الرسول = الرُّسُل

الرُّواة (للحديث) ٢١

www.alimamaltayeb.com

رؤساء الكنيسة ١٩٩

الزَّنادِقة ١٧٤

الزَّوجات ٢٤٥

سائر فِرق الأُمَّة = الأُمَّة (الإسلامية)

سحَرة موسى (عليه السلام) ١١٢

السَّفَرة البررة (من الملائكة) ١٣١

سلَف الأُمَّة = السَّلَف الصالح

السَّلَف الصالح .... ٦٤، ١٤٩

الشعوب ٣٢

الشُّهَداء ١٦٦

الشياطين .... ٣٧، ٨٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٥٩، ١٩٠

الشَّيطان = الشياطين

الشيعة .... ٢٢٧، ٢٣٠

الصابرون في البأساء والضَّرَّاء وحين البأس .. ١٨٦

الصابئة ١٢٨

الصادقون ١٠٥

www.alimamaltayeb.com

الصالحون .... ٢٤، ٢٥، ٩٨، ١٠٧، ١٣٣، ١٣٨، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧

الصحابة .... ١٠٨، ١٣٥، ١٩٥، ٢١٩، ٢٢٠

الصِّدِّيقون ١٦٧

الضالُّون ٢٨٠

ضَيف إبراهيم = الملائكة

طوائف المسلمين = الأُمَّة (الإسلامية)

الظالمون .... ٨١، ١٣٨، ١٦٢، ٢٨٠، ٢٨٥

الظاهرية ٢٣٠

العابدون ١٧٧

عاد (قوم هود علَيه السلام) .... ٩٧، ١٢١

عامَّة المسلمين وخاصَّتهم = الأُمَّة (الإسلامية)

العامَّة = العوامُّ

عامَّة الشعب = العوامُّ

عامَّة الناس = العوامُّ

www.alimamaltayeb.com

العِباد = البشر
عباد اللَّه .... ١٠٧، ١٢٩
العُصاة ١٦٤
العُقلاء ٥٣
عُقلاء الفلاسِفة ٨
العلَماء .... ١٣، ١٥، ٣٥، ٤٧، ٥١ - ٥٣، ١٠٠، ١٠١، ١١٥، ١٣٥، ١٧٠، ١٨٩، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٧ - ٢٢٩، ٢٤٠
عُلَماء الاجتماع ٢٦٧
عُلَماء الأُصول ٢٣٠
عُلَماء الأُمَّة ٢٢٧
علماء الشريعة = الفُقهاء
عُلماء العقيدة .... ١٥، ١٨، ٢١، ٩٢، ١٠٠، ١٠١، ١٠٦، ١٤٣، ١٤٤
عُلماء العقيدة المسلِمون = عُلماء العقيدة

www.alimamaltayeb.com

عُلماء الغرب ١١
علماء القانون ٨٧
العُلماء المسلمون .... ١١، ١٦، ١٧٠، ١٧٤، ٢٧١
عُلماء المسلمين = العُلماء المسلمون
العُلَماء الممثِّلون للأُمَّة ٢٢٨
العُمَّال ٢٢٨
العوامُّ .... ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٧، ٢٢٨
الغافلون ١٨٧
الغَير = الآخَرون
غَيرُ المتخصِّصين في عُلوم الشَّريعة ٢٢٧
غَير المسلمين = المشركون
غير المؤمنين = الكافرون
الفاسق = الفاسقون
الفاسقون .... ١٣٨، ١٤٨، ١٦٤
الفُقراء .... ١٨٢، ١٩٧، ٢٠١

www.alimamaltayeb.com

الفقهاء .... ١٩٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٦١

الفلَّاحون ٢٢٨

الفلاسِفة .... ١٣، ٣٣، ٤١، ٤٢، ٤٨، ٤٩، ٥١، ١٤٣، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦٨

فلاسفة الأخلاق في الإسلام = فلاسفة الأخلاق المسلمون

فلاسفة الأخلاق المسلمون .... ٢٤٩، ٢٥٦

الفَيلسوف = الفلاسفة

قادة الفكر = المفكِّرون

القاسطون = الكافرون

القُضاة ٢٢١

قوم بينكم وبينهم ميثاق = المُعاهَدون

القَوم الفاسقون = الفاسقون

قوم نوح (عليه السلام) .... ٩٧، ١٢١

www.alimamaltayeb.com

قوم يؤمنون = المؤمنون

الكافرون .... ٥٣، ١٠٣- ١٠٧، ١١٢، ١١٣، ١٣٠، ١٣٨، ١٥٢، ١٥٥، ١٦١، ١٦٢، ١٧٠، ١٩١، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٥

الكرام الكاتبون (من الملائكة) ١٣٠

الكُفَّار = الكافرون

الكفور = الكافرون

المادِّيُّون .... ٥٤، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢

المتشدِّدون ٢١١

المتقون .... ١٨٦، ٢٧٩، ٢٨٥

المتكلِّمون .... ٣٨، ٤٠، ٤٨، ٤٩، ٦٦، ١٤٣

المُتنطِّعون = المتشدِّدون

المُجاهِدون ٢٧٩

المجتمَع المكِّي ١٩٦

www.alimamaltayeb.com

المجتهِد = المجتهِدون

مجتهدو الأُمَّة = الفُقهاء

مجتهدو الأُمَّة الإسلامية وأئمَّتها = الفُقهاء

المُجتهِدون .... ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٣٠

المُحتاجون .... ١٨٢، ١٩٧، ٢٠١

المحرومون .... ١٨٢، ٢٠١

المحسنون .... ١٩١، ٢٧٩

مَديَن (قوم شُعَيب عليه السلام) ٩٧، ١٢١

المُرسَلون = الرُّسل

المساكين ١٨٥

المستبِدُّون ٢٨٠

المُستكبِرون عن عبادة اللَّه .... ١٧٧، ١٩٠

المسيحيُّون = النَّصارى

المشتغلون بالزراعة ٨٨

المشتغلون بطحن الحبوب ٨٨

المشرِّعون ٢٢٩

www.alimamaltayeb.com

المشركون .... ٣٧، ٧٩، ٢٠٥، ٢١٧
المُصلِحون الاجتماعيُّون ٨٧
المصلَّون ١٩٢
المظلومون ٢٨٤
المُعاهَدون ٢٨٤
المُعتدون ١٩١
المعتزلة ٢٢٧
المعقِبات الحفَظة (من الملائكة) ١٣١
المُفتون ٢٢١
المُفسِّرون ٢١٧
المفكِّرون .... ٥١، ٨٧، ٢٢٨، ٢٥٥
المفكِّرون المسلمون .... ٣٨، ٨٤
المفلحون ١٦١
المكذِّبون للبعث ١٥٤
المكلَّف = المكلَّفون
المكلَّفون .... ١٥، ٣٣، ٣٤، ٢١٠، ٢١٥

www.alimamaltayeb.com

ملاحدة العلماء = الملحِدون

الملائكة .... ٢٥، ٩٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٧- ١٣٣، ١٣٦، ١٣٨، ١٨٥، ٢٤١

الملحد = الملحدون

الملحدون .... ٣٧، ٤٠، ٥٢، ١٠٤، ١٥٤

الملَك = الملائكة

من آمن باللَّه. . . = المؤمنون

مَن أغفلنا قلبَه = الغافلون

مَن استحقَّ النارَ = أهل النَّار

مَن أوتي كتابه بشماله = الكافرون

مَن أوتي كتابه بيمينه = المؤمنون

مَن أوتي كتابه وراء ظهره = الكافرون

من خاف مقام ربِّه = المؤمنون

مَن عمل صالحًا = الصالحون

منكرو البعث = الكافرون

www.alimamaltayeb.com

المنكِرون على الأنبياء = الكافرون

من يتقِ اللَّه = المُتقون

مَن يُشرك باللَّه = المشركون

المؤمن = المؤمنون

المؤمنون .... ٢٥، ٣٨، ١٢٧، ١٦١، ١٦٢، ١٦٥- ١٦٧، ١٦٩، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٠

النبي = الأنبياء

النَّبيُّون = الأنبياء

النُّخبة ٢٢٨

النَّصارى .... ١١٥، ١٩٩

الوثنيُّون ١٢٨

الولي = الأولياء

www.alimamaltayeb.com

اليتامى ١٨٥

اليهود .... ١١٥، ١٩٩، ٢٣٤، ٢٣٥

www.alimamaltayeb.com

الفِهرسُ التَّفصِيليُّ

طليعةُ الكتاب ٧

الفصلُ الأوَّل: العقيدةُ ٩

مَدخَلٌ لِدراسةِ العقيدةِ ١١

- تعريفُ العقيدةِ عند «لوبون» ١١
- نَقدُ هذا التَّعريفِ ١٣
- العقيدةُ بالمفهومِ الإسلاميِّ ١٤
- العقيدةُ عند علماءِ المسلمين ١٦

والخبرُ الصَّادقُ على قِسمَينِ ٢٠

- مسائلُ العقيدةِ في الإسلامِ ٢٤

الإلهيَّاتُ

الإلهيَّاتُ ٢٩

الإيمانُ باللَّهِ تعالى ٢٩

- فِطريَّةُ الاعترافِ بوُجودِ اللَّهِ تعالى ٣٢
- مِن الأدلَّةِ العقليَّةِ على وجودِ اللَّهِ تعالى ٣٨

أوَّلًا: دليلُ الحدوثِ وهو دليلُ المتكلِّمين ٣٨

ثانيًا: دَليلُ الإمكانِ وهو دَليلُ الفلاسِفَةِ ٤١

ثالثًا: دليلُ العنايةِ ودليلُ النِّظَامِ ٤٤

وُجودُ اللَّهِ في القرآنِ الكريمِ ٤٧

استحالةُ الصُّدفةِ ٥١

www.alimamaltayeb.com

- معنى الصُّدفةِ ٥١
- نقدُ مقولةِ الصُّدفةِ ٥٢
- مِثالٌ للاحتمالِ واستحالةِ الصُّدفةِ ٥٨
صِفاتُ اللَّهِ تعالى ٦١
مذهَبُ السَّلفِ في إثباتِ الصِّفاتِ ٦٤
القضاءُ والقَدَرُ ٧٥
- معنى الإيمانِ بالقَدَرِ ٧٦
- الإيمانُ بالقَدَرِ لا يَعني القَهرَ والجَبْرَ ٧٧

النُّبُـــــوَّاتُ

النُّبُـــوَّاتُ ٨٧
- ضرورةُ النُّبوَّةِ ٨٧
النُّبُوَّةُ والأنبياءُ ٩١
- النَّبيُّ والرَّسولُ ٩١
- عددُ الأنبياءِ ٩٤
- التَّوحيدُ هو هدفُ النُّبُوَّاتِ ٩٥
- الشُّروطُ الَّتي يجبُ توافُرُها في الأنبياءِ ٩٨
المُعجِـــزةُ ١٠٣
- النُّبوَّةُ والمُعجِزةُ ١٠٣
- تعريفُ المُعجِزةِ ١٠٦
- الفَرقُ بين المُعجِزةِ والكَرامةِ ١٠٧
- الفَرقُ بين المعجزةِ والسِّحرِ ١٠٩
- المعجزةُ مُستحيلٌ عاديٌّ لا عقليٌّ ١١٠
- معجزاتُ الأنبياءِ السَّابقينَ ١١٣

www.alimamaltayeb.com

- مُعجزةُ النَّبيِّ محمدٍ ﷺ ١١٣
- المعجزاتُ الحِسِّيَّةُ للنَّبيِّ ﷺ ١١٦
الرِّسالةُ الخَاتمةُ ١١٩

الغَيبيَّاتُ

الغَيبيَّاتُ ١٢٧
- الإيمانُ بالملائكةِ ١٢٧
- الملائكةُ عِبادُ اللَّهِ ١٢٨
- صفاتُ الملائكةِ ١٢٩
- وظائفُ الملائكةِ ١٣٢
الإيمانُ بالجِنِّ ١٣٥

السَّمعيَّاتُ

السَّمعيَّاتُ ١٤٣
- منهجُ الاستدلالِ في السَّمعيَّاتِ ١٤٣
١- الإيمانُ بالحياةِ في القبرِ ١٤٧
- الأُولى: سؤالُ المَلَكَينِ في القبرِ ١٤٨
- الثَّانيةُ: عذابُ القبرِ ونعيمُه ١٤٨
٢- الإيمانُ بالبَعثِ ١٥٠
- مُنكرو البَعثِ ١٥٠
- أدلَّةُ القرآنِ الكريمِ وردُّه على مُنكِري البَعثِ ١٥٢
١- دليلُ النَّشأةِ الأُولى على صَيرورةِ التُّرابِ إنسانًا حيًّا مرَّةً ثانيةً ١٥٥
٢- دليلُ النَّشأةِ الأُولى على إحياءِ الجسَدِ الفاني مرَّةً ثانيةً ١٥٦
٣- الإيمانُ بالحشرِ ١٥٩

www.alimamaltayeb.com

٤- الإيمانُ بالحسابِ وصُحُفِ الأعمالِ والمِيزانِ والصِّراطِ .. ١٦٠
٥- الإيمانُ بالشَّفاعةِ ١٦٣
- شفاعةُ النَّبيِّ ﷺ لأمَّتِه ١٦٥
١- الشَّفاعةُ الكُبرى ١٦٥
٢- الشَّفاعةُ لأهلِ الجنَّةِ في دخولِهِمُ الجنَّةَ ١٦٦
٣- الشَّفاعةُ في أهلِ الكبائرِ ١٦٦
٦- الإيمانُ بالجنَّةِ والنَّارِ ١٦٨
الفصلُ الثَّاني: العِبادةُ ١٧١
معنى العبادةِ ١٧٣
حاجةُ الإنسانِ للعبادةِ ١٧٥
العِبادةُ غايةٌ وليست وسيلةً ١٧٧
أقسامُ العبادة ١٨١
١- العبادات البدنية ١٨١
أ- ما يتعلق بقلب العبد ١٨١
ب- ما يَتعلَّقُ ببَدنِ العبدِ وجوارحِه وأعضائِه ١٨٢
٢- العباداتُ الماليَّةُ ١٨٢
٣- العباداتُ البَدنيَّةُ والماليَّةُ ١٨٣
أنواعُ العبادةِ ١٨٥
أوَّلًا: العبادةُ العامَّةُ ١٨٥
ثانيًا: العبادةُ الخاصَّةُ ١٨٦
١- ذِكرُ اللَّهِ تعالى والتَّفكُّرُ في مخلوقاتِه ١٨٧
٢- تلاوةُ القرآنِ الكريمِ ١٨٨
٣- الدُّعاءُ ١٨٩
ومِن أَدبِ الدُّعاءِ ١٩١

www.alimamaltayeb.com

٤- الصَّلاةُ ١٩١
٥- الزَّكاةُ ١٩٥
٦- الصَّومُ ١٩٧
٧- الحَجُّ ٢٠١
خصائصُ العبادةِ في الإسلامِ ٢٠٥
١- لا تكونُ العبادةُ إلَّا لِلَّهِ ٢٠٥
٢- لا يُعبَدُ اللَّهُ إلَّا بما شرَعَ ٢٠٦
٣- لا واسطةَ في العِبادةِ ٢٠٨
٤- العِبرةُ في العبادةِ بالقَصدِ والنِّيَّةِ الباطنةِ ٢٠٩
٥- التَّيسيرُ ورَفعُ الحَرَجِ ٢١٠
الفصلُ الثَّالثُ: التَّشريعُ ٢١٣
الشَّريعةُ والتَّشريعُ ٢١٥
أطوارُ التَّشريعِ الإسلاميِّ ٢١٧
١- عهدُ النَّبيِّ ﷺ ٢١٧
٢- عهدُ الصَّحابةِ ٢١٩
٣- عهدُ التَّدوينِ والاجتهادِ ٢١٩
٤- عهدُ التَّقليدِ ٢٢١
أُصولُ التَّشريعِ الإسلاميِّ ٢٢٣
١- القرآن ٢٢٣
٢- السُّنَّةُ ٢٢٤
٣- الإجماعُ ٢٢٦
٤- القياسُ ٢٢٩
أُسُسُ التَّشريعِ العامَّةُ ٢٣٣
١- رَفعُ الحرَجِ والمشقَّةِ ٢٣٣

www.alimamaltayeb.com

٢- رعايةُ النَّاسِ جميعًا ٢٣٥
٣- تحقيقُ العَدلِ للنَّاسِ جميعًا ٢٣٧
المقاصدُ العامَّةُ للتَّشريعِ الإسلاميِّ ٢٣٩
١- المقاصدُ الضَّروريَّةُ ٢٤٠
٢-المقاصدُ الحاجيَّةُ ٢٤٣
٣- المقاصدُ التَّحسينيَّةُ ٢٤٤
ترتيبُ المقاصدِ ٢٤٥
الفصلُ الرَّابعُ: الأخلاقُ في الإسلامِ ٢٤٧
معنى الخُلُقِ ٢٤٩
الفَرقُ بين الخُلُقِ والسُّلوكِ ٢٥١
شروطُ الفِعلِ الخُلُقيِّ ٢٥٣
الأخلاقُ قابلةٌ للتَّغييرِ؟ ٢٥٥
الحُكمُ الخُلُقيُّ ٢٥٩
مكانةُ الأخلاقِ في الإسلامِ ٢٦٣
مصدرُ الإلزامِ الخُلُقيِّ في الإسلامِ ٢٦٧
المسئوليَّةُ والجزاءُ في الإسلامِ ٢٧٣
- أوَّلًا: المسئوليَّةُ ٢٧٣
- المسئوليَّةُ والحرِّيَّةُ ٢٧٤
- مستوياتُ المسئوليَّةِ ٢٧٥
- ثانيًا: الجزاءُ ٢٧٦
- الجزاءُ الإلهيُّ ٢٧٨
- الجزاءُ الاجتماعيُّ ٢٨٠
- الجزاءُ الأخلاقيُّ ٢٨١
خصائصُ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ ٢٨٣

www.alimamaltayeb.com

ثَبَتُ المصادرِ والمراجعِ ٢٨٧
الكشَّافات العامَّة ٣١١
كشاف الآيات القرآنية ٣١٣
كشاف الآثار والأحاديث ٣٤٥
كشاف الأعلام ٣٥١
كشاف الجماعات والطوائف والفرق ٣٥٥
الفهرس التفصيلي ٣٧٣

www.alimamaltayeb.com